جامعـــــة الجـزائـــــر
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسـم التاريـخ

الحزب الدستـوري الجـديد ودوره في القضايا التحـررية المـغـاربيـة)1947 – 1956(

القـضيــة الجـزائريـة نمـوذجـا

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر
إختصاص: ضفتي البحر الأبيض المتوسط (مغرب_ أوروبا)

السادة أعضاء لجنة المناقشة

د. أحمد رضوان شرف الدين	رئيسا
د.بوعزة بوضرساية	مقررا
د. مصطفى نويصر	عضوا
د. عبد النور خيثر	عضوا

الموسم الجامعي:2007.2008

مادة الجغرافيا : أجب عن جزء واحد فقط :

الجزء الأول:

يشكل الإتحاد الأوروبي المجموعة الديموغرافية الثالثة في العالم بعد الصين والهند. وهو قطب من أقطاب الثالوث العالمي، ويضم 27 دولة يضاهي في وزنه الاقتصادي قوة الو.م.أ، ويحتل المرتبة الأولـــى في التجارة العالمية والإنتاج الصناعي. كما يشكل أوسع سوق استهلاكية في العالم ، يستقطب أكثر من 1/2 من المستثمرين الأجانب.

يعتبر الإتحاد الأوربي عنصرا فاعلا أساسيا في العولمة وقد ينسج علاقات وطيدة مع دول الجنوب وهو من أول المساعدين على التنمية بالنسبة لتلك الدول.
يمكن اعتبار الإتحاد الأوروبي الذي ضم دولا متناحرة فيما مضى نموذجا للعديد من المناطق في العالم حيث نجد دولا لاتقوى على الإندماج في مسار العولمة بفعل تفككها وانقسامها وهي لاتعرف تعاونا فيما بينها إلا من خلال مناطق تبادل الحر.
ساهمت السياسات المشتركة للإتحاد في الميدان المالي والزراعة والتنمية الجهوية في تقوية الروابط بينها.

المرجع : الكتاب المدرسي ، ص 106 .

انطلاقا من الوثيقة واعتمادا على ما درست :
1- عرف المصطلحات التالية : الإتحاد الأوروبي ، دول الجنوب ، التنمية ، دولا متناحرة .
2- أذكر نقاط القوة ، ونقاط الضعف للإتحاد الأوروبي .
3- جاء في السند عبارة " وهو قطب من أقطاب الثالوث العالمي ويضم27 دولة". أذكر الخطوات التاريخية في تكتل هذه الدول الأوربية .

الجزء الثاني

_اليك جدولا يمثل صادرات وواردات الأقطاب الثلاثة الكبرى (و.م.أ ، الإتحاد الأوروبي ، اليابان)

البلـــــد	الصادرات	النسبة العالمية	الـــواردات	النسبة العـالمية
و.م. أ	782م/ د	12.3	1258م / د	18.9
الإتحاد الأوربي	2239م / د	36.23	2247م / د	36.64
اليابان	459 م / د	7.22	342 م/ د	5.13

المرجع : صور اقتصادية للعالم 1999.

مقياس الرسم : 1سم : 10%

مقياس الرسم : 1سم : لكل دولة.____

انطلاقا من الجدول واعتمادا على ما درست :
1- مثل عن طريق الأعمدة صادرات وواردات الأقطاب الثلاثة الكبرى.
2- علق على الرسم موضحا الوزن الإقتصادي لهذه الأقطاب في المبادلات العالمية.
3- وضح انعكاس ذلك على التنمية في عالم الجنوب.

مع التوفيق.

الإهـــــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع الى:
روح والدي الطاهرة
والدتي الغالية، أمي ...مدرسة الحياة الأولى
زوجتي رفيقة الدرب والأيام ..أم سناء
كل أبنائي وبناتي بدون استثناء
الصديق الوفي ً عبد القادر نايلي ً
وكل الأهل والرفقاء
الى كل هؤلاء عربون محبة ووفاء.

رسالـــــة شكـــــر

أتقدم بخالص عبارات الشكر والتقدير
الى أستاذي الفاضل الدكتور بوعزة
بوضرساية الذي أحاط هذا العمل
بتوجيهاته القيمة ونصائحه المفيدة فله
كامل تشكراتي الخالصة.
كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر والإمتنان
الى كل الأساتذة الذين ساهموا في
تكويننا وتوجيهينا.

مقدمـــــــة:

إن المغرب العربي بماضيه وطموحات أهـله وأحلامهم، يسترجع قرونا مـن التاريخ بل انـه ما زال يعيش على ماض نضالي مجيد بناه جيل كامل من الوطنيين عابري الحدود من أمثال مصالي الحاج، عبد العزيز الثعالبي، وعبد الكريم الخطابي وغيرهم، وأطرته جمعيات ومؤسسات عدة من بينها نجم شمال إفريقيا، وجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، ومكتب المغرب العربي بالقاهرة.

إن هذا الماضي القريب لأكبر دليل على أن المحن والمآسي زادت الشعوب المغاربية التحاما وانسجاما، غير أنه لم يكن كافيا لإرساء الأسس السليمة لمغرب عربي كبير كان الوطنيون الأوائل ومن تبعهم يطمحون له.

لذا فإن أكبر دافع كان وراء قيامي بهذا العمل المتواضع حالة الوطنية الضيقة التي تعيشها البلدان المغاربية اليوم، وتباين مواقفها واختلاف توجهاتها وهشاشة مؤسساتها الوحدوية (حيث لم تنعقد أي دورة للاتحاد المغاربي منذ 1994) وضعف مكانتها الدولية خاصة أن العولمة تقود كل المبادرات وعلى كل المستويات وتتعايش بدون صدام يذكر مع هذه الوطنية الضيقة، وتتعارض مع التوجهات الوحدوية المغاربية، إضافة إلى تهافت المشاريع المقترحة على بلدان المغرب العربي وعلى رأسها المشروع الأورو- متوسطي الذي يقترحه الرئيس الفرنسي الحالي " نيكولا ساركوزي" على البلدان المغاربية، فالهدف الرئيسي من وراء هذه المشاريع المقترحة والتي يروج لها الغرب هو سلخ هذا الوطن المغاربي من انتماءه العربي الإسلامي والتصدي لكل محاولات الوحدة بين أقطاره.

إن مغربة الكفاح التحرري هو تلك الغاية التي كان ينشدها الوطنيون الأوائل وعملوا بكل وسعهم وجهدهم من أجل تحقيقها والسير بها قدما بل كانوا يطمحون بعد تحقيق بلدانهم لاستقلالها إلى بناء اتحاد مغاربي قوي يجمع شعوبهم ويقوي مكانتهم ويصد أطماع أعدائهم.

لذا فإن أهمية دراسة هذا الموضوع تكمن في معرفة جهود هؤلاء الوطنيون بصفة عامة والتونسيون الدستوريون بصفة خاصة وذلك في محاولة بلورة الحركة الوطنية التونسية وفق منهاج مغربة الكفاح التحرري لنستنبط من خلاله أهمية العمل المغاربي الوحدوي لدى هذه النخبة التونسية، كما نكتشف التآزر والتلاحم بين مختلف الحركات الوطنية المغاربية.ولنتساءل أحيانا لماذا ارتد اليوم هذا الوعي الوطني الوحدوي المغاربي ؟

إن بناء اتحاد مغاربي قوي ومتين هو طموح الشعوب المغاربية وقادتها السياسيين ولا يتم ذلك إلا بالرجوع إلى قاعدة كفاحه الوحدوي التي بناها هؤلاء الوطنيون بالقاهرة سنة 1947، وضحوا من أجلها باعتبارها اللبنة الأولى لتشييد أي صرح مغاربي في المستقبل.

ومنه نطرح **الإشكالية** التالية: ما هو دور هؤلاء المناضلين الدستوريين في بناء ودعم الكفاح الوحدوي للقضايا التحررية المغاربية بصفة عامة ؟

وماهو دورهم في مساندة القضية الجزائرية بصفة خاصة ؟ لذا اخترنا لعملنا هذا عنوانا هو :

حزب الدستور الجديد ودوره في القضايا التحررية المغاربية(1947 –1956)

القضية الجزائرية نموذجا.

فالسنة الأولى 1947ذات أهمية لأنها تمثل أبرز الأحداث المغاربية بعد الحرب العالمية الثانية في اتجاه محاولات مغربة الكفاح التحرري في مواجهة الاستعمار عبر إنشاء مكتب المغرب العربي بالقاهرة مكتسبا بذلك قيمة مرجعية مؤكدة في بلورة " السياسات المغاربية" لمختلف القيادات وفي مقدمتها القيادة التونسية خاصة أن الحركة الوطنية التونسية بقيادة حزب الدستور الجديد لعبت دورا حاسما في إنشاء مكتب المغرب العربي بالقاهرة خلال هذه السنة.

أما سنة 1956 فهي تمثل بداية تصدع واندثار المشروع الاستعماري الأوروبي بحيث تكللت جهود هؤلاء المناضلين بتحقيق جزء كبير من هدفهم وذلك على إثر نيل كل من تونس والمغرب لاستقلالهما ـ 1956 ـ ومواصلة هذه الجهود من أجل استقلال آخر قطر مغاربي وهو الجزائر وبالتالي نجاح سياسة مغربة الكفاح التحرري المغاربي المنطلقة منذ سنة 1947 بالقاهرة.

وقد قسمت عملي هذا الى ثلاثة فصول وهي كما يلي :

الفصل الأول وجاء تحت عنوان :

الأوضاع العامة للحركة الوطنية التونسية من حزب تونس الفتاة الى حزب الدستور الجديد . وينقسم الى العناصر التالية :

1:حزب تونس الفتاة وقضية الزلاج .

2: نشأة الحزب الدستوري الحر وبرنامجه.

3 : انقسامات الحزب الدستوري الحر ومولد الحزب الدستوري الجديد.

لقد تناولت في هذا الفصل أهم العوامل التي كان لها التأثير في ظهور الحركة الوطنية التونسية ابتداءا من الحركة الإصلاحية التي تزعمها جمال الدين الأفغاني إضافة الى المدرسة الصادقية ذات الدور الهام في بعث النخبة التونسية التي حملت لواء الكفاح السياسي كما تناولت في هذا الفصل كيفية تطور الحركة الوطنية التونسية بداية من ظهور حزب تونس الفتاة سنة 1908 واهم الأحداث التي أدت الى حله خاصة مواقفه الوطنية المؤيدة للمقاومة الليبية أثناء الاحتلال الإيطالي سنة 1911 وكذلك فيما يعرف بحوادث الزلاج في أواخر سنة 1911 وقيام السلطات العسكرية الفرنسية بنفي زعماء حزب تونس الفتاة وحل الحزب .

بعد الحرب العالمية ازداد نشاط الحركة الوطنية التونسية وحمل لواء الدفاع عن القضية التونسية عبد العزيز الثعالبي بحيث تطرقت الى دوره

الفعال في بعث هذه الحركة والتي لخص مطالبها في كتابه المشهور" تونس الشهيدة " الذي أعتبر بمثابة السلاح الفعال في كشف حقيقة الاستعمار وأساليبه الجهنمية، مما أدى الى تلاحم الشعب التونسي حوله والاعتزاز به ومطالبته بإنشاء حزب يقود الشعب التونسي نحو التحرر والاستقلال مما أدى الى ظهور الحزب الدستوري الحر الذي انضمت إليه معظم الحساسيات التونسية وأصبح للحزب شعبية واسعة كما تطرقت في أواخر هذا الفصل الى بداية تراجع دور الحزب الدستوري الحر خاصة بعد سفر عبد العزيز الثعالبي 1924 مما أدى في آخر المطاف الى انقسام الحزب وذكرت معظم الأسباب التي أدت الى هذا الانقسام والتي ظهر على إثرها الحزب الدستوري الجديد سنة 1934على اثر مؤتمر قصر الهلال، وبالرغم من عودة عبد العزيز الثعالبي سنة 1937 ومحاولاته لدأب الصدع الذي عرفه الحزب إلا أن كل محاولاته قد فشلت .

أما فيما يخص الفصل الثاني جاء تحت عنوان:

حزب الدستور الجديد في القاهرة ودوره في القضايا التحررية المغاربية.

وينقسم الى العناصر التالية :

1ـ مؤتمر1937 ووصول الحبيب بورقيبة الى رئاسة حزب الدستور الجديد.

2ـ هجرة الحبيب بورقيبة وقادة الحزب الدستوري الجديد الى القاهرة وتبني شعار

" العمل المغاربي الموحد" .

3ـ حزب الدستور الجديد ودوره في انعقاد مؤتمر المغرب العربي، ومكتب المغرب

العربي، ولجنة تحرير المغرب العربي .

4 ـ زعماء الحزب الدستوري الجديد بين الاتجاه الوحدوي المغاربي والاتجاه القطري.

تناولت في هذا الفصل انعقاد المؤتمر الثاني لحزب الدستور الجديد سنة1937 وصعود التيار الراديكالي بزعامة الحبيب بورقيبة، مما أعطى لقراراته الصبغة المتطرفة فأدى ذلك الى استقالة رئيس الحزب الدكتور الماطري، وانتخاب الأمين العام الحبيب بورقيبة كرئيس للحزب، كما تطرقت في هذا الفصل الى أسباب هجرة القادة الدستوريون أثناء الحرب العالمية الثانية ودورهم في التعريف بالقضايا المغاربية عبر إنشاء تلك المكاتب المغاربية سواء في برلين أو في باريس أوفي نيويورك هذه الأخيرة التي زارها رئيس الحزب الحبيب بورقيبة في سبتمبر1946، كما تطرقت الى دور هؤلاء القادة الدستوريين في عقد مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة، وتأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة والذي كان مقره في مقر الحزب الدستوري الجديد بالقاهرة، كما تناولت في هذا الفصل دور هؤلاء المناضلين الدستوريين في بعث لجنة تحرير المغرب العربي في عام

1948 بالقاهرة. كما تطرقت الى ذلك الصراع الخفي الذي تحول الى العلن بسبب اختلاف الرؤى بين مؤسسي لجنة تحرير المغرب العربي وخاصة بين رئيسها عبد الكريم الخطابي والأمين العام الحبيب بورقيبة ووصل هذا الاختلاف الى حد فصل هذا الأخير من الأمانة العامة وتطرقت الى أسباب ذلك، كما تناولت كيفية تأثر بقية القادة الدستوريون بهذا الصراع والذي أدى كذلك الى انقسامهم على أنفسهم بين المؤيد لأفكار عبد الكريم الخطابي، والمؤيد لأفكار رئيس الحزب الدستوري الحبيب بورقيبة، وبالرغم من عودة هذا الأخير الى تونس في سبتمبر 1949، إلا أن الكثير من قادة حزب الدستور الجديد واصلو نضالهم المغاربي الموحد في القاهرة الى جانب إخوانهم من المناضلين والذي كانت له نتائج على الوضع المغاربي .

الفصل الثالث جاء تحت عنوان: **حزب الدستور الجديد والقضية الجزائرية 1954ـ 1956**

وقسمت هذا الفصل الى العناصر التالية :

1ـ المساندة السياسية لحزب الدستوري الجديد للقضية الجزائرية.

أـ موقف الأمانة العامة لحزب الدستور الجديد.

ب ـ موقف الديوان السياسي للحزب.

2ـ المساندة العسكرية لحزب الدستور الجديد للثورة الجزائرية.

أـ الأمانة العامة(المعارضة اليوسفية) ومساندتها للثورة الجزائرية.

ب ـ الديوان السياسي (الحكومة التونسية) ومساندته للثورة الجزائرية .

3ـ المساندة الإنسانية للاجئين الجزائريين أثناء الثورة الجزائرية .

تطرقت في هذا الفصل الأخير الى الدور الهام الذي قام به الحزب الدستوري الجديد تجاه القضية الجزائرية بالرغم من انقسام هذا الحزب على نفسه بعد توقيع اتفاقية الحكم الذاتي في شهر جوان 1955 والذي تناولته كذلك وذكرت معظم العوامل والأسباب التي أدت الى ذلك، كما تطرقت الى أهم الوسائل التي لجأ إليها الجناحين من أجل مساندة القضية الجزائرية وان اختلفا وجهات نظرهما في كيفية مساندة القضية الجزائرية إلا أن هدف كلاهما كان يتمثل في الوصول بالشعب الجزائري الى تقرير مصيره.

وقسمت هذا الفصل الى مواقف الحزب السياسية والعسكرية وحتى الإنسانية تجاه اللاجئين الجزائريين أثناء ثورة التحرير، ونظرا لانقسام الحزب الى الأمانة العامة بزعامة صالح بن يوسف المعارض لاتفاقيات الحكم الذاتي، والى الديوان السياسي بقيادة زعيم الحزب الحبيب بورقيبة المؤيد لها والمدافع عنها، فلقد تناولت مواقف كلاهما سواء من الناحية السياسية التي أخذت حيزا هاما من خطب

وتصريحات كلا الزعيمين سواء على المستوى المحلي أو على المستوى الخارجي، وصولا حتى الى القيام بوساطة وعرض أهم الحلول لحل القضية سياسيا(مؤتمر المغرب العربي بتونس أكتوبر 1956). أما من الناحية العسكرية فلقد تناولت المساندة الحقيقية لثورتنا التحريرية خاصة من قبل المعارضة اليوسفية والتي اشتركت فصائلها مع فلول مجاهدي جبهة التحرير الوطني، وتطرقت الى أوجه هذه المساندة ابتدءا من تهريب الأسلحة، وتكوين فرق مشتركة، إضافة الى ذكر أهم المعارك التي خاضها الجيشان جنبا الى جنب، كما تطرقت الى الدور الذي قام به الديوان السياسي (الحكومة التونسية) في تدعيم الثورة، انطلاقا من تنظيم تهريب الأسلحة، إضافة الى السماح لجبهة التحرير بإنشاء مقرات ذات طابع سياسي وعسكري على الأراضي التونسية.

أما فيما يخص الجانب الإنساني فلقد تطرقت في هذا العنصر الأخير الى الدور الهام الذي تكفل به الدستوريون سواء على الجانب الشعبي أو على الجانب الرسمي، بحيث مثلت رعاية اللاجئين الجزائريين أهم جهد إنساني قدم للشعب الجزائري وتناولت أوجه هذه المساندة سواء كانت على المستوى المحلي أو على المستوى الدولي عندما قام الدستوريون بلفت أنظار الهيئات والمنظمات الدولية الى الأوضاع المأساوية التي يعاني منها الشعب الجزائري سواء على الأرض التونسية أوحتى على الأراضي الجزائرية.

واذكر أن اختيار هذا الموضوع كان من إيحاءات وتوجيهات الدكتور الفاضل بوعزة بوضرساية الذي اقترح علي التوجه إلى تونس لجمع المعلومات لما تتوفر عليه المكتبة الوطنية التونسية والمؤسسات العلمية والثقافية الأخرى من مصادر ومراجع مختلفة، واقتناء ما يمكن اقتناؤه من مراجع تفيدني في إنجاز هذا العمل، وهو ما شجعني على السفر الذي كان مثمرا وفعالا، رغم الصعوبات المادية والمعنوية التي واجهتني وما تخلله هذا السفر من متاعب خاصة عند اجتياز الحدود وهو ما يدل على أن الطريق المنشود للاتحاد المغاربي ما زال بعيد المنال.

الفـــــصل الأول

الأوضاع العامة للحرَكة الوطنية التونسية من حزب تونس الفتاة الى الحزب الدستوري الجديد

الأوضاع العامة للحركة الوطنية التونسية من حزب تونس الفتاة الى الحزب الدستوري الجديد

تختلف الحركات الوطنية المغاربية من حيث نشأتها واتجاهاتها في كل من الجزائر وتونس والمغرب، ويعود ذلك حسب الظروف التي

أحاطت باحتلال كل منها إضافة إلى الطريقة التي اتبعت في إدارتها، فمثلا لقد كان لتأخر تونس تحت الحماية الفرنسية(1881) أكثر من نصف قرن عن الجزائر الفرصة لتجربة سياسة التجديد والإصلاح، التي كان لها الدور البارز في تفعيل وتكوين رجال الحركة الوطنية التونسية، خاصة أولئك الذين دافعوا عن الانتماء العربي الإسلامي لتونس في وجه الاستعمار الفرنسي وأذنابه الذين حاولوا طمس هذه المعالم ولذلك كان لحركة جمال الدين الأفغاني والإمام الشيخ محمد عبده[1] بمصر صدى في النهضة الإصلاحية في تونس التي تعتبر أكثر البلدان المغاربية تأثرا بالتيارات الفكرية في المشرق العربي بحيث كان لكثير من رواد الحركة الوطنية في تونس اتصالا مباشرا بالإمام الشيخ محمد عبده الذي زار تونس[2] وحث أهل الفكر فيها على تأسيس مدرسة الخلدونية[3] على نمط المدارس الوطنية بمصر.[4]

1- حركة العروة الوثقى التي ظهرت إلى الوجود سنة 1882 وكانت ذات طابع سري أسسها الإصلاحي الكبير الشيخ جمال الدين الأفغاني (1838 -1897)، وكان هدف هذه الحركة توحيد وتحرير العالم الإسلامي والأخذ بأسباب الحضارة الغربية في التطور والتقدم وبسبب هذه المواقف سجن ونفي جمال الدين الأفغاني من قبل السلطان العثماني وانضم الى الحركة الشيخ محمد عبده. للمزيد أنظر، الطاهر عبدا لله ،الحركة الوطنية التونسية (1881- 1956) " رؤية شعبية قومية جديدة "، مكتبة الجماهير، بيروت لبنان 1986، ص.ص 30،31 .

2- أدى محمد عبده زيارة إلى تونس في شهر نوفمبر1884 واستمرت أربعين يوما ،اتصل خلال إقامته فيها بأركان الحركة الإصلاحية وعلماء جامع الزيتونة، أنظر، الطاهر عبدا لله ، نفس المصدر، ص.32 .

3- أسسها سنة 1896 البشير صفر رئيس جمعية الأوقاف وأحد مؤسسي الحركة الوطنية في عهد علي باي (1882-1902) والمقيم العام روني ميسي (1894 -1900) ، غاية المدرسة عصرنه الحضارة العربية القديمة وتزويد المسلمين بالعلوم العصرية، للاطلاع أكثر، أنظر، شارل أندري جوليان ، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة المنجي سليم، الدار التونسية للنشر، تونس 1976. ص. 89 .

4- صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو- المصرية، ط 6، القاهرة 1993، ص. 221.

والواقع أن منابع الحركة الوطنية التونسية تعود إلى ثلاث عوامل أساسية تتمثل في ما يلي:

1- حركة الإصلاح والتجديد التي انتشرت في المشرق عن طريق مؤسس الجامعة الإسلامية جمال الدين الأفغاني والتي تعالج إحياء العقيدة وفق التطور العصري .

2- وجود مراكز إسلامية عريقة قائمة في تونس وعلى رأسها جامع الزيتونة الذي لعب دورا في نشأة وبلورة أفكار رواد الحركة الوطنية التونسية.

3- وجود مدرسة الصادقية[1] منذ سنة 1875 التي كانت تدرس العلوم الحديثة في إطار عربي فتخرج منها فريق من الشبان التونسيين وواصل هؤلاء الشبان دراستهم بالعاصمة الفرنسية باريس وسيكون لهم الدور الأساسي في بلورة اتجاه الحركة الوطنية التونسية كما سنرى.[2]

لقد ركز الاستعمار على هذه المؤسسات العصرية العلمانية , فلم يكن ذلك بهدف تخريج مثقفين عصريين وإنما لتخريج أنصاف متعلمين يحتاجهم لملء بعض الوظائف[3] .

ففي تاريخ 1905 كانت جماعة من الطلبة خريجي المعهد ألصادقي الذين سبق أن أوفدتهم الحكومة التونسية قبل الحماية لإتمام دراستهم بالخارج وأذنت لهم السلطة الفرنسية بالرجوع فكون هؤلاء مع مثقفين زيتونيين حركة قومية ودينية[4] ترمي من جهة إلى تقوية روابط القطر التونسي بحركة الجامعة الإسلامية وتطالب من جهة بتنفيذ الدستور التونسي.[5]

1- تأسست سنة 1875 من قبل الوزير المصلح خير الدين باشا في عهد محمد الصادق باي (1859 -1882) غاية المدرسة تكوين جيل العلوم العصرية باللغتين العربية والفرنسية ،اعتنت السلطات الاستعمارية بالمدرسة ووجهتها وفق مخططاته الاستعمارية الجديدة.
للمزيد أنظر: M.Camu.N.Seraieb,Elites,pouvoir et légitimité au Maghreb. Ed,centre national de la recherche scientifique,Paris 1973, P.113

2- صلاح العقاد، مرجع سابق، ص. 221.

3- الهادي التيمومي, تونس 1956 –1987، دار محمد علي للنشر، تونس 2006، ص.13 .

4- هي حركة الشباب التونسي تأسست في شهر فيفري 1907 على يد علي باشا حامبه الذي شن حملة على السلطات الاستعمارية والتنديد بالسياسة الفرنسية ، ويعتبر الشيخ عبد العزيز الثعالبي من المنشطين البارزين حيث عمل على اصدار نشرة عربية من جريدة " التونسي " لسان حال هذه الحركة . للمزيد ارجع الى، **زهير الذوادي** ،الوطنية وهاجس التاريخ في فكر الشيخ عبد العزيز الثعالبي ، سراس للنشر، تونس 1995 ، ص. 07 .

5- صلاح العقاد، المرجع السابق، ص. 222.

حزب تونس الفتاة وقضية الزلاج:

__في عام 1907 قام البشير صفر[1] وعلي باشا حامبه[2] بتنظيم حزب يدعى الحزب التقدمي الذي تطور سنة 1908 الى حزب تونس الفتاة بزعامة علي باشا حامبه للدفاع عن مصالح الأهالي على صفحات جريدة أسبوعية تصدر باللسان الفرنسي تحت اسم التونسي [3] Le Tunisien والتحق بها سنة 1909 الشيخ عبدالعزيزالثعالبي[4] الذي تعهد بإصدار نفس الجريدة باللسان العربي وتجلى نشاط هذا الحزب في الدعاية الواسعة التي قام بها لفائدة الطرابلسيين أيام الزحف الإيطالي سنة 1911 وفي أثناء تلك الفترة التي بلغ فيها التحمس للدفاع عن الإسلام أقصى حد أقدمت بلدية تونس على تسجيل أراضى مقبرة الزلاج (وهي مقبرة تقع في إحدى ضواحي مدينة تونس) التي يجلها التونسيون فأثارت بصنيعها هذا قلاقل خطيرة ولا ينازع أحد اليوم في ما اكتساه موقف البلدية إذ ذاك من سوء تدبير فادح وبالفعل فقد اضطرت إلى العدول عن مشروعها بعد أن فات الفوات واندلعت حوادث دامية يوم 07-11-1911 فلم يظفر الجنود باسترجاع المقبرة والحي المرابط لها إلا بعد خـوض معركـة

حقيقية وكانت تلك أول مرة اصطدمت فيها القوة المسلحة مع الشعب التونسي، ولم يـعرف

1-البشير صفر:(1856 - 1917) يعتبر زعيم الحركة الإصلاحية وأبو النهضة الوطنية التونسية ، رئيس جمعية الأوقاف ، أسس المدرسة الخلد ونية ، التي تعتبر أقدم عمل إصلاحي عرفه جامع الزيتونة . للمزيد أنظر، Sadok Zmerli, Les figures Tunisiennes Successeurs, ed, Maison Tunisienne de l'édition, Tunis 1967, p.15.

2-علي باشا حامبه :(1876 -1918) ولد بتونس العاصمة في عائلة من أصل تركي ، تحصل على إجازة في الحقوق والتحق بسلك المحامين بتونس، له نشاط سياسي كثيف ،أسس جريدة التونسي ،كما أسس حركة الشباب التونسي ،نظرا لنشاطه السياسي قامت السلطات الفرنسية بنفيه فاستقر في تركيا إلى وفاته سنة 1918 . للاطلاع أكثر عد إلى، علي محجوبي ، جذور الحركة الوطنية التونسية (1904 – 1934)، تعريب، عبد الحميد الشابي، بيت الحكمة، قرطاج، تونس 1999، ص. 71.

3-جريدة أسبوعية تونسية باللغة الفرنسية ، لسان حركة الشباب التونسي من 1909 إلى غاية 1912 ترأسها علي باشا حامبه أصدر لها الشيخ عبدالعزيز الثعالبي نسخة لها بالفرنسية. للمزيد أنظر، محمد حمدان ، أعلام الإعلام في تونس 1860-1956، مركز التوثيق القومي ، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم ،تونس 1991، ص. 253

4-عبد العزيز الثعالبي: ولدسنه 1874في مدينة تونس وهو من أصل جزائري ،التحق بجامع الزيتونة تحصل بعد سبع سنوات على شهادة التطويع سنة 1896،شارك في الصحافة الاحتجاجية الوطنية ذات النزعة الإسلامية وأصدر بنفسه جريدة سبيل الرشاد ،انضم إلى حركة الشباب التونسي وأصدر النشرة العربية من جريدة التونسي لمع اسمه في الحركات الاحتجاجية مما أدى بالسلطات الاستعمارية إلى نفيه . بعد الحرب العالمية الأولى تزعم عبد العزيز الثعالبي تيارا أكثر تجذ را واصدر كتابه الشهير "تونس الشهيدة " سنة 1920 . و في نفس التاريخ تأسس الحزب الدستوري الحروأنتخب عبدالعزيز الثعالبي رئيسا له ونظرا لنشاطه السياسي المعارض للسياسة الاستعمارية وتضامنه مع "الناصر باي" نفي مرة أخرى سنة 1923 ولم يسمح له بالعودة إلا في سنة 1937 فوجد الحزب الدستوري الحر قد انقسم وباء ت كل محاولاته لتوحيد الفريقين بالفشل توفي رحمه الله سنة 1944 للمزيد أنظر، زهير الذوادي، المرجع السابق ، ساراس للنشر ، تونس 1995، ص.ص. 5، 8 .

حتى اليوم عدد القتلى من التونسيين وإثر تلك الحوادث انتصبت حالة الحصار ولم ترفع إلا سنة 1921، لقد بينت هذه الحوادث أن روح المقاومة ولدت في الجماهير بعد أن كانت لا تشعر بها إلا نخبة المثقفين وحدها ولم تلبث أن برزت حركة معادية للأجانب انقلبت إلى معارك ذات صبغة اجتماعية، فبمناسبة حادث ذهب ضحيته طفل تونسي تسبب في قتله سائق إيطالي يوم 09-02-1912 قرر المسلمون في تأثرهم بأخبار وردت من حرب طرابلس مقاطعة الترامواي وانتهز العمال العرب هذه الفرصة للمطالبة بنفس الأجور التي كانت تدفع للعمال الإيطاليين القائمين بنفس العمل فلم ينل ذلك المطلب من تصلب موقف الشركة أعلنت الحكومة عندئذ بالرغم من الاحتجاجات الصادرة عن باشا حامبه أن مقاطعة الترامواي تعتبر مؤامرة سياسية ضد الإدارة الفرنسية وبعد أن مني إنذارها بالفشل أمرت بنفي باشا حامبه والثعالبي[1].

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى و إعلان الرئيس الأمريكي ولسون عن مبادئه[2] التي أقرت في إحدى نقاطها، حق تقرير المصير لكل الشعوب تحرك الوطنيون التونسيون وحاولوا دفع العمل الوطني وعرض القضية التونسية على الرأي العام الدولي خصوصا بعد تأسيس عصبة الأمم[3] وبعد أن دعا المشاركون، في مؤتمر جمعية حقوق الإنسان، إلى إقرار مبدأ حق كل شعب في تقرير مصيره، في شهر مارس 1919 التقى جمع من الوطنيين في مقهى فرنسا بتونس، ودار نقاش آنذاك حول الوضع التونسي

ومتطلباته، وحول صياغة مطالب سياسية مستوحاة من المطالب التي كانت تدافع عنها (جريدة التونسي). والتي كانت أكثر تجذرا بحيث طالب بدستور للبلاد والعمـل من أجل استرداد السيـادة التونسية، وأثناء إقامته بباريس حرر الشيخ الثعالبي كتابا ضمنه غرضا للحالة التي عليهاالإيالة التونسية

1- شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص.ص، 89، 90.
2- ويلسن توماس ودروو: (1856 -1924) رجل دولة أمريكي ، ينتمي للحزب الديمقراطي ،حاكم ولاية نيوجرسي سنة 1910 ،رئيس للولايات المتحدة الأمريكية (1913 -1921) ، أصد رمبادؤه الأربعة عشر السامية ومنها تقرير مصير الشعوب وإنشاء عصبة الأمم لحفظ السلام العالمي ،إلا أن الحلفاء لم يطبقوا من مبادئه إلا هذه الأخيرة .تحصل على جائزة نوبل للسلام سنة 1920 . أنظر للمزيد،Le Petit Robert2, ed,S.N.L Le Robert, Paris 1984, p.1918.
3- عصبة الأمم :المنظمة الدولية التي تأسست سنة 1920 من أجل السلام والتنمية والتعاون بين الشعوب ، ويعود الفضل في إنشائها إلى الرئيس الأمريكي " ويلسن " كا ن مقرها في" جنيف" العاصمة السابقة لسويسرا. لم تحقق الأهداف التي أسست من أجلها وكانت عاجزة على حل الكثير من المشاكل وأكبر عقبة واجهتها هي عدم استطاعتها على منع اندلاع الحرب العالمية الثانية .انتهت بصفة رسمية سنة 1946 وعوضت بمنظمة الأمم المتحدة، نفس المرجع . ص.1682.

والمطالب التي يعمل الوطنيون على تحقيقها وقد تكفل أحمد الصافي[1] بترجمة كتاب " تونس الشهيدة "[2] إلى اللغة الفرنسية لكي يكون وثيقة عمل ونضال في أوروبا[3].

لقد أظهر الثعالبي حتى ذلك الوقت تمسكه بمبادئ حزب تونس الفتاة المبنية على فكرة الاستقلال التام.[4]

كتب الثعالبي يقول :" إذا كانت الوصاية على بلادنا ترمي حقيقة إلى هدف وحيد ونزيه آلا وهو الارتفاع بنا إلى مستوى الشعوب القـادرة على أن تحكم نفسها بنفسها كما يطيب للحكومة والبرلمان بفرنسا الإعلان عنه وكما تصرح بذالك معاهدات الحماية ،فان على فرنسا أن تقوم بواجبها الحتمي وذالك بأن تعدل تعديلا جوهريا وبدون تأخير النظام المسلط علينا والذي لم يتواصل إلى اليوم إلا على حساب كرامتنا وبواسطة القهر والإرهاب والظلم وهي وسائل عادية محتومة بالنسبة للنظم المقامة على التعسف والاستبداد ".[5]

شكل كتاب "تونس الشهيدة " لحظة مهمة في تاريخ الحركة الوطنية التونسية حيث لخص همومها وتصوراتها ومطالبها بشكل متكامل ،وضمن الأفكار السائدة بين صفوف المناضلين والقادة للعمل الوطني في تلك الفترة التاريخية، ولذلك أدى الكتاب دوره المنتظر[6].

1- أحمد الصافي :استاذ و في الحقوق ،شغل منصب مندوب الحزب التونسي القار في باريس ،بعد تأسيس الحزب الدستوري الحر سنة 1920 أنتخب أمينا عاما للحزب ، عضو في اللجنة التنفيذية ، يعود له الفضل في ترجمة كتاب" تونس الشهيدة " إلى اللغة الفرنسية .أنظر للمزيد، شارل اندري جوليان، نفس المرجع، ص. 91 .
2- تونس الشهيدة : كتاب ألفه الشيخ عبد العزيزالثعالبي سنة 1920 في باريس ، يعتبر الكتاب حصيلة نضال النخبة الوطنية التونسية وتعبير عنها وعنه وحوصلة لمشاغلها الوطنية ،تكفل أحمد الصافي بترجمة الكتاب إلى اللغة الفرنسية لكي يكون وثيقة عمل ونضال في أوروبا ،أرسلت نسخ منه إلى كل عضو من أعضاء البرلمان الفرنسي كما وجهت نسخ منه إلى أكبر الجرائد والمجلات في الدول

الأوربية وللعالم العربي والإسلامي ، مما جعل السلطات الفرنسية تصعد ملاحقتها، لكاتبه وقرائه وموزعيه. للاطلاع أكثر أنظر، زهير الذوادي ، المرجع السابق، ص. 37.
3- زهير الذوادي، نفسه، ص.ص. 5، 8 .

4- صلاح العقاد، المرجع السابق، ص.326.

5- عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة, دار الغرب الإسلامي، بيروت,1984، ص.291 .

6- زهير الذوادي ، المرجع السابق، ص.37.

نشأة الحزب الدستوري الحر وبرنامجه:

بالرغم من مجهودات الإدارة فقد تم في البلاد التونسية توزيع كتاب تونس الشهيدة في طي الخفاء. وأقبل عليه القراء إقبالا رائعا،"،[1] والتف الشعب والطلائع المثقفة والمناضلون حول عبد العزيز الثعالبي ودعوه إلى تأسيس حركة سياسية وطنية تنظم النضال الوطني فظهر الحزب الحر الدستوري التونسي المدعو عادة الدستور, في فيفري 1920وأنتخب الشيخ عبد العزيز الثعالبي بالإجماع رئيسا للحزب, والمحامي أحمد الصافي أمينا عاما له.[2]

نشر هذا الحزب بيانا يطالب فيه بتحرير الشعب التونسي من قيود الاستعباد ومنحه دستورا بموافقة الباي[3] يمكنه من حق حكم شؤونه بنفسه دون سواه بإشراف العائلة الحسينية[3]، ويكون البرلمان منتخبا من التونسيين فحسب، وتكون الحكومة مسئولة أمامه، وعلى نفس القاعدة تنتخب المجالس البلدية والحجر التجارية والفلاحية. ولا يتألف الجيش التونسي إلا من التونسيين. وينبغي أن يخضع جميع السكان إلى العدالة التونسية، إلا فيما يتعلق بقانون الحالة الشخصية. ويجب اتخاذ إجراءات لاسترجاع أراضى الاستعمار وإحياء الملكية الأهلية، ولئن كان ذلك البرنامج قد حدد الغاية الواجب بلوغها فإنه لا ينفي إمكانية التحصيل على إصلاحات بكفاح يقوم به الشعب التونسي مع مساع دبلوماسية تجرى في باريس[4].

لقد انطلق الوفد الدستوري الأول[5] إلى فرنسا يوم 06-06-1920 لكن سرعان ما ألصقت السلطات الفرنسية التهم بالشيخ عبد العزيز الثعالبي وقد صاحب ذلك حملة قمعية ضد كل الوطنيين التونسيين داخل البلاد وتم إيقاف الشيخ عبد العزيز الثعالبي في باريس يوم 28-08-1920، وبعد محاكمته نقل بعدها إلى تونس وألقي به في

1- شارل اندري جوليان، المصدر السابق، ص.92.
2- الطاهر عبدالله, المصدر السابق , ص.61 .
3- للمزيد حول هؤلاء البايات الحسنيون في عهد الحماية (1881 - 1957) أنظر، الملحق رقم : 03 ، ص، 120.
3- العائلة الحسينية : عائلة حكمت تونس وهي ذات أصل تونسي وتتبع اسميا السلطان العثماني ،أبقت الحماية على الأسرة وفق شروط معاهدة" باردو"سنة 1881 . في هذه العائلة لايورث العرش من الأب إلى الابن الأكبر، بل إن أكبر العائلة سنا

على العموم هو الذي يخلف الملك على العرش . ويحمل الوارث للعرش لقب "باي الامحال". للمزيد أنظر، شارل اندري جوليان، المصدر السابق، ص. 61.

4- نفسه، ص. 92.

5- تكون من أحمد الصافي ، بشيرعكاشة، مصطفى الباهي، صالح بلعجوزة، بشير البقري إضافة الى عبد العزيز الثعالبي الموجود آنذاك في فرنسا. للمزيد أنظر، - زهير الذوادي ، المرجع السابق، ص.09.

السـجن العسكري يـوم 22-09-1920 بتهمة التآمر على أمن الدولة، وإثر التحقيق و البحوث التي أدت إلى إظهار براءة عبد العزيز الثعالبي بقي الشيخ رهين السجن بتهمة خرق البند 81 من القانون الجنائي الذي يمنع التونسيين من نقد القرارات الإدارية للسلطات الحماية، ولم يطلق سراحه إلا في شهر ماي 1921 وأرسل الحزب الدستوري وفدا ثانيا[1] إلى باريس يوم 24-12-1920 يحمل مذكرة معتدلة بالنسبة للمطالب التي قدمت من طرف الوفد الدستوري الأول حيث أسقطت المطالبة بدستور للبلاد باعتبار ذلك مناهضا لسلطات الحماية ووقع تعويضه بحق التعليم الابتدائي الإجباري، وكان لوسيان سان[2] قد سمي مقيما عاما في تونس منذ 28-12-1920 عاد الوفد الدستوري الثاني من باريس يوم 09-02-1921، وقد نجـح في دفع موجة التضامن والتفاعل الإيجابي مع القضية التونسية داخل الأوساط السياسية اليسارية الفرنسية التي دافعت وروجت لكتاب الشيخ " تونس الشهيدة".[3]

إن عبد العزيز الثعالبي إلى جانب كونه زعيم حركة سياسية كان من أركان الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والفكري والديني الذي قامت عليه حركة الإصلاح والحركة الوطنية في تونس، وتقوم أيديولوجية الإصلاح لدى الثعالبي على أن مصدر التشريع الملائم للبلاد العربية هو تراثها العربي الإسلامي، وأن العرب أمة واحدة لا بد من أن تتوحد، والدين عنده قوام العلم والعمل والأخلاق، فكان لزاما تطهير الدين الإسلامي من البدع والضلالات والطرقية لكي لا يستغل المستعمـر الدين لمحاربة الحركـة الوطنـية التي تستهدف تنوير المجتمع وربطه بعنصر حضارته العربيـة

1-شارك في ذلك الوفد كل من حسونة العياشي، حمودة المنستيري، عبدا لرحمان اللزام، أيلي زارح (يهودي)، حسن القلاتي، للمزيد أنظر ، زهيرالذوادي، المرجع السابق، ص.09.

2-لوسيان سان :(1867- 1938) مجاز في الحقوق ودخل سلك الإدارة ،عين مقيما عاما بتونس (1921 -1929) رفع حالة الحصار بتونس ،قام بعدة إصلاحات سنة 1922 ، شجع الانقسامات التي ظهرت داخل الحزب الدستوري الحر،أجبر عبدا لعزيز الثعالبي على الهجرة الى المشرق سنة 1923 ،أصدر سنة 1926 أوامر زجرية صارمة تمنع الحريات بكل أنواعها ،نقل لوسيان سان سنة 1929 الى المغرب وأحيل على التقاعد سنة 1933 توفي بباريس سنة 1938. للمزيد أنظر، نور الدين الدقي، تنظيم الحكم بتونس في فترة الحماية الفرنسية 1881-1956، دار الكتب الوطنية للتوثيق والإعلام، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس 1986 ص، 200. للمزيد أكثر عن المقيمين العامين في فترة الحماية الفرنسية على تونس أنظر الملحق رقم: 04، ص، 121.

3-زهير الذوادي ، المرجع السابق، ص.10.

الصحيحة وأسلوبه في تحقيق النهضة الإصلاحية هو التوعية الصحيحة القائمة على الاتصال المباشر والمستمر بالجماهير الشعبية، وعمل على تكوين عدة مشاريع اجتماعية وثقافية لكي يتسنى للحزب أن ينظم الشعب عن طريقها تنظيما محكما وقد أخذ الباي محمد الناصر[1] يساند الحزب الحر الدستوري مساندة مطلقة، ونظرا لتعاظم دور الحركة الوطنية تم تعيين المقيم العام لوسيان سان الذي عرف بالدهاء والمكر والمراوغة بحيث شرع في رفع الأحكام العرفية وأدخل بعض الإصلاحات على مجلس الشورى الذي أصبح يدعى بالمجلس الكبير وكذلك أوجد وزارة العدل وأطلق الحريات العامة وفق مخطط استعماري نسج خيوطه لكي يتسنى له بعد ذلك إغراق تونس بالجاليات الأجنبية الأوروبية إلى جانب الجالية الفرنسية الضخمة[2].

إن تلك الإصلاحات عززت جانب امتيازات المستوطنين وكذلك جانب الأعيان الأهليين المخلصين لفرنسا، كما أنها لم تمنح المجلس الكبير إلا مهمة استشارية مخولة للمقيم العام إمكانية صرف النظر عما يتفق عليه القسمان في شؤون الميزانية لأسباب تتعلق بالأمن العام أو بمصالح فرنس الأدبية والمادية، فلم تكن تلك الإصلاحات لتحل المشاكل الحقيقية بل تجاهلتها ولئن أحرزت على استحسان الإصلاحيين[3] فلقد اعتبرها الدستور هزيلة جدا[4].

منذ نشأة حركة الشباب التونسي في بداية القرن العشرين ورغم طابعها الإصلاحي والتجديدي يتقاسمها تياران تيار منجذب إلى الغرب خاصة من الذين تثقفوا

1- محمد الناصر باي :(1857 -1922)هو ابن محمد باي الذي أصدر عهد الأمان، عين محمد الناصر باي على تونس في الفترة الممتدة (1906 -1922)، أنشئت في عهده الحالة المدنية بالبلاد التونسية سنة 1908، تميز عهده بظهور حركة الشباب التونسي1907 وتأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي 1920، عرف بتعاطفه مع الحركة الوطنية, توفي سنة 1922. أن للمزيد أنظر، نورالدين الدقي، المرجع السابق، ص. 186.

2- الطاهرعبدالله, المصدر السابق, ص.ص.61-62

3- الإصلاحيون: نسبة الى الحزب الإصلاحي الذي تأسس سنة 1921 بزعامة " حسن القلاتي " المنشق عن الحزب الدستوري الحر، الذي أصدر جريدة" البرهان "، اعتبر أن العمل الوطني قد انحرف تحت تأثير التطرف الذي يرفعه الشيخ الثعالبي، للمزيد من التفاصيل عد الى، زهير الذوادي، المرجع السابق، ص. 10.

4- شارل اندري جوليان، المصدر السابق، ص. 76.

ثقافة فرنسية ويرون في الحضارة الغربية المثال، وتيار آخر وهو الأقرب إلى الوجدان الشعبي وهو تيار العروبة والإسلام وأتباعه هم خاصة من متخرجي الزيتونة وقد حددوا مرجعهم في الحضارة العربية وصب آمالهم في المشرق العربي والجامعة الإسلامية.[1]

كان الناصر باي قد أظهر منذ سنة 1920 رغبته في التخلي عن العرش لمساندة المطالب الوطنية وخاصة منها الدستور. والناصر باي

ينتمي للجناح المتعاطف مع النضال الوطني داخل عائلة البايات الحاكمة. واتبع المقيم العام "لوسيان سان" سياسة متحجرة ضد كل القوى الوطنية التونسية وأنصارها داخل عائلة الباي فخطط لضرب التحالف القائم بين الباي والحزب الدستوري حيث ينتقد الباي بشدة العمل والمطالب الوطنية و يتبرأ منها متهما إياها بالشيوعية فاغتاظ الناصر باي لذلك الصنيع وقرر التخلي عن العرش، وعند اندلاع تلك الأزمة حاولت السلطات الفرنسية تخطيها بكل الوسائل، مما أدى إلى تراجع الباي في نهاية الأمر عن قراره الخاص بالتخلي عن العرش تحت تأثير مناورات المقيم العام ونفوذه وضغوطه العسكرية والسياسية. لقد عمل الحزب الدستوري وخاصة الثعالبي منذ يوم 05-04-1922على تعبئة الرأي العام التونسي في التضامن مع الباي فانطلقت المظاهرات السلمية الكبيرة وعقدت الاجتماعات والمهرجانات السياسية في 10-04-1922 ثم تقررت مقاطعة كل البضائع المستوردة من فرنسا في 11-04-1922 وفي اجتماع 18-04-1922 اقترح عبد العزيز الثعالبي مقاطعة شعبية ورسمية لكل الاحتفالات والمهرجانات المزمع إقامتها بمناسبة زيارة الرئيس الفرنسي "ميلران [2]"Millerand الى تونس[3].

وبسبب ذلك قادت السلطات الاستعمارية حملة من الإرهاب والقمع ضد الحركة

1-عميرة علية الصغير، "النخبة في تونس والقضايا العربية فيما بين (1920 –1925)".(أعمال الندوة العاشرة حول المغرب العربي في العشرينات)، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية التونسية، تونس 2001، ص.202.

2- ميلران ايتيان الكسندر:(1859- 1943) من رجال السياسة الفرنسيين، نائب بالبرلمان (1885-1889)، وزيرا للتجارة والصناعة (1899 -1902)، وزيرا للحربية (1912 -1915)، رئيسا للجمهورية الفرنسية (1920 - 1924) استقال بعد فوز اليسار الفرنسي في انتخابات 1924. أنظر في دلك : - Le Petit Robert2, p.1213.

3- زهير الذوادي، المرجع السابق، ص. 12.

الوطنية وقيادتها، ففي سنة 1923 سلط ضغط شديد على الباي محمد ناصر بسبب مواقفه الوطنية وحوصر قصره بالجيش والدبابات فهب الشعب متضامنا مع الباي في موقفه الوطني[1] وبسبب ذلك أجبر هذا المقيم العام أن يفك الحصار على الباي ووعده بتنفيذ المطالب الوطنية للحزب الدستوري وبعد مغادرة رئيس الجمهورية تونس متوجها إلى فرنسا أعاد المقيم العام القمع من جديد، فصادر الحريات العامة وفرض جوا من الرعب والإرهاب وتعطيل الصحف وغلق النوادي والجمعيات، وكثر الاضطهاد والتشريد، ونفي الشيخ عبد العزيز الثعالبي الى الخارج فعاش متنقلا بين مصر وبغداد وفلسطين وربط نضال الحركة الوطنية في تونس بالحركة الوطنية في مصر والشرق العربي[2] .

1- اثر زيارة الرئيس الفرنسي "ميلران " إلى تونس سنة 1922 صرح :" بأن تونس ستظل مرتبطة بفرنسا الى الأبد." فشن بدلك الدستوريون حملة عنيفة على هذا التصريح أيدهم فيها الباي محمد الناصر، ورفض أن يوقع بعض المراسيم الخاصة بالإصلاحات لأنه رآها غير كافية. للاطلاع أكثر عد إلى، صلاح العقاد، المرجع السابق، ص. 337.

2- الطاهر عبدالله, المصدر السابق, ص.63.

انقسامات الحزب الدستوري الحر ومولد الحزب الدستوري الجديد:

منذ انطلاق الحركة الدستورية كان الثعالبي حريصا على تجذير المطالب السياسية للحزب وأساليب عمله وصيغ ومحاور تحالفاته على الصعيد السياسي والاجتماعي.[1]

مرت تونس بعد سفر الثعالبي فترة ركود دامت أعواما قليلة إذ رجع جماعة من الشباب القومي النشيط من فرنسا حيث أتموا دراستهم ومن بينهم الأستاذ الحبيب بورقيبة[2] الذي امتاز بشخصية قوية وإرادة فعالة وفكر واضح وجلي.[3]

وعبر جريدة العمل[4] التي كان يديرها يطلعنا فيها على الوعي النقدي الذي انتشر وسط النخبة التونسية حول مضمون العمل الوطني فكرا وممارسة وحول جدوى أساليبه وصيغه النضالية ونجاعة تصوراته الإستراتيجية. إن عمل الثعالبي في العشرينات هو مقدمة طبيعية للصحوة التي تحرك ضمنها الجيل المؤسس للحزب الدستوري الجديد ولعله من الطبيعي أن يتجاوز التلاميذ المعلم، لقد عرف التاريخ الفكري والسياسي والاجتماعي تلك الظاهرة في تونس وبقية البلدان التي عرفت تحولات اجتماعية وسياسية كبرى[5].

كما أن هذا التيار الشباني المنظم للحزب الدستوري الحر كان يستغل كل الظروف للظهور على الساحة الوطنية وكان ينوع صيغ

نضاله الدعائي والتحريضي المناهض للاستعمار أعطى روح نضالية نشيطة للحزب، وأصبح الحزب أكثر ديناميكية

1- زهير الذوادي، المرجع السابق، ص.46.
2- الحبيب بورقيبة: ولد في 03 - 08 -1903 بالمنستير (تونس)، درس في الصادقية ثم درس الحقوق والعلوم السياسية في باريس، اشتغل محاميا سنة 1927، انضم إلى الحزب الدستوري الحر، أصبح عضوا في اللجنة التنفيذية للحزب، من مؤسسي جريدة " العمل "وأول مدير لها ،استقال من الحزب (1933) من مؤسسي الحزب الدستوري الجديد، وأصبح رئيسه، بعد الاستقلال أصبح أول رئيس للجمهورية التونسية حتى سنة 1987 . للمزيد أنظر، **محمد حمدان**، أعلام الإعلام في تونس ، مركز التوثيق القومي، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس 1991، ص 194 .
3- علي البهلوان، تونس الثائرة، دار الكتب الوطنية، تونس 1954، ص.45.
4- جريدة "العمل ": جريدة إخبارية سياسية أسبوعية ثم يومية، لسان حال الحزب الدستوري الجديد منذ سنة 1934، أسسها كل من محمود الماطري، الحبيب بورقيبة وشقيقه محمد بورقيبة، الطاهر صفر، عين الحبيب بورقيبة مديرا لها. للمزيد أنظر ، محمد حمدان ، المرجع السابق ، ص. 266 .
5- زهير الذوادي، المرجع السابق، ص.48.

فعندما عرفت تونس انعقاد المؤتمـر الأفخارستي[1] في تاريخ 1930 فهذا التيار الشباني كان على وعي تام بواقع البلاد وبظروف الحماية وبدور فرنسا ويملك رؤية واضحة لمستقبلها وتمثلت ردود فعله في ما حررته النخبة من عرائض قدمتها الى الباي والحكومة وما كتبته على صفحات جرائد ه من مقالات كان لها دور فاعـل في تحسيس الجماهير بخطورة المؤتمر الأفخارستي وفضح الحكومة الفرنسية المتحالفة مع الكنيسة[2].

لقد جاء في جريدة " صوت التونسي "بتاريخ ماي 1930 مايلي: " ليس بإمكان الصليب أن يفعل شيئا، إن الإسلام يحمل في جوهره مناعة ذاتية تحميه، وعبثا يحاول أنصار "لافيجري"[3] وأتباعه أن ينالوا منه، فليحاولوا اليوم وغدا تنصير الشعب التونسي المسلم ... إن الإسلام ليس في حاجة الى تبشير ومبشرين، ولا الى دعم سخي من الحكام ولا الى الوسائل المالية والاقتصادية التي احتاجت إليها الكنيسة، فهو ينتشر بسرعة مهولة اعتمادا على قوته الذاتية لأن الحقيقة كامنة في جوهره .إن المؤتمر الأفخارستي يقدم لنا درسا ويمنحنا فرصة، نحن الشباب لنختبر وعينا ولنرسم طريقنا الذي سنضعه نصب أعيننا، فليكن ديننا سبيلا الى وحدتنا ولتكن صفوفنا متراصة كما يفعل الشباب المسيحي، وليكن ديننا حافزا لتحركنا" .[4]

كما عرفت تونس أزمة اقتصادية سنتي 1930 –1931 كان لها الأثر السلبي على قطاعات واسعة من السكان مما خلف حالة من الاستياء والتذمر الشعبي، استغل الحبيب بورقيبة هذا الظرف الاقتصادي ووجه انتقاداته لحكومـة الحماية لعدم اهتمامها بأمور الشعب الذي عانى من انتشار المجاعات والأوبئة والأمـراض نتيـجة سوء التـغذية

1- الإ فخرستي: هو المؤتمر الثلاثون للمسيحيين، عقد بقرطاج (تونس)، خلال شهر أفريل 1930،حضره خمسون ألف من المؤتمرين من واحد وعشرين بلدا أجنبيا. والأفخارستية هو الفعل المقدس الذي يقوم به رجل الدين المسيحي، من عباد ة وابتهال وتكفير عن الخطيئة التي يرتكبها الإنسان،. للمزيد أنظر،**سالم حداد،** صراع الهوية بين الأنا والآخر، الأطلسية للنشر، تونس 2000 ، ص.256 .
2- سالم حداد، المرجع السابق، ص.286.
3- لافيجري، شارل.مارسيال: (1825 – 1892)، أستاذ في التاريخ، مدير أعمال مدارس الشرق في سوريا. في سنة 1867 تولى منصب أسقف الجزائر وكون فرق الآباء البيض والأخوات البيض، سمي أسقف الصحراء والسودان من قبل البابا بياكس. وفي سنة 1857 زار تونس، وساعد على إقامة الكنائس والمدارس بها. للمزيد أنظر،Le Petit Robert 2.Opcit.p,1036.
4- محمد صالح اللاجري، المرجع السابق، ص. 21 .

ولذلك دعاها في شهر جوان 1931 إلى إلقاء نظرة عامة على الداء الذي كان ينخر البلاد، وتبديد الجو المسموم الذي كان ينذر بإغراق البلاد التونسية في عهد من الاضطرابات والفتن لا يمكن إلا أن يزعزع مركز فرنسا في هذه البلاد، فقد كانت الطبقات الدنيا من الشعب التونسي مهددة بصفة كلية بالمجاعة سنة 1931 وكانت هذه الأزمة خطيرة لاسيما وأنها تتضمن مظهرين لا يقل الواحد هولا عن الأخ، فقد عاشت البلاد التونسية من 1930 إلى 1935 أزمتين متتاليتين ومتشابكتين، فالأولى قد أصابت البلاد خاصة في 1930 و1931 كانت أزمة تقليدية تمثلت في النقص في الإنتاج وهي ناجمة خاصة عن رداءة الأحوال المناخية. إذ شهدت البلاد في 1930 و1932 جفافا استثنائيا، أما الثانية وقد ظهرت بداية 1932 فكانت أزمة عصرية تمثلت في وفرة الإنتاج أو على الأصح، في تدني الاستهلاك. والتي نجمت في معظمها عن الأزمة الاقتصادية العالمية الكبرى التي انطلقت من نيويورك في ذلك الخميس الأسود 24اكتوبر1929 لتكتسح تدريجيا كامل العالم الرأسمالي ومستعمراته . وقد شملت الأزمة فرنسا في نهاية1931 وسرعان ما انتشرت في البلدان التي كانت تابعة لها سياسيا مثل تونس.[1]

وفي سنة 1932 كان الرأي العام التونسي مشغولا بقضية التجنيس، فالمسلمين رأوا في التجنيس مسخا لشخصيتهم وحربا على هويتهم الإسلامية واعتداء على سيادتهم الوطنية لأن الهدف البعيد هو الإدماج، أما اليهود فقد اعتبروه مكسبا ماديا ومعنويا يزيح عنهم كاهل العدالة التونسية ويمتعهم بحق المواطنة الفرنسية، غير أنه بالنسبة إلى الأوساط الاستعمارية يستهدف تحقيق غايتين : مواصلة سياسة الإدماج التي بدأتها في الجزائر وخلق التوازن الذي ما زال مختلا لفائدة الجالية الإيطالية على حساب الجالية الفرنسية، ففرنسا رغم اتفاقها مع ايطاليا على فرض حمايتها على تونس ما زالت ترهب جانبها لأنها تعرف أطماعها لذا كانت تعد لكل شيء حسابا ومن هذه الحسابات

1- **علي محجوبي**، جذور الحركة الوطنية التونسية 1904-1934، تعريب عبد الحميد الشابي، ط 1، بيت الحكمة، قرطاج، تونس 1999، ص.587 .

ضرورة الاختلال الديموغرافي، وقد وجدت نفسها أمام إشكالية صعبة فلم تستطع طرد الإيطاليين حتى تخفض من عددهم ولا يمكن لها أن تسمح لهم أيضا بالتفوق العددي، لذا شجعت الفرنسيين أبناءها سواء من الوطن الأم أو من الجزائر ومنحتهم الامتيازات للاستقرار بالبلاد التونسية،لكن رغم هذا التشجيع فان عددهم بقي محدودا فالتجأت الى الأوربيين غير الإيطاليين ثم عملت الى التجنيس الآلي لأبناء هؤلاء وأخيرا كان التوجه نحو اليهود والمسلمين. وبالرغم من جميع الامتيازات الممنوحة للفرنسيين الراغبين في الاستقرار بالبلاد التونسية وبالرغم من قدوم أفواج من الفرنسيين الوافدين،فقد بقي عدد الفرنسيين أقل بكثير من عدد الإيطاليين الذين ما فتئوا يغادرون جزيرة صقلية وكذلك الأراضي الفقيرة بجنوب ايطاليا المكتظة بالسكان متوجهين للبلاد التونسية للاستقرار بها وللرفع من عدد السكان المتحصلين على الجنسية الفرنسية والقاطنين بالبلاد التونسية ولتقليل من التفاوت بين عدد الإيطاليين والفرنسيين عمدت السلطات الفرنسية الى تشجيع سياسة التجنيس بشتى الوسائل من ذلك أن امتيازات متعددة قد منحت لكل من يعتنق الجنسية الفرنسية (توسيع قطعة الأرض، منح تسهيلات للحصول على القروض والارتقاء السريع في الوظيفة العمومية). [1]

وكانت هناك مجموعة من المثقفين تعمل بجريدة العمل وعلى رأسها الدكتور محمود الماطري[2] والمحامي الشاب الحبيب بورقيبة وبرزت هذه المجموعة لموقفها المعارض من قانون التجنيس[3]الذي أصدرته الإدارة الاستعمارية لتجنس العرب التونسيين بالجنسية الفرنسية، وقاومت المجوعة هذا القانون بحجة أنه يرمي إلى

1- سالم حداد، المرجع السابق، ص.188.

2- محمود الماطري : 1897- 1972) درس في الصادقية ثم في فرنسا تحصل على الدكتوراه في الطب من فرنسا ساهم في تحرير جريدة "الصوت التونسي" وجريد ة "العمل"، أنتخب رئيسا للحزب الدستوري الجديد منذ تأسيسه حتى سنة 1938 تحمل عدة مسؤوليات وزارية. للمزيد أنظر، محمد حمدان ، المرجع السابق، ص. 227 .

3- قانون التجنيس :صدر بمرسومين: المرسوم الأول كان بتاريخ 03 أكتوبر 1910 نص على : أن الجنسية الفرنسية تمنح للفئة التي لها تكوين ثقافي فرنسي وقدمت خدمات لفرنسا، والمرسوم الثاني : صدر بتاريخ 20 ديسمبر 1923 وجاء أكثر مرونة ونص على: أن الجنسية الفرنسية تمنح لمن يحسنون الفرنسية قراءة وكتابة وللمجند ين وللمتزوجين بفرنسيات ولمن لهم مزايا على الدولة الفرنسية . للاطلاع أكثر عد إلى: سالم حداد، المرجع السابق، ص. ص.187،186.

تنصير العرب وفرنستهم والقضاء على الشخصية الوطنية والقومية، وهب الشعب متضامنا مع الدعوة التي حمل لواءها الطاهر صفر ومجموعته وذهب لاحتلال المقابر الإسلامية لكي يمنع دفن المتجنسين بالجنسية الفرنسية بالمقابر التونسية، وقد مات بعض المتجنسين ومنع الشعب دفنهم في مقابر أجدادهم، وقد وقعت أحداث دامية في المنستير والمكنين وقصر هلال وتيلية وتونس العاصمة واستشهد عشرات الوطنيين خاصة عندما سخر الاستعمار قوات هائلة لسحق الشعب والحركة الوطنية[1].

وخلاصة القول أنه إذا كان العامل الديني قد برز بعنف في الثلاثينات فلأن الحالة الاقتصادية والاجتماعية للسكان كانت في تلك الفترة متفجرة بوجه خاص،
وفي الواقع فان الأحداث الناتجة عن انعقاد المؤتمر الأفخارستي إلى جانب دفن المجنسين بالمقابر الإسلامية والتي اكتسبت صبغة دينية قد اندلعت في فترة اجتاحت فيها البلاد التونسية أزمة اقتصادية واجتماعية زادت التناقضات الناجمة عن نظام الحماية حدة،وكان الغضب الكامن في نفوس السكان تبعا للحالة الاجتماعية ولاقتصادية قد تفجر بمناسبة عقد تظاهرات مثل المؤتمر الأفخارستي بقرطاج ودفن التونسيين المجنسين بالمقابر الإسلامية اللذين اعتبرا آنذاك بمثابة والإهانة للدين الإسلامي . وبعبارة أخرى، لو كانت ظروف مثل هذا الاعتداء على الإسلام أنسب لما كان لهذه الاضطرابات أن تحدث وان بلغ الأمر حد صدم السكان في معتقداتهم الدينية، ولكن الدين، في وضع البلاد التونسية المتفجر في الثلاثينات قد لعب بالضبط دور القادح للانفجار، فالأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها البلاد التونسية في الثلاثينات هي التي تفسر بالأساس تصلب الحركة الوطنية[2]

اعترفت الإقامة العامة في آخر الأمر بأنها اتبعت منهجا لا يتماشى مع الظرف السياسي، فقررت إحداث مقابر خاصة للمتجنسين ولكنها في الوقت نفسه

1- الطاهر عبد الله، المصدر السابق، ص.65.
2- علي محجوبي، المصدر السابق، ص. 582.

عمدت إلى القضاء على المعارضة، فاستصدرت أمرين في 6 ماي 1933 عبر عنهما بالأوامر الاستثنائية العاتية[1] تنص على وضع الإقامة تحت الرقابة الإدارية ، ثم سلطت على الجرائد التونسية

الصادرة باللسان الفـرنسي وسائل زجرية ، فألحقـت بها نظام التـوقـيف المـتعـلق بالصحافـة العربية[2].

لقـد عـرفت الحركة الوطنية التونسية في تلك المرحلة وأثناء غياب الشيخ تحولات كبرى على جميع الأصعدة ، وساهمت الصحافـة في إفراز وبلورة النصيب المتجدد والمتصـلب من الأفكار السياسية الجد يده والمتحـمسة لمجالات العمل الوطني فـعبر القضايا النظرية والعملية برز خلا ف سياسي عميق في صفـوف الحـزب الدستوري وقـد خص ذلك الخلاف التكتيك والإستـراتيجية وأساليب العـمل النـضالي[3].

أدرك الحزب الدستوري خصائص الوضع الجد يد ، وشجعه ما أبداه التونسيون من جرأة وما أعرب عنه العالم العربي والإسلامي من تضامن على التخلي عن حذره المعتاد فـقـام باد ماج شبان عـرفـوا بمـواقـفـهم الوطنية المتصلبة في قـياد ته ، كما تبنى برنامجا أكثر تقـد ما بكثيرٍ من البرنامج القـد يم . هذا الاتجاه الجد يد، أقره مؤتمر الحزب الملتئم[4] يومي 12/13 ماي 1933 وفيه تشكلت مختلف النزعات الوطنية في جبهة واحدة ، ومع افـتتـاح المؤتمر، ألقـى الحبيب بورقـيبة رئيس تحرير جريدةٌ "العمل التونسي" خطابا حماسيا منتقدا سياسة الحزب المهادنة للإستعمار والتي لاتخدم الشعب التونسي في حصوله على أدنى الحقوق، كما شرح فيه الأسبـاب

1- الأوامر" الاستثنائية العاتية ": تعرف كذلك بالأوامر "المتناهية في الجور" صدرت في تاريخ 29 /01 /1926 وتتلخص في وضع التونسيين تحت المراقبة في تراب قبيلة أو بدوار أو ببلدة يأذن بها المقيم العام عندما يتعلق الأمر بإنهاء أعمال عدوانية (ضد شخص الباي أو عائلته أو ضد الأمة الحامية أو ضد إدارة الحماية) أو بأفعال تمس الأمن العام بسوء. للمزيد أنظر ، علي محجوبي ، المرجع السابق، ص. 549.

2- شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص. 100.

3- زهير الذوادي، المرجع السابق، ص.49.

4- مؤتمر الحزب الملتئم: وهو مؤتمر نهج الجبل الذي انعقد يومي 12/13 ماي 1933 سمي هكذا لعقده في محل يقع بنهج الجبل بالعاصمة تونس جمع هذا المؤتمر 90 نائبا، أنظر عنه أكثر، علي محجوبي ، المصدر السابق، ص. 546.

الداعية إلى هذا التجمع وأهدافه،ولذلك فإن الحبيب بورقيبة يمثل صفة الجناح المتصلب من حزب الدستوري الحر[1].

يقـول الأستاذ الحبيب بورقيبة:" إن الحزب الحر الدستوري العظيـم بما له من تنـظيـم عتيد،هو الجهاز الملائم تماما والقادر على الجمع والتوحيـد بين كل النزاعات الوطنية التونسية بشرط العدول عن طرقه البالية وبرنامجه القـديم الذي قـد تجاوزتـه الأحداث أيما تجاوز ولم يعد يستجيب لتطلعات الشعب العميـقـة"[2].

لذلك صادق المؤتمر يوم 13ماي 1933 على ميثاق اندفـع به حزب الدستور في طريق التصلب فقد أعلن هذا الحزب في الميثاق " أن الهدف الذي يلزم به عمله السياسي هـو بلوغ تحرير الشعب التونسي ومنح البلاد قانونا منيعا قارا في شكل دستور يحمي الشخصية التونسية ويقـود الشعب بواسطة المطالب التالية:

1 ـ برلمان تونسي منتخب بالاقتراع العام يملك حق وضع جدول أعماله وله كامل التصرف في السلطة التشريعية

2 ـ حكومة مسؤولة أمام هذا البرلمان.

3 ـ فـصل السلطات التشريعية والتنفيذ يه والقـضائية .

4ـ تعميم العدالة التونسية على كل المقـيمين بالقطر التونسي.

5ـ الاعتراف بالحريات العامة لكافة التونسيين بدون تمييزـ

6ـ التعليـم الإجباري للجميع.

7ـ حماية الحياة الاقتصادية للبلاد.

وبصفة عامة كل ما من شأنه أن ينقذ البلاد من الانهيار المادي والمعنوي أينما وجد وضمان مكانها بين الأمم المتحضـرة. [3]

لاشك أن هذا الميـثاق قـد استوحى من المبادئ الدستوريـة التي لم ينفـك

1- علي محجوبي ، المصدر السابق، ص. 543.

2- الحبيب بورقيبة، مقالات صحفـية 1929/1934، دار العمل للنشر والتوزيع والصحافة، تونس 1979، ص.358.

3 علي محجوبي، المصدر السابق، ص. 544.

الحزب الدستوري في الحقـيقـة عن المطالبة بها، غير أن تطبيقـه يفـضي الى

-خلافا لمطالب الدستـور القديمة- إعادة الوجود للشخصية والسيادة التونسيتين، من ذلك أن الميثاق الجديد لم يناد كسابقه بإحداث " مجلس تفاوضي مؤلف من ممثلي التونسيين والفرنسيين على قاعدة التساوي ينتخبون بالاقتراع العام " بل برلمان تونسي" يملك حق وضع جدول أعماله وله كامل التصرف في السلطة التشريعية " وبنفس الطريقة, فان المقيم العام, والجنرال قائد جيش الاحتلال والأميرال قائد البحرية الفرنسية ليسوا , خلافا للبرنامج السابق مستثنيين من المسؤولية أمام البرلمان .وزيادة على رقابة البرلمان لكل الحكومة، فان استعادة السيادة التونسية يقتضي أن تشمل أنظارا لعدالة التونسية كل سكان الإيالة دون تمييز ناجم عن العرق والدين والجنسية[1].

وبينما كانت مطالب الدستور القديمة تقتصر على ضمان التساوي بين الفرنسيين والتونسيين وبالتالي منح بعض الضمانات للسكان الأهالي وتمكينهم من المشاركة في إدارة بلادهم. ولئن ابتعد ميثاق 1933 عن برنامج الدستور فقد استمد محتواه على نطاق واسع من البيان الذي كان مصدر تأسيس الحزب والذي انبنى على تحرير الشعب التونسي من قيود العبودية , وتأسيس نظام دستوري يمنحه حق حكم نفسه بنفسه دون غيره ومثلما وقع في نهاية الحرب الكبرى , فقد اقلع الميثاق عن سياسة المشاركة والتعاون التي لم تكن ناجعة ولا متلائمة مع الشخصية والسيادة التونسيتين، وقد أكد الميثاق الجديد في هذا الصدد في الديباجة أن " ما اتفق على تسميته بسياسة تعاون قد أفلست تماما في هذه البلاد , وان رسالة الحزب الحر الدستوري هي , استجابة لأمل الشعب , إدخال الشعب التونسي في طريق تحرير أصبح لامناص منه انتحب المؤتمر أسرة جماعة "العمل"[2] في اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري، ولم يمر

---

1 علي محجوبي، المصدر السابق، ص.ص.544، 545.

2 - جماعة العمل: وهي المجموعة التي أسست جريدة " العمل" وتتكون من الأخوين الحبيب بورقيبة ومحمد بورقيبة، إضافة إلى محمود الماطري والبحري قيقه وعلي بوحاجب، للمزيد أنظر، الطاهر عبد الله، المصدر السابق، ص.66.

على وجود "جماعة العمل" سبعة أشهر حتى نشبت خلافات بينهم وبين قيادات الحزب لعدة أسباب أهمها الصراع على قيادة الحزب.[1]

لقد ظل أسرة جماعة "العمل" يحاولون منذ 1932 التفرد بقيادة الحزب وإزاحة خصومهم.[2]

فقد وجد الماطري ورفاقه أن اللجنة التنفيذية للحزب بعد غياب الثعالبي لم تعد مؤهلة للقيادة[3].

إذا كان عبد العزيز الثعالبي قد بنى الحزب الدستوري التونسي أيديولوجيا على أسس فكرية تمتد جذورها إلى الفكر الإصلاحي كما نعرفه لدى جمال الدين الأفغاني، وربط نضال الحزب الحر الدستوري التونسي بالحركة الوطنية في المشرق والمغرب ،وكانت طريقته في الكفاح تقوم أساسا على الاحتجاج ونشر المقالات المطولة في الصحف،هذا الأسلوب لم يعد يرض الشباب المتطلع نحو التجديد و الاقتباس من الحضارة الغربية خاصة أنه كانت له اتصالات بالأحزاب الفرنسية[4] وبانضمام م بعضهم إلى صفوفها أثناء دراستهم

بفـرنسا على أساليب العـمل الحزبي وتكوين الخلايا الحزبية والتنظيمات السـرية، وقـد ولد هذا لدى جيـل الشباب نفـورا من الأساليب التي كانت تسير عليها قـيادة الحـزب وخاصة بعـد ضعـفـه ونفـي زعـيمه الشيخ الثعـالبي.[5]

إن الشيخ الثعالبي هو الذي كرس المذهب الفكري الجديد الذي ساد الحياة العقلية والتي نشأت عليه أجيال المجاهدين والعاملين في سبيل مقاومة النفوذ الأجنبي.[6]

1- الطاهر عـبد الله، المرجع السابق، ص.66.
2- زهير الذوادي، تطور الحركة الوطنية التونسية 1929- 1939، دار التقدم، تونس 1982، ص.87.
3- الطاهر عـبد الله، المصدر السابق، ص.66.
4- يذكر شارل أندري جوليان أن الكثير من هؤلاء الأعضاء كانوا ناضلوا في فرنسا داخل الأحـزاب اليسارية، للمزيد أنظر، شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص.101.
5- الطاهر عـبد الله، المصدر السابق، ص.69.
6- أنور الجندي، عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية 1879 /1944، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1984، ص.35 .

لقد بقيت مفاهيم الشيخ بالنسبة للعمل السياسي سجينة التصورات التي تكونت لديه خلال الفترة السابقة لسنة 1924 وهي مفاهيم سلفية تعارض كل تجديد لا ينسجم مع التطور الطبيعي للنسق الفكري الذي ساهم في تأسيس حركة الشباب التونسي والحزب التونسي والحزب الحر الدستوري التونسي , فأعضاء اللجنة التنفيذية القدامى يتشبثون بأفكار الشيخ الثعالبي الذي يعتبر أولوية الخطاب عن الممارسة في الحقل السياسي . وتصوره أن مقياس التجدر في النضال الوطني يكمن في مدى تصلب المطالب السياسية وتجدر الأهداف وصيغ وأساليب النضال الوطني.[1]

فـهم ينتسبون إلى مبادئ الحرية القـومية التي تلقــونها بوصفها أسا س العـظمة الفرنسية ، وهم أمام الاستيلاء الأجنبي يتمسكون ويؤكدون "السيادة التونسية " ذات الخصائص الروحية والأدبية فـي القانون العـام و فـي القـانون الدولي . وأما تلك السيادة فـان الشعب التونسي هو الذي يجب أن يعبر عن طريق الاقتراع العـام وأن ينظمها فـي صورة سلطة تنفـيذية مسئولة لديه.[2]

لقد بقيت مفاهيم الشيخ بالنسبة للعمل السياسي سجينة التصورات التي تكونت لديه خلال الفترة السابقة لسنة 1924 وهي مفاهيم سلفية تعارض كل تجديد لا ينسجم مع التطور الطبيعي للنسق الفكري الذي ساهم في تأسيس حركة الشباب التونسي والحزب التونسي والحزب الحر الدستوري التونسي , فأعضاء اللجنة التنفيذية القدامى[3] يتشبثون بأفكار الشيخ الثعالبي الذي يعتبر أولوية الخطاب عن الممارسة في الحقل السياسي . وتصوره أن مقياس التجذر في

النضال الوطني يكمن في مدى تصلب المطالب السياسية وتجدر الأهداف وصيغ وأساليب النضال الوطني[4] كما كانوا يدركون جيدا دور الجماهير في النضالات السياسية، وهم فـي نظرهم تشكل السلاح الوحيد الكفـيل بحمل

1- زهير الذوادي، المرجع السابق، ص.57.
2- شارل اندري جوليان، المصدر السابق، ص.101.
3- أعضاء اللجنة التنفيذية القدامى: وهم كل من: أحمد الصافي ،صالح فرحات ،الطيب جميل ،علي بوحاجب، للمزيد أنظر ،علي المحجوبي، المصدر السابق، ص.571.
4- زهير الذوادي، المرجع السابق، ص.57، 58.

السلطات الاستعمارية عـلى الاستجابة إلى مطالب الحـركة الوطنية أو عـلى الأقـل، على التفاهم معها، غير أن زعـماء هـذا الحـزب القـدامى لم يخـفـوا خـيبة أملهـم إزاء هـذا التصـعـيد في حركة الجماهـير الشعـبية والتي كانت جماعـة "العـمل" تنزع إلى تشجـيعـها . لذالك عند ما قـاد المحـامي الشاب الحبيب بورقـيبة يوم 04 سبتمبر 1933 وفـدا قـدم من المنستير[1] يشكوا إلى الباي القـمع الذي سلط عـلى السكان وتصرفـات القـايد آخـذه أحـمد الصافي وأصدقاؤه على قـيامه بهـذا العـمل د ون استشارة مسبقـة لنظرائه ، ووجـهوا إليه توبيخـا من إدارة الحـزب[2].

أدرك بورقـيبة أن الهـدف من هـذا الإجـراء لم يكن "وفـد المنستير" واقـتنع أكثر من أي وقـت مضـى أن مكانه ليس بينهـم في صلب اللجنة التنفيذية وحرصا منه على الحـفاظ على استقـلا له وحـريته فـي العـمل، استقـال الحـبيب بورقـيبة من قـيادة الحزب الدستوري[3] ".

ولم يلبث أصدقـاؤه بجريدة "العـمل" أن تبعوه مرغمين على ذالك والحق يقـال من قـبل قـد ماء اللجـنة التنفـيذية التي كان موقـفـها تجاه السلطات شد يد الضعف بينما كان عـملها عـلى إحداث الانشقاق كبيرا بين المناضـلين.[4]

بقـي أحمد الصافي وأصحابه وحدهم في اللجنة التنفيذية، فشنوا حملة عـنيفـة لتبر ير موقـفـهم لد ى الشعـب الدستورية وتحذ يرها من تصرفات البعض من العناصر المستقـيلة من الحزب والتي لم يبق لها إذن، أي صفـة التحدث باسمه.[5]

1- المنستير: مدينة تونسية ،تقع الى الجنوب من خليج الحمامات وهي مسقط رأس الحبيب بورقيبة ،بحيث ولد وتربى فيها، أنظر، P. Petit Robert2,Opcit 1228;
2- علي محـجوبي، المصدر السابق، ص.563.

3- رسالة من الحبيب بورقيبة إلى أحمد الصافي الأمين العام للجنة التنفيذ يه للحزب الدستوري التونسي" للمزيد أنظر، محمد صياح، الدستور الجد يد ومواجهة المحنة الأولى 1934 /1936، منشورات مركز التوثيق القومي، تونس 1969، ص.ص. 20 ،22.
4- الصالح الأجري، المرجع السابق، ص. 70.
5- علي محجوبي، المصدر السابق، ص.565.

ومن جهتها شنت العناصر المستقيلة داخل قاعدة الحزب حملة عنيفة ضد قدماء اللجنة التنفيذية واتهموها بعدم الالتزام ببرنامج الحزب، والانفراد بالقيادة، إضافة الى تأثيرها في الدعاية إلا إنها تمثل حقيقة , إذ إن القيادة لم تتغير منذ 1924 تقريبا . وهنا أيضا لن يستطيع الحزب التفتح على أفكار جديدة تسمح بمرونة أكثر في حركة الحزب , أي عجز التنظيم الحزبي على استيعاب اندفاع وحركية الشبان الجدد بالتعديل في مرونته و حركتيه الداخلية،غير أن حجة منع جماعة "العمل" من التحدث باسم الحزب ما كانت لتقنع العد يد من المناضلين الذين كانوا في شهر ماي 1933 قد أوصلوهم إلى اللجنة التنفيذية، ويرى العد يد من المناضلين أن الخلاف بين أعضاء القيادة لا يكن حسمه إلا في نطاق المؤتمر الذي يشكل الهيئة العليا للحزب.[1]

وهكذا تمكن الحبيب بورقيبة وأصحابه من أن يكسبوا لقضيتهم العديد من الشعب الدستورية التي اقترحت على اللجنة التنفيذية مايلي:

" للحفاظ على الوحدة وتجنب قطيعة مغيظة, أو إنهاء هذا الخلاف ثم الاتحاد بتنظيم مؤتمر لمعرفة رأي الأغلبية."[2]

انتهت هذه الخلافات بين فريقي الحزب الدستوري إلى قطيعة تامة سنة 1934 فقد دعت هيئة جريدة "العمل" الى اجتماع عام في بلدة قصر هلال[3] بجنوب تونس في 02 مارس 1934. رفض المحافظون القدامى حضور هذا الاجتماع ولم يعترفوا بمصداقيته. [4]

وقد استجابت للدعوة 49 شعبة وأوفدت ممثلين عنها إلى قصر هلال وفي

قبولها, ترجيح وتأييد لتصور النضال الوطني الذي نادت به جماعة جريدة "العمل" لذا فلم يعد للمؤتمر المفتتح يوم 2 مارس 1934 في هذه القرية الساحلية

1- زهير الذوادي، المرجع السابق، ص.61.
2- محمد الصالح الآجري، المرجع السابق، ص.76.
3- قصر هلال: قرية تونسية على الساحل عقد بها المؤتمر التاريخي، على الساعة التاسعة صباحا من يوم الجمعة 01 ذي القعدة سنة 1352 الموافق ل02 مارس 1934 استجابت 50 شعبة لدعوة جماعة " العمل"، للمزيد،علي المحجوبي، مصدرسابق، ص. 568.
4- صلاح العقاد، المرجع السابق، ص.332.

النشيطة والمسيسة على وجه الخصوص من دور سوى تكريس وضع كان قد دخل حيز الواقع، فقد كان كل المؤتمرين ينتمون الى نفس الشق، وكانوا مقتنعين من قبل بسداد ما وجهته جماعة" العمل "من الاتهامات إلى زعماء الدستور القدماء[1] لذلك لم يدم مؤتمر قصر هلال سوى يوم واحد واقتصرت مداولاته عمليا على توجيه العديد من الانتقادات اللاذعة إلى اللجنة التنفيذية التي رميت مرة أخرى بالخمول والعجز والاستبداد. ولهذا تقرر حل اللجنة التنفيذية القديمة للحزب الحر الدستوري، العاجزة عن الدفاع عن مطالب الشعب التونسي ورفت أعضائها من الحزب وتعويضها بلجنة أخرى تحت اسم " الديوان السياسي ". كما عين المؤتمر مجلسا ماليا يتكون من 20 عضوا – 15منهم يمثلون داخل الإيالة و5 من العاصمة – مكلفا بمراقبة عمل الديوان السياسي، لسد الطريق أمام السلطوية والاستبداد. والى جانب هذا أعد المؤتمر، لضبط المسؤوليات وتجنب العودة الى التجاوزات السابقة، مشروع نظام داخلي، ليعرض على المؤتمرالقادم بعد تسجيل ملاحظات الشعب عل ومن البديهي أن اللجنة التنفيذية لم تعترف بجملة هذه القرارات التي أصدرها مؤتمر قصر هلال واعتبرت نفسها تجاه" المنشقين" الممثل الشرعي للحزب الدستوري[1].

ومنذ ذلك الحين أصبح بالبلاد التونسية تنظيمان ينتمي كلاهما الى الحزب الدستوري،اللجنة التنفيذية والديوان السياسي . وللتمييز بينهما أطلق الملاحظون الأجانب على الأولى اسم "الدستور القديم " وعلى الثاني اسم "الدستور الجديد " وفي الواقع، فان الخلاف الوحيد بين القدماء والجدد - وهو خلاف جوهري- كان متصلا بأساليب العمل. أما فيما عدا ذلك فليس هناك فرق كبيرين التنظيمين[2].

فكان أن قرر المؤتمر الإعلان عن ميلاد الحزب الدستوري الجديد، وأنتخب الدكتور محمود الماطري رئيسا، والحبيب بورقـيبة أمينا عاما للحزب وسميت لجنته

1– علي المحجوبي، المصدر سابق، ص.ص.570-571

2 ـ شارل أندري جوليان، المصدر سابق، ص، 101.

التنفـيذية بالديوان السياسي، تمييزا له عن الدستوريين القدامى، الذين ظلوا يرون في الثعالبي الزعيم الحقـيقي لهم، إذا ألقينا نظرة على الاتهامات التي يوجهها جماعة الديوان السياسي[1] إلى قيادة الحزب الدستوري، نرى أنها تخص، في المقام الأول صيغ وأساليب

النضال، حيث أنهم لايرومون العمل الجماهيري والاتصال بالقواعد الحزبية والشعبية ولا يتوخون حدا أدنى من الأساليب الديمقراطية داخل هياكل الحزب فيما يخص التصرف اليومي وأخذ القرارات والمبادرات، ولا يعتمدون المقاومة النشيطة والإيجابية ضد السلطات الاستعمارية أما اللجنة التنفيذية، فقد حصرت لجماعة الديوان السياسي في مستوى الخط السياسي الذي يطوره الفريق الجديد من المناضلين الذين يطعنون في شرعية قيادتهم للحركة ومصداقية توجهاتهم وممارستهم، ولخصوا انتقاداتهم كما يلي :

1 – بالتصريح أن غايتهم لم تكن ولن تكون استقلال البلاد

2 – باعترافهم بأنهم إنما يرغبون في بقاء الحماية ويعملون في دائرتها ولا يريدون الخروج عن نطاقها.

3 – باعترافهم بالسيادة المزدوجة بالرغم من أن معاهدة الحماية نفسها لاتقرها ولا توافق عليها.

4 – باعترافهم بالحقوق المكتسبة التي يدعيها الاستعمار5

5 - بإعلانهم أنهم يتمسكون بسياسة المشاركة ويطالبون بها.

6ـ بإعلانهم أنهم يجعلون غايتهم أن تكون تونس المعترف بذاتيتها واستقلالها مع جميع دول العالم جزءا حرا من الإمبراطورية الفرنسية القائمة على نظام اتحادي.

7 ـ بعدولهم عن مطالب الحزب التي قررها مؤتمر الحزب وأعلنها في تصريحه

الشهير وتمسكهم بمطالب أكثر ما يقال أنها إصلاحية وهي أقل حتى من مطالب

الحزب الإصلاحي ، تلك هي انتقادات سياسية واضحة وهي تخص الخط السياسي

1- الديوان السياسي: يتكون من محمود الماطري رئيسا، الحبيب بورقيبة أمينا عاما، محمد بورقيبة أمين المال، الطاهر صفر الأمين العام المساعد، البحري قيقه أمين المال المساعد، للمزيد أنظر ، علي المحجوبي، المصدر السابق، ص. 569.

القائد للعمل الوطني، ويبدو من هذا الملخص أن جماعة اللجنة التنفيذية كانت تنطلق من مواقف سياسية راديكالية على الصعيد النظري وعلى صعيد الأهداف العليا للحركة الوطنية دون أن يقع الشروع الفعلي لإنجازها كليا أو جزئيا، فالخطاب السياسي بالنسبة لجماعة اللجنة التنفيذية يأخذ شكل الأسطورة التي يحافظ عليها عقائديا دون تثبيتها واقعيا. وجذرية الحزب الدستوري القديم تبدو وكأنها جذرية محافظة غير تجديدية وغير مشحونة بفكرة التغير الاجتماعي والسياسي،تلك الفكرة التي تظهر كجوهر التصورات السياسية لدى قيادة الحزب الجديد. وإذ جعل الحزب الدستوري في

مفهوم الثعالبي فكرة الإصلاح الثقافي والحضاري قاعدة أساسية للعمل السياسي الوطني ،فان فريق الديوان السياسي يعتبر التغيير هي القيمة الأساسية في العمل السياسي، انه هد ف العمل الوطني وغرضه الأول، فالتغيير في نظرهم وفي كتاباتهم،مثل ممارستهم،هو الأداة التاريخية لتحقيق مفهومهم للتقدم ،وبالتالي فهم ينتهزون أي فرصة أو ظرف أو عنصر سياسي أو اجتماعي أو ثقافي يدفع بمسألة التقدم خطوة الى الأمام، واذن فان المسألة الوطنية في ذلك المسار تأخذ بعدا تاريخيا مخالفا للطابع الوجداني الذي يسبغه عليها جماعة اللجنة التنفيذية.[1]

وكان أهم ما انتقـده مؤتمر قصر هلال على الحزب الدستوري القـديم قلة الاهتمام بالدعاية بين الجماهير وقصر الحركة على الطبقات البورجوازية والمثقفة لذلك ستضمن وسائل العمل الشعبية للحزب الجديد تفوقـه المطرد.[2]

بدأت المعارك الصحفية والمعارك الحزبية الجدلية على صفحات جريدة" العمل" لسان حال الحزب الدستوري الجديد وجريدة الإرادة لسان الحزب الدستوري القديم واستمرت المعركة الحزبية بين الفريقين حامية الوطيس كل يتهم الأخر بما عنده فالجدد يتهمون الشق الأخر بالجمود والرجعية والسلبية والجبن . والقدامى يتهمون الجدد

1- زهير الذوادي، المرجع السابق، ص.ص.52- 53.
2- صلاح العقاد، المرجع السابق، ص.332.

بالديماغوجية والارتجال والارتماء في أحضان الغرب الاستعماري والثقافة الغربية.[1]

فالحزب الدستوري الجديد اتخذ لدعايته جميع الوسائل الصالحة للتأثير على المخيلة: دخول الزعماء للمدن في مواكب رهيبة ،واستعراضات وشارات ،وشبيبة مرتدية أزياء خاصة ،وتزيين المنصات ،ونشيد وطني وطاقم موسيقي عربي,وشرعت الصحافة في نقد النظام نقدا دقيقا مبدئيا وعددت المطالب، وبعثت الاجتماعات العمومية حماسا بالغا في نفوس الجماهير،وعملت الشعب المحلية على استمرار تلك الشعلة المقدسة، وقد تميزت طريقة الحزب الدستوري الجديد على جانب عظيم من المرونة اذ كان يستحيل عليه أن يعرض برنامجه المبني على أصول السيادة الشعبية والتسامح في المعتقد وتفريق السلطات، على جماهير يعسر عليها إدراك تلك المبادئ ، دون أن يكيفها ويقربها الى عقليتها الدينية وغرائزها، ويتحتم

عليه من جهة أخرى أن يعتبر الوضع الواقعي الذي أحدثته معاهدة قصر السعيد[2] واتفاقية المرسى[3] الواضعتان للحماية، فكان القادة يلحون على بند من البرنامج دون سواه، ويمرون على جناح السرعة على غيره بحسب المخاطب من الباي أو الخارجية الفرنسية أو الجماهير في الاجتماعات العامة، فتارة يعلنون مبدأ السيادة التونسية المنفردة في البلاد دون غيرها وتارة لا يجدون بدا من التغاضي على التدخـل الفرنسي على أمل التحرر منه على مراحل وكان لبرنامجهـم صبغة المقترحات أكثر مما يحتوي على عروض عملية واضحة. وخلافا لمبدئهم المتعلق بالسيادة، فإنهم لا يطلبون من الباي تجديد دستور ممنوح للبلاد، بل يتوجهون الى فرنسا لتفرض دستور على ملكهم المطلق النفوذ، بيد أن الالتباس الذي اكتساه ذلك الموقف وفرضته مقتضيات العمل، لم يفت الحزب الدستوري

1- الطاهر عبد الله، المصدر السابق، ص.70.

2- معاهدة قصر السعيد :(المعروفة بمعاهدة باردو 1881)، حررت بالقصر السعيد (تونس) في 12 ماي 1881 ويطلق عليها كذلك معاهدة باردو ووقعت بين الجنرال الفرنسي بريار المفوض من قبل رئيس الجمهورية الفرنسية وحسين باي، باي تونس تضمنت المعاهدة عشرة فصول كلها عبارة عن شروط فرنسية ، للاطلاع أكثر على بنود هذه المعاهدة عد الى،الملحق رقم 01 ، ص. 117.

3- اتفاقية المرسى: حررت بالمرسى في 8 جوان 1883 بين الوزير الفرنسي المقيم في تونس بيار بول كمبون وباي تونس علي باي وهي عبارة عن شروط فرنسية جاءت في خمسة فصول.للمزيد أكثر حول بنود هذه الاتفاقية عد الى، الملحق رقم. : 02، ص، 119.

القديم، فـلئن أظهر هذا الحزب اتفاقه مع المنشقين على المبادئ الجوهرية الخاصة بالأمة والشعب والوطن والدستور والسيادة، فقد أمسك أكثر من منافسه عن عرض برنامج ايجابي ولما كان الدستوريون القدامى معارضين كل المعارضة لتقسيم الحكم فقد امتنعوا عن أي تعاون مع ممثلي الحكومة الفرنسية مؤكدين أنه لايرجى منهم شيء، وكانوا من اشد أنصار فكرة الوحدة العربية،فوضعوا نصب أعينهم القيم المعنوية والغايات الروحانية،وأعرضوا عن القوانين الاجتماعية التي تمس بسلم الرتب المعهودة. وهكذا بحث الحزب الدستوري القديم عن أتباع في الأوساط البرجوازية المتزمتة بالخصوص وفي البلاط الملكي وأوساط العدلية.[1]

ومهما يكن من ا لأمر فان طرق عمل زعماء الدستور القدماء لم تعد تتلاءم والبلاد التونسية لسنوات الثلاثين، ومواصلة المناداة بها والاعتماد عليها يعني غض النظر عن نمو الوعي الوطني للجماهير الشعبية خلال هذه الفترة، فلأزمة الاقتصادية التي فتكت آنذاك بالبلاد، وسياسة التمييز الناجمة عنها، قد كشفتا أكثر من أي وقت مضى،

التناقضات المترتبة عن الحماية، والتي أخفاها لوقت ما ازدهار السنوات ما بين 1926 و1929ن ومن شأن هذا الوضع الذي يضاف إليه تقدم التعليم ووسائل المواصلات والتزايد الديموغرافي وخاصة سكان المدن ،أن ينمي الوعي الوطني لدى الجماهير الشعبية وأن يكسبه مزيدا من الحدة. وحصل حينئذ تفاوت بين مستوى الوعي الوطني للجماهير الشعبية وبين الخطة التي رسمها وما فتئ ينادي بها زعماء الدستور القدماء هذه الجماهـير التونسية التي عيل صبرها واشتدت رغبتها في التخلص من النظام [2].

الاستعماري الذي كانت ترى فيه مصدر كل متاعبـها ومآسيـها، تجاوبت أقـوى وأعمق مع الخطة وإذ صادفت هذه الخطة هوى في نفوس التونسيين ،فقد أخذوا ينفصلون تدريجيا عن الزعماء القدامى الذين انتهت رسالتهم التاريخية ـ عمليا ـ مع

1- شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص.102.

2-علي المحجوبي، المصدرالسابق، ص، 577.

اتجاه الحركة الوطنية في طريق التصلب . ومنذ ذلك الحين ،كان لابد أن يؤول دور
قيادة هذه الحركة إلى الدستور الجديد وقد كان عمله مواكبا للجماهير الشعبية التي أصبحت متطلباتها للعمل ومطالبها ،بحكم الظروف الانفجارية السائدة أكثر فأكثر. وهذه الظروف بالذات هي التي كان لها الأثر الكبير ،في تصلب الحركة الوطنية التونسية ومولد الدستور الجديد[1].

وفي حقيقة الأمر، أصبح الحزب الدستوري الجديد القوة الأساسية والمهيمنة داخل حركة النضال الوطني التونسي.[2]

بعد وصول اليسار الفرنسي الى السلطة سنة 1936، سمح لعبد العزيز الثعالبي بالرجوع الى أرض الوطن، ليبدأ الغوص في حلبة الصراع التي كانت الحركة الوطنية التونسية تخوض غمارها آنذاك. حيث كانت في تلك الفترة تتحرك بحرية أوسع مما كانت عليه قبل سنة 1936 وخاصة إبان سنوات التي قضاها "مارسا ل بيروطون "في مهمة مقيم عام بالإيالة. كانت الصفوف الوطنية منقسمة الى جناحين منذ سنة 1934 بين أتباع للحزب الحر الدستوري والحزب الحر الدستوري الجد يد، ولما عاد الشيخ الثعالبي إلى أرض الوطن في جويلية 1937، كان همه الأول والأساسي توحيد الصفوف الوطنية . وكان خطابه الأول[3] في تونس بعد رجوعه مشبعا بالمبادئ العربية الإسلامية التحررية والمناهضة للإستبداد الاستعماري[4].

يقول الشيخ عبد العزيز الثعالبي : " لست ثائرا ولكني طالب حق وإنصاف. أريد أن أنصف نفسي و اثأر لكرامتي وهذا ما أدعو إليه الشعب التونسي، فالذي ينقصنا ليس هو
العلم والمادة بل هي الإرادة،سلبت ثروتنا وملكنا وعزتنا ولم يبق لنا إلا آخر معقل وهو الإيمان، إذا أردنا أن نكون كما يجب فلنقف وقفة الجندي الباسل لإنقاذ الميراث العظيم فـي

1ـ علي المحجوبي، المرجع السابق، ص.ص. 577- 578-
2زهير الذوادي، المرجع السابق، ص. 270.
3- ألقاه في شهر جويلية سنة 1937 في ساحة "قمبطه"ـ بتونس العاصمة استمر ست ساعات ولأول مرة يقف زعيم تونسي ينادي باستقلال شمال إفريقيا التام، ووحدة المغرب العربي كخطوة لتحريره وتوحيده مع بقية الأقطار العربية، للمزيد أنظر،الطاهرعبد الله ، المصدر سابق، ص. 73.
4- زهير الذوادي ـ الوطنية وهاجس التاريخ... ، المرجع السابق، ص. 17.

سبيل تحرير البلاد فانتبهوا إلى ما يجب عليكم لأنفسكم ولبلادكم لتكونوا قـدوة إلـى الحيـاة ترفعون شعار الإسلام والعروبة يومئذ يتغير التاريخ وتصيرون أحرارا جديرين بالانتساب لهؤلاء الأسلاف الذين دونوا أجل المفاخر في تاريخ هذا العالم[1].

فالعروبة والإسلام هما القاعدة الفكرية والحضارية للنهضة الوطنية والتحرر من الاستعمار،ذلك هو المنطلق الأساسي لمفهوم الثعالبي للعمل الوطني، ولذلك يبدو التحرر الوطني في شكل انسجام مع
الماضي،وبالتالي فهؤلاء بعيدون عن الأفكار التي جاء بها الجيل الجديد من المناضلين الوطنيين الذين انسلخوا عن الحزب الدستوري سنة 1934 وأسسوا الحزب الجديد ولم يعمد الشيخ عبد العزيز الثعالبي إلى بث روح الشقاق بين دستوريين والى تعميق الهوة التي تفصل بينهم ،وحاول التنسيق بين التيارين، والتوحيد بين الزعماء والمناضلين(وبعد فشل لجنة التنسيق والتوحيد التي ترأسها الشيخ وشارك فيها ممثلون عن الحزبين الدستوريين (القديم والجديد) انحاز الشيخ إلى جماعة الحزب الدستوري القديم[2].

يقول أحمد توفيق المدني في مذكراته " حياة كفاح ": "وقد زرت تونس مرة في ذلك العهد، واجتمعت بالثعالبي اجتماع أخوة وصداقة وكفاح ،لكنني رأيت أن قيادته فاترة،وأن التفاف القوم حوله التفافا غير مرصوص . وقد اشتكى لي كثيرا من قلة المال وضعف السند[3] .

قبيل نهاية الحرب العلمية الثانية أي في سنة 1944 توفي الزعيم عبد العزيز الثعالبي أبو الحركة الوطنية في تونس وأحد المبشرين الأوائل بوحدة الأمة العربية وربط كفاح عرب المغرب بإخوانهم عرب المشرق بعد جهاد دام ما يقارب النصف قرن مسجلا بذلك أروع الصفحات للنضال القومي والوطني على امتداد الوطن العربي

1- أنور الجندي، عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية 1879 ـ 1944 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1984 ص. 201.
2- زهيرالذوادي، المرجع السابق، ص. 18.
3- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات) القسم الثاني في الجزائر 1925 ـ 1954، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1977 ص. 337 .

كله مشرقه ومغربه باعثا الروح الوطنية والنضالية والقومية في أبناء الأمة العربية .فقد كان قدوة لجميع المناضلين من بعده وقد خلفه في قيادة الحزب المناضل الزعيم محي الدين القليبي الذي سار بالحركة الوطنية التونسية على نفس النهج والمبادئ التي خطها الثعالبي للحركة الوطنية التونسية وربط محي الدين جهاده بجهاد إخوانه في المغرب والمشرق[1].

1- الطاهر عبد الله ، الحركة الوطنية...، المصدر السابق، ص.81.

الفصل الثاني

حزب الدستور الجديد في القاهرة ودوره في القضايا التحررية المغاربية

مؤتمر 1937 ووصول الحبيب بورقيبة إلى رئاسة حزب الدستور الجديد :

مابين30 أكتوبرو02 نوفمبر من سنة 1937 عقد الحزب الدستوري الجديد مؤتمره الثاني بعد مؤتمر قصر هلال التأسيسي الذي عقد في 03 مارس سنة 1934، و سيطر على هذا المؤتمر روح الاندفاع والحماس لدى الشباب ولدى مناضلي الحزب القياديين من الأرياف وخاصة الدكتور سليمان ابن سليان المعروف بميوله اليسارية الذي أصبح مراقبا للحزب الحبيب بوقطفة رئيس حزب الدستور الجديد في منطقة بنزرت ويوسف الرويس رئيس حزب الدستور الجديد في منطقة الجريد بالجنوب التونسي[1] .

ونتيجة لمواقف هؤلاء اتخذ المؤتمر قرارات في منتهى الخطورة لمجابهة العدو الاستعماري وسيطر على المؤتمر جو يضع قيادة الحزب الجد يد أمام المسؤوليات التاريخية للحركة الوطنية وتحرير الشعب التونسي من شبح الاستعمار الفرنسي، ومن بين القرارات التي اتخذها الحزب الدستوري الجديد " إعلان العصيان المدني ومجابهة الاستعمار بالعنف" ونتيجة لما يترتب عن خطورة هذه القرارات من مواجهة

واستعداد للتضحية والفداء، وقع خلاف بين المؤتمر ورئيس الحزب الدكتور محمود الماطري الذي لم يجار تيار العنف الذي ساد جو المؤتمر، واستقال من الحزب[2] على اثر خلاف نشب بينه وبين الأمين العام للحزب الحبيب بورقيبة الذي أصبح رئيسا للحزب الدستوري الجديد[3] .

لقد عبر الحبيب بورقيبة في هذا المؤتمر عن توجهه وإستراتيجيته للحزب الدستوري الجديد وقال "إن الاستقلال لن يتحقق إلا بثلاث طرق وتتمثل الأولى في ثورة شعبية عنيفة عارمة تقضي على الحماية، والثانية في هزيمة فرنسا في حربها ضد دولة أخرى،أما الثالثة فتنطوي على حل سلمي يتم على مراحل بمساعدة فرنسا نفسها وتحـت إشرافها، وإن اختلال توازن القوى بين الشعب التونسي وفـرنسا يلغـي أي

1ـ شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص، 111.
2 ـ قدم استقالته من الحزب أواخر ديسمبر 1937 للمزيد أنظر، شارل أندري جوليان، نفس المصدر، ص، 112.
3 ـالطاهر عبد الله، المصدر السابق، ص، 74.

حـظ فـي انتصار شعبي كما أن هزيمة عسكرية فرنسية على يد دولة أخرى لن تساعد عملية الاستقلال بل تسقطنا بين مخالب استعمار جديد،فلا مجال إذا للخلاص إلا بالطرق السلمية وتحت رعاية فرنسا[1].

كما تجلى في هذا المؤتمر تضامن الوطنيين للحزب الدستوري الجديد مع إخوانهم ضحايا القمع الاستعماري في الجزائر والمغرب الأقصى التي كانت في نوفمبر 1937 . إثر حملة الاعتقالات التي شنتها السلطات الاستعمارية في الجزائر (مصالي الحاج ورفاقه) وفي المغرب (محمد الديوري وعلال الفاسي وغيرهم) وما تلا ذلك من أحكام بالسجن أو النفي قرر المؤتمر الثاني للحزب الدستوري الجديد التصويت على لائحة تضامن مع ضحايا القمع في البلدين وتنظيم تحركات في ذاك الاتجاه فكان قرار المكتب السياسي لهذا الحزب تنظيم إضراب تضامني ليوم 20 نوفمبر 1937 .وحسب تقييمهم كان ناجحا وشمل كامل جهات البلاد من شمالها إلى جنوبها ومس أساسا قطاع التجار والحرفيين وحتى عمال الموانئ بتونس وصفا قس، وهو أول إضراب سياسي عام يشنه الوطنيون في تونس[2]. يقول أحمد توفيق المدني في مذكراته " حياة كفاح " ما يلي : " قررت تونس موطن الغر الميامين، وحاملة راية التضحية والإخلاص باليمين، إعلان الاعتصام العام يوم السبت 20 نوفمبر الحالي،كامل اليوم، في كامل بلاد المملكة، إعلانا في استيائها وتذمرها من سياسة

الشدة والإرهاق التي تسلك بالمغرب، وبالجزائر، وتأكيدا لتضامنها المتين، وأخوتها الصادقة لهذين القطرين. ولقد أقبل الدستوريون على تنظيم ذلك اليوم المشهود،وكانت الأمة التونسية الماجدة من ورائهم بكل طبقاتها،فلم يكن القطر التونسي في أي وقت من الأوقات أكثر اتحادا وأشد تماسكا منه في يوم هذا الإضراب المشهود.[3]

كما اشتهر الرئيس الجديد " الحبيب بورقيبة " بتلك الجولات التي كانت تحمله إلى

1- الطاهر بلخوجة، الحبيب بورقيبة سيرة زعيم،شهادة على عصر ،الدار الثقافية للنشر القاهرة ط1 1999، ص.04.

2- عميرة علية الصغير، اليوسفيون وتحرر المغرب العربي، ط1، المغاربية للطباعة والإشهار، 2007، ص. 182.

3- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ص.98 .

أصغر القرى التونسية النائية، ولما كان بورقيبة مشبعا بفكرة الديمقراطية كما شاهدها في الغرب، فقد بنا حزبه على قاعدة انتخابية شعبية . فعامة الأعضاء ينتخبون اللجان الفرعية في القرى والأقاليم، وهذه بدورها تنتخب اللجان المركزية، وتقوم الأخيرة بانتخاب الديوان السياسي للحزب، اقترنت فكرة التحرير السياسي عند الحزب الدستوري الجديد بفكرة التقدم الاجتماعي، إلى حد أن بورقيبة كان مستعدا لإدماج الفرنسيين والتونسيين في بيئة ديمقراطية واحدة، لو أن الحكومة الفرنسية لم تتعصب لكبار الملاك والطبقة الممتازة من الموظفين الفرنسيين في تونس.[1]

يقول الحبيب بورقيبة " إن حزبنا يسعى لتحرير التونسيين بمساعدة فرنسا ضد الأقلية من الإقطاعيين الفرنسيين والرجعيين التونسيين المتمسكين بالخرافات القديمة .فكلاهما متعصب مثل الآخر، ولكي نحقق هذا يجب أن نوحي بالثقة لفرنسا ولأكبر عدد ممكن من الفرنسيين، ومن جهة أخرى يمكن بفضل المقاومة عرقلة كل سياسة تهدف إلى الظلم والاستغلال والديكتاتورية[2]

لقد كان شكل المواجهة للمستعمر في حالة حزب الدستور الجديد يتميز بطابع الإقناع والكفاح السلمي والمهادنة والتوجه لمؤسسات المستعمر ومنابره كالبرلمان والصحافة والرأي العام، كان الهدف في البدء الوصول إلى نوع من المساواة والتوازن بين المسلمين "الأهالي" والمستعمرين، وفي مرحلة لاحقة طرح الاستقلال الداخلي "الذاتي" فالتام.[3]

أما فيما يخص موقف الزعيم الجديد للحزب الدستوري الجديد من صراع الحرب العالمية الثانية، يقول أحد رفاقه التاريخيين "علي البلهوان ما يلي:

" لقد رأى شعب تونس قوات الجيوش النازية تحتل باريس وترغم أنف فرنسا وتتغلب عليها قهرا في أيام معدودات فأنساق جزء كبير مـن التونسيين إلـى حب الألمـان

1- صلاح العقاد ، المرجع السابق، ص .233.
2- الحبيب بورقيبة، بين تونس وفرنسا ،المطبعة الرسمية، تونس 1957، ص.251.
3- عفيف البوني، تطور الوعي القومي في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط 1، بيروت 1986 ص. 209.

والشماتة بخصمهم المنهار ولكن الحبيب بورقيبة رأى خطر الاندفاع العاطفي، فعدد الإنذارات إلى تونس[1] وسانده رفاقه المساجين معه لإبعاد التونسيين عن الارتماء في أحضان المحور لأن السياسة الرشيدة لا تقام على العواطف ولا تنقاد للأهواء ولكنها تسير حسب المصالح الوطن العليا فماذا تنتظر تونس من المحور[2] غير تقديمها هدية إلى موسيليني، فليس من الرشد في شيء أن نخرج من استعمار فظيع لنقع في استعمار أفظع، أضف إلى ذلك اقتناعنا بهزيمة المحور وينبغي لتونس ألا تكون في شق المغلوبين، وقد تحققت تنبؤات الحبيب بورقيبة كلها.فلما أخرجنا الألمان من سجون فرنسا سلمونا إلى الطليان، وجرت محادثات مع المسئولين هناك، فلم نقبل كأساس للمفاوضة إلا الاعتراف حالا باستقلال تونس وتسليم النفوذ بها إلى التونسيين فأجاب وزير الخارجية الإيطالي هل تظنون أن ايطاليا خاضت الحرب لتهب لكم تونس وهي إنما تريدها لنفسها[3].

وفي الواقع سعت قوات المحور إلى استمالة حركات التحرر الوطني في المستعمرات إلي صفها منذ 1936 ولبلوغ هذه الأهداف سعت كل من ايطاليا وألمانيا إلى تأليب الأهالي على الفرنسيين ووعدهم بتحرير كامل العالم العربي والإسلامي[4].

يقول الحبيب بورقيبة " لقد كنت مقتنعا منذ 1940 أن "هتلر" عندما فشل طيرانه العسكري في سماء بريطانيا لا يستطيع أن ينتصر في الحرب العالمية الثانية، فالإنجليز معروفين بصمودهم، فلقد صمدوا لنابليون من قبل خمسة عشرة سنة قبل أن يحطموه".[5]

1- منها قيام الحبيب بورقيبة بإرسال رسالة إلى الحبيب ثامر يحذره من التورط في التعاون مع الألمان والإيطاليين. للمزيد أنظر، الطاهر عبد الله، المصدر السابق، ص. 77.
2- في تاريخ 24 أكتوبر 1936 صرح الزعيم الألماني أدولف هتلر" البحر الأبيض المتوسط بحر إيطالي، وأي تغيير سيقع في المستقبل في هذه المنطقة سيصب في مصلحة ايطاليا". للاطلاع أكثر عد إلى، Charles.R.Ageron, l'Algérie algérienne de naopoleon III à De gaulle, Ed,Sindabad, Paris 1980, p.173.
3- علي البلهوان، تونس الثائرة، لجنة تحرير المغرب العربي، دار الكتب الوطنية، تونس1954، ص. 58.

4- عادل بن يوسف، النخبة العصرية التونسية، طلبة الجامعات الفرنسية 1856- 1880، دار الميزان للنشر تونس 2006 ، ص. 556.
5- Habib Bourguiba, Discours, T:XXIV 1974- 1981, Publication du ministère de l'information, Tunis 1981, P.160.

هجرة الحبيب بورقيبة وقادة الحزب الدستوري الجديد الى القاهرة وتبني سياسة " العمل المغاربي الموحد "

على إثر بعث الجامعة العربية[1]، ونتيجة لسياسة القمع التي سلكتها فرنسا في تونس بعد انتصار الحلفاء على قوات المحور في الحرب العالمية الثانية، وعمليات الانتقام التي سلطتها على المناضلين والزعماء السياسيين ومحاصرة كل نشاط سياسي وتضييق الخناق على الحركة والمناضلين وتوجيه مختلف التهم إليهم لمحاكمتهم في المحاكم العسكرية ومنها التهمة بالتعاون مع جيش المحو، رأى الحزب أن يطرق أبواب الجامعة العربية في القاهرة للتعريف بالقضية التونسية في الخارج وكسب الأنصار لها ليكونوا قوة ضغط خارجي على فرنسا، ولذلك هاجر الزعيم الحبيب بورقيبة إلى مصر يوم 26 مارس 1945 وكان وقتها تحت الإقامة الجبرية التي فرضها عليه " الجنرال شارل ماسط"[2] في العاصمة.[3]

لقد أجريت اتصالات بالجنرال ماسط، و لكنها لم تجد نفعا وكان من هذه الخيبة أن أثرت تأثيرا عميقا على فكر بورقيبة وقلبت أسلوبه الإستراتيجي ظهرا على عقب، فهو الآن يعلم أنه لا أمل في فرنسا[4].

فخرج من العاصمة متنكرا في رحلة العذاب الشاقة مرورا بليبيا وصولا إلى القاهرة

1- كان تأسيسها يوم 22 مارس سنة 1945 بقصر الزعفران ـ القاهرة ـ على اثر اجتماع المؤتمر العربي برئاسة محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء المصري وقع مندوبو الوفود العربية (مصر ـ الأردن ـ العراق ـ لبنان ، سوريا ـ السعودية ـ اليمن) على ميثاق جامعة الدول العربية الذي يعتبر وثيقة ميلادها، للمزيد أنظر، هارون هاشم رشيد، جامعة الدول العربية ، دار سراس للنشر، تونس 1980، ص.32 .
2- شارل ماسط، مقيم عام بتونس (1943 ـ 1947)، بعد مشاركته في الحرب العالمية الثانية قام بعدة مهام في ليبيا ومصر والشرق عينه الجنرال جيرو القائد الأعلى المدني والعسكري بإفريقيا الشمالية ثم مقيما عاما بالنيابة بتونس تميزت فترة حكمه لتونس بتفاقم وطأة الإدارة المباشرة . بقي ماسط بتونس إلى سنة 1947 بحيث عين مديرا لمعهد الدراسات العليا للدفاع الوطني. للمزيد ارجع إلى، نور الدين الدقي ، المرجع السابق، ص. 206.
3- عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي تونس 1881 ـ 1956 ، ط1، مركز النشر الجامعي، تونس 2001 ،ص.355.
4- الحبيب بورقيبة، بين تونس وفرنسا، المصدر السابق، ص.232.

يوم 26 أفريل 1945، واستقر في القاهرة وأخذ في ربط صلته بدوائر الجامعة العربية والصحف المصرية للتعريف بالقضية التونسية، ثم التحق به بعض المناضلين[1] من قادة الحزب الدستوري الجديد، و كانوا

قد تمكنوا من الإفلات من قبضة السلطات الاستعمارية بتونس للهجرة نحو أوروبا.[2]

إن من مظاهر الوفاء للعروبة والإسلام من أبناء هذا الجناح الغربي من الوطن العربي، أن الذين هاجروا من أبنائه إلى المشرق، عندما خانتهم الحيلة في البقاء في الوطن الصغير فتحوا هنالك، بدافع الشعور بأنهم لم يتخطوا حدود الوطن الكبير،جبهات جديدة لنضالهم وكفاحهم ،وإنك واجدهم في كل موقف بطولي،وثورة مسلحة،بل هم في الصدارة من الحركات الإصلاحية، والتنظيمات السرية، والمؤسسات العلمية التي عرفتها النهضة العربية الحديثة.[3]

يتطرق الرشيد إدريس[4] في مذكراته(وهو أحد هؤلاء المناضلين المهاجرين) عن هذه الهجرة وظروفها وعن دور قادة الحزب الدستوري الجديد في بعث العمل المغاربي
لمغاربي الموحد ابتداء من الدول الأوروبية وصولا إلى القاهرة ".

يقول الرشيد إدريس:" كنا جماعة من الوطنيين التونسيين غادرنا تونس خلال الحرب إيمانا منا بضرورة خرق النطاق الحديدي الذي ضربه الاستعمار حول بلادنا، قد خاطرنا بحياتنا في ظروف الحرب القاسية فعبرنا البحر الأبيض المتوسط بينـما كانـت

1- من أبرزهم: الرشيد ادريس، الحبيب ثامر،علي البلهوان، يوسف الرويسي، عزالدين عزوز، صالح بن يوسف، سليمان بن سليمان، الطيب سليم، للمزيد عد الى: عميرة علية الصغير، اليوسفيون وتحرر المغرب العربي، المرجع السابق، ص. 158.

2- عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص. 355.

3- صالح الخرفي، في رحاب المغرب العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان 1985. ص.15.

4- ولد الرشيد إدريس بتونس في 27 ـ01 ـ 1920 زاول تعليمه الابتدائي والثانوي بالصادقية ـ تونس ـ شارك في نشاط الحزب الدستوري الجديد ، هاجر أثناء الحرب العالمية الثانية الى أوروبا ثم انتقل الى مصر وشارك في إعداد مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة وفي إنشاء مكتب المغرب العربي سنة 1947 ، كان وفيا لأفكار رئيس الحزب الحبيب بورقيبة ، بعد استقلال تونس تقلد عدة حقائب وزارية ،أصدر مجلة خاصة بالدراسات الدولية ،له عدة مؤلفات من أهمها ذكريات عن مكتب المغرب العربي بالقاهرة .للمزيد أنظر، محمد حمدان، المرجع السابق، ص. 174 .

المعارك الحربية والجوية والبحرية حامية الوطيس وأستشهد منا ضحية إحدى هذه المعارك أخونا في الكفاح وأحد قادة الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد الحبيب بوقطفة وكان ذلك في 05 ماي من سنة 1943 أثناء قصف الباخرة التي كانت تقله من تونس الى صقلية، ثم انتقلنا بين الأقطار الأوربية واتصلنا بالجاليات العربية وخاصة المهاجرين من أهل شمال إفريقيا وأسسنا مكتبا للمغرب العربي في برلين[1] ومثيلا له في باريس[2] وحاولنا تنظيم شؤون العمال المغاربة الذين كانوا يستغلون استغلالا فاحشا من حكومة

فيشي[3] وسلط الاحتلال في فرنسا وزرعنا بذور المقاومة في نفوسهم وعرفنا بقضيتنا حيثما حللنا حتى تمكنا من الالتجاء إلى اسبانيا حيث كنا نقيم منذ حوالي سنتين عندما أطلعنا بواسطة جريدة أ.ب .س. الإسبانية على خبر سيكون له كبير الأثر علينا وعلى حركتنا ويفيد هذا الخبر أن زعيمنا الأستاذ الحبيب بورقيبة غامر بدوره فاجتاز الصحراء الليبية ووصل في 26 أفريل من سنة 1945 إلى القاهرة. سعينا حينئذ في الاتصال به بواسطة صاحب الفضيلة محمد الخضر حسين العالم التونسي المهاجر بالقاهرة، وبعد أن تم الاتصال بيننا تمكنا من الالتحاق بالعاصمة المصرية بعد الحصول بواسطته على جوازات مرور، وكان وصولنا إلى القاهرة في 09 جوان 1946 حيث بدأنا كغيرنا من المناضلين الذين اختاروا القاهرة مقرا لهجرتهم ونشاطهم مرحلة أخرى من صراعنا مع الحياة.[4]

كما استقبل الحزب الدستوري الجديد في تونس سنة 1945 وبالضبط بعد حوادث 08 ماي 1945 مسئولي حزب الشعب الجزائري منهم الشاذلي المكي، وفـي تـاريخ

1- يعود تأسيسه أولا الى المفتي الأكبر الأمين الحسيني ثم التحق به قادة من الحزب الدستوري وهم : الدكتور الحبيب ثامر ورشيد إدريس ويوسف الرويسي، للمزيد عد الى: Charles.R.Ageron, OpCit, p.208.

2- كان يعمل من اجل كسب الطبقة الشغيلة المسلمة في فرنسا بواسطة كل من الدكتور ثامر وحسين التريكي، للمزيد عد الى: Charles.R.Ageron, Ibid, p.208.

3- اسم منح للحكومة التنفيذية للدولة الفرنسية المقامة في مدينة فيشي الفرنسية من تاريخ 20جويلية 1940الى تاريخ 20 أوت 1944 وذلك بعد إمضاء معاهدة الاستسلام في تاريخ 22 جوان 1940 كانت هذه الحكومة برئاسة الماريشال " بيتان " إلا أنها كانت تحت سيادة الحكم الألماني بقيادة أدولف هتلر وكان شعار هذه الحكومة " عمل ـ أسرة ـ وطن " للاطلاع أنظر. Le Petit Robert2,OpCit, P.1867

4- الرشيد إدريس، ذكريات عن مكتب المغرب العربي بالقاهرة ،الدار العربية للكتاب ، تونس 1981 ،ص.11 .12.

1946 توجهت لجنة مكونة من لامين دباغين وفيلالي لمبارك إلى المغرب الأقصى وأمضيت اتفاقية من قبل ممثلي الأحزاب الوطنية الثلاثة وهم كل من الحزب الدستوري الجديد والاستقلال وحزب الشعب الجزائري نصت على عدم تفاوض أي حزب من الأحزاب بصفة فردية مع السلطات الفرنسية ويجب قبل كل شيء مراعاة مستقبل البلدان المغاربية الثلاثة.[1]

كما يتجلى دور الحزب الدستوري الجديد في بعث العمل المغاربي الموحد من خلال تلك الرسالة التي أرسلها رئيس الحزب الدستوري الجديد ـ الحبيب بورقيبة ـ الى السيد فرحات عباس زعيم الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والمؤرخة بتاريخ 29 جويلية 1946 والتي يؤكد من خلالها أهمية إتحاد الحركات التحررية المغاربية من أجل الحصول على النصر كما تناول فيها دور الدول العربية في دعم كفاح المغرب العربي كما تطرق الى نشاطه الدءوب مع رفاقه

في الحزب الدستوري الجديد من أجل التعريف بقضية الشمال الإفريقي سواء في القاهرة أو في بريطانيا أو في الولايات المتحدة الأمريكية أو حتى على مستوى الأمم المتحدة، يبدأ هذه الرسالة بما يلي :" ... إن اتحادا وثيقا بين شعوب شمالي افريقيا الثلاثة لحمته دماء ضحايانا ودموع ثكلانا ،ليقربنا من الظفر بمثلنا الأعلى قربا كبيرا..." وأهم ما جاء في هذه الرسالة: "....وهناك أيضا حادث آخر جد عند انتهاء هذه الحرب وسيكون له أثر لا محالة في توجيه المغرب العربي، وهو ما تبذله الدول العربية من الجهود في سبيل الوحدة السياسية في نطاق نظام فيدرالي مبني على التفهم الواسع. وكأني بهذه الحركة ستغير وجه العالم العربي...و قد تمكنت بما كونته من الاتصال الأكيد بيني وبين قادة الدستور وخصوصا بمانظمناه من التأليف السديد بين نشاطي بالقاهـرة ونشاط رفاقي بتـونس[2]من

1- **Mahfoud Kaddache**, Histoire du Nationalisme Algérien, Question Nationale et Politique Algérienne (1919 – 1951),T: II, SNED,Alger 1980, P.817.

2-بعد أن ترك الحبيب بورقيبة تونس سنة 1945 تولى قيادة حزب الدستور الجديد الباهي الأدغم الذي قاد انتفاضة ثورية فما لبث أن اعتقلته السلطات الفرنسية ونقلته مع رفقائه الى سجن لامبيز بالجزائر فعاد الحبيب ثامر من فرنسا وقاد الحزب، للاطلاع أكثر أنظر، الطاهرعبد الله، المصدر السابق، ص. 86.

خلق تيار روحاني في الشعب التونسي وكذلك بين شعوب شمالي إفريقيا الثلاثة[1]... وقد تحدثت طويلا مع كثير من رجال السياسة الإنجليزيين والأمريكانيين من السلك الدبلوماسي والصحفيين والنواب البرلمانيين وكلهم مجمعون على أهمية الشمال الإفريقي وآسفون،على ما يظهر أن لم تسمح ظروف السياسة الدولية بتنبيه أنظار الأمم المتحدة إليها. ولا أخالكم ألا تعلمون عناية رأي الأمم بتتبع ما يجرى عندنا من الحوادث...هذا وفي حسباني أن أتوجه في ديسمبر المقبل وبيدي توصيات ثمينة إلى لندن وواشنطن، لتنظيم مكتب المغرب العربي[2] هناك مع بعض رجال الحركة الدستورية مهمته إذاعة كافة الأخبار المتعلقة بشمال إفريقيا..." [3]

1- للإطلاع أكثرحول نص هذه الرسالة عد الى الملحق رقم: 16، ص. 141.
2-أسسه الحبيب بورقيبة بنيورك في جانفي 1947 ووضع على رأسه المناضل الدستوري العابد بوحافة وقام بدور هام في التعريف بقضية شعوب شمال افريقيا لدى الصحافة الأمريكية والبعثات الدبلوماسية في الأمم المتحدة. للمزيد عد الى، عميرة علية الصغير، اليوسفيون وتحرر المغرب العربي، المرجع السابق، ص.188.
3- الحبيب بورقيبة، بين تونس وفرنسا، المصدر السابق، ص.ص. 236 ، 238.

حزب الدستور الجديد ودوره في انعقاد مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة فيفري 1947

يعتبر القيادي الدستوري يوسف الرويسي[1] رئيس مكتب المغرب العربي بدمشق هو صاحب فكرة مؤتمر المغرب العربي الذي عقد في القاهرة من15 الى 22 فيفري 1947 وفي الواقع تعود فكرة المؤتمر إلى سنة 1946، والى جهود يوسف الرويسي بسوريا[2] ومخالطته لرجال القومية العربية، وبخاصة وأن النهضة القومية في هذا البلد، في هذه الفترة كانت في أوج عظمتها، وكان الرويسي قد استقبل في شهر أوت الحبيب بورقيبة وفي شهر أكتوبر أمحمد بن عبود وسهل لهما مهامهما هناك.
ويقول الرويسي عن زيارة ابن عبود لسوريا ولبنان : أنها قد مكنتني من فرصة الحديث معه حول القضية المغربية (المغاربية) والنظر إليها من منطلق قومي يؤمن بوحدة المصير ووحدة النضال وأنه آن الأوان لشباب المغرب العربي ،أن ينظروا لقضية بلادهم بمنظار قومي سليم ويضعونها في وضعها الطبيعي كجزء من القضية العربية العامة ،و أن بلاد المغرب جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير الممتد من المحيط الى الخليج، وبذلك نستطيع مواجهة تحديات الاستعمار والقضاء نهائيا على المطامح الفرنسية التي تحاول إدخال بلاد المغرب في الإتحاد الفرنسي[3] .

1- يوسف الرويسي (1907 ـ 1980) أحد مؤسسي الحزب الدستوري الجديد وأحد قياداته حتى خروجه من تونس في ماي 1943 هروبا من القمع الفرنسي نشط بفرنسا وألمانيا واسبانيا هو ورفاقه حكم عليه بالإعدام غيابيا، في أفريل 1946 تمكن من اللجوء الى دمشق سنة 1946 أين كون مكتب الحزب الحر الدستوري التونسي بدمشق كان من مؤسسي مكتب المغرب العربي بالقاهرة في فيفري 1947 .
اختلف مع بورقيبة في نهجه التفاوضي منذ 1950 وكان قريبا لطروحات محمد بن عبد الكريم الخطابي وكان من المغضوب عليهم في تونس حتى عودته سنة 1964 حيث انتخب عضوا بمجلس النواب،توفي سنة 1980، للمزيد عد إلى، عميرة علية الصغير، المرجع السابق، ص. 209.
2- تمكن من اللجوء إلى سوريا و أسس سنة 1946 مكتب الحزب الحر الدستوري التونسي بدمشق، أنظر للمزيد، عميرة علية الصغير، نفسه، ص. 209.
3- يبقى المغرب العربي الثابت في التعريف والأدبيات الفرنسية هو تونس والمغرب والجزائر،وتبقى الشخصية ثلاثية الأبعاد أقرب الشخصيات العربية الى أوروبا على أن التحمس الأوروبي للمغرب العربي(بالفرنسية لا تحتاج التسمية الى وصف عربي) قد يصل الى حد مساندة وحدته كطرف محتمل لوحدة أوروبية يهمها أن يكون على الضفة الجنوبية للمتوسط تجمع ذا وزن تتعامل معه وتجعل منه سوقا

اقليمية واسعة .للمزيد أنظر، الطاهر لبيب، المغرب العربي بين وحدة الخصوصية وخصوصية الوحدة ، وحدة المغرب العربي مركز دراسات الوحدة العربي،ط1 بيروت 1987، ص.91 .

..وتم الاتفاق بيننا على الدعوة لعقد مؤتمر يضم ممثلي الحركات التحررية لأقطار المغرب العربي الموجودين بالخارج لدراسة قضايا المغرب العربي واتخاذ القرارات الضرورية بشأنها ،وتعهد أمحمد بن عبود من جانبه أن يمهد لعقد هذا المؤتمر بمجرد عودته إلى القاهرة[1].

كما أكد الرشيد إدريس في مذكراته دور زعيم الحزب الدستوري الجديد الحبيب بورقيبة " في التعريف بالقضية المغاربية لدى الدول العربية في المشرق و حتى في الولايات المتحدة الأمريكية كما يثني على يوسف الرويسي وهو أحد قادة الحزب في تأسيس مكتب المغرب العربي سواء في ألمانيا(برلين) أو في دمشق وحتى في القاهرة كما أن فكرة توحيد عمل الحركات التحررية المغاربية ليست جديدة بالنسبة لقادة الحزب الدستوري الجديد بل تعود إلى عهد نضالهم الأول أي قبل هجرتهم الى أوروبا[2] والى القاهرة، بحيث يقول الرشيد إدريس :

" بينما كان المجاهد الأكبر الحبيب بورقيبة يوالي اتصالاته بالحكومات والشعوب وينتقل شرقا وغربا بين المملكة العربية السعودية وسوريا ولبنان وفلسطين وأمريكا التي سافر إليها في 02 ديسمبر 1946 ولم يعد منها إلى القاهرة إلا في 16 مارس من السنة الموالية كنا مع الدكتـور الحبيب ثامـر[3]نواصل الجهود ونحن باتصال مع الزعيم بورقيبة بواسطة البرقيات والرسائل ثم أن الأستاذ يوسف الرويسي أحد رجـال

1- يوسف الرويسي، مذكرات يوسف الرويسي ، "المجلة التاريخية المغاربية"، عدد 15/16، ص. ص. 103،104 .

2- ينتمي معظم قادة الحزب الدستوري الجديد الى جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين ،تلك الجمعية التي كانت تحمل الطابع المغربي والتي لعبت دورا بالغ الأهمية في تجسيد وحدة العمل من أجل التحرير وبلورة فكرة المغرب العربي، للمزيد عد الى، محمد عابد الجابري، فكرة المغرب العربي أثناء الكفاح من أجل الإستقلال ، "ندوة وحدة المغرب العربي" ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1، بيروت، لبنان 1987 ، ص. 19.

3- الحبيب ثامر، ولد بتونس سنة 1909 ،درس الطب في باريس ودخل غمار السياسة أصبح رئيسا للشعب الدستورية في باريس سنة 1936 ،ترأس جمعية طلبة شمال افريقيا بفرنسا،عاد الى تونس سنة 1938 وأعطى للحزب دورا فاعلا ،ساهم في جريدة تونس الفتاة ،القي عليه القبض سنة 1941 أطلق سراحه من قبل حكومة بيتان ،انتقل الى القاهرة واستقر بها سنة 1946 وواصل نشاطه الصحفي الا أنه توفي في حادث طائرة بباكستان ديسمبر 1949 بعد أن مثل الحزب الدستوري في المؤتمر الإقتصادي الذي انعقد بباكستان، للمزيد أنظر، محمد حمدان، أعلام الإعلام في تونس 1860 ـ 1965، مركز التوثيق القومي، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس 1991، ص. 166 .

الحزب البارزين وكان يقيم بدمشق حيث أسس مكتبا للمغرب العربي بعد أن وصل إليها من أوروبا في أعقاب الحرب وهو ممن هاجروا معنا وتركناه في ألمانيا[1]عندما التجأنا الى اسبانـيا أن الأستاذ الرويسي قدم إلى القاهرة ليتعاون معنا على تكوين الجبهة المغربية المنشودة،ولم تكن فكرة العمل على مستوى شمال إفريقيا ومحاولة توحيد جهود المغاربة فكرة جديدة بالنسبة لنا فقد اعتنقتاها عند كفاحنا في تونس وسرنا عليها في أوروبا وسعى إليها الحبيب بورقيبة منذ حلوله بالقاهرة[2].

لقد مثل انعقاد مؤتمر المغرب العربي الذي احتضنته العاصمة المصرية مركز الثقل السياسي العربي في هذه الفترة بين 15/22 فيفري 1947 أهم محطات العمل ألمغاربي المشترك وأكثر وقعا بعد الحرب العالمية الثانية فلأول مرة منذ نهاية هذه الحرب انخرطت قوى التحرر الوطني التونسية والجزائرية والمغربية في عمل تضامني مشترك أريد به أن يكون بادرة تأسيسه لمغربة مطلب استقلال الأقطار المغاربية للقيادات الوطنية التونسية والجزائرية والمغربية، بحيث اضطلع الحزب الدستوري الجديد بدور أساسي في الإعداد للمؤتمر وتنظيمه بحيث كان مكتب الحزب الدستوري الجديد في شارع ضريح سعد رقم 10بالقاهرة المقر الذي أعد لعقد جلسات المؤتمر التي استمرت أسبوعا كاملا[3] .

انعقد المؤتمر في الفترة الممتدة من 15 الى 22 فيفري 1947 بالقاهرة، ترأسه بصفة فخرية الأمين العام للجامعة العربية "عبدا لرحمان عزام" باشا الذي عرف بمواقفه القومية العربية إضافة الى عدواته للاستعمار وتشجيعه لحركات التحرر العربية وعلى رأسها القضية الفلسطينية وقضايا المغرب العربي التي ساندها منذ توليه رئاسة أمـانة

1- حسب مصالح المخابرات الفرنسية فإن الألمان شجعوا سرا الحركات التحررية المغاربية في بلدان المغرب وذلك من أجل إنجاح الدعاية الألمانية في العالم الإسلامي للمزيد أنظر، Charles.R.Ageron, OP-Cit, p.170

2- الرشيد إدريس، المصدرالسابق، ص. ص.14، 15.

3-عبد الجليل التميمي، مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة ودوره في بلورة السياسة المغاربية لحركات التحرر، المجلة التاريخية المغاربية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، عدد89، تونس 1998، ص. 28.

الجامعة العربية بحيث ألقى خطابا هاما في حفل الافتتاح كما حضر حفل افتتاح المؤتمر كذلك شخصيات عربية[1] لها مكانتها[2].

وأهم ما جاء في كلمة عبد الرحمان عزام باشا " إن المغاربة هم عماد هذه الأمة في الماضي و هم عمادها في المستقبل وقد نزلت بهم مصائب الاستعمار" كما أكد على مساندة الجامعة العربية لقضية المغرب العربي في سبيل نيل استقلاله، وفي الأخير قال: "إن هذا المؤتمر خاص بالمغاربة ، وليس لي أن أتحمل معهم مسؤولية ما يصدرونه من قرارات ...وإنما أعمل وأتحمل المسؤولية في سبيل الكفاح من أجل حرية جميع البلاد العربية وفي مقدمتها بلاد المغرب العزيزة علينا[3]."

وعلى إثر انتهاء حفلة الافتتاح انتقل المؤتمرون الى مكتب الحزب الحر الدستوري التونسي الكائن مقره بشارع ضريح سعد رقم 10 القاهرة، وبوصولنا ترأست الجلسة الأولى (الرشيد إدريس) واتفقنا فيها على ترتيب المؤتمر وجدول أعماله وعلى تأليف لجانه الخاصة بدراسة الموضوعات وقرر المؤتمرون بالإجماع إرسال برقية إلى معالي كبير الأمناء يعربون فيها عن ولائهم وآيات شكرهم لحضرة صاحب الجلالة فاروق الأول[4] ملك مصر وحامي العروبة وختمت الجلسة الأولى على أن تعقد الجلسة الثانية صباح الغد، بحيث تكـونت أربع لجان تتألف من شخصيات وطنيـة[5] لمناقشة المواضيع التي اقترحتـها لجنة

1- من أبرزهم: عبد الكريم غلاب (الأمين العام للمؤتمر)، اللواء صالح حرب باشا(وزير الدفاع المصري)، أحمد أمين(عميد كلية الأدب بالقاهرة)، الشيخ عبد اللطيف دراز(من علماء الأزهر)، إسماعيل الأزهري(رئيس الوفد السوداني) وغيرهم ...الرشيد إدريس، المصدر السابق، ص.63.

2- نوال المتزكي، الأحزاب الوطنية المغربية ومكتب المغرب بالقاهرة، جيش التحرير المغاربي 1948ـ 1955، أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف الجزائر 11 ماي، 2001، ص. 150.

3- يوسف الرويسي، مذكرات يوسف الرويسي ، "المرجع السابق، ص. ص،116.118.

4- فاروق الأول(1920 ـ 1965) آخر ملوك مصر،حكم مصر من سنة 1936ـ 1952) سعى الى تحييد دور حزب الوفد، إلا أن بريطانيا تدخلت وفرضت رئيس حزب الوفد النحاس باشا كوزير أول وذلك في تاريخ 1942 وأبعدت العناصر المتعاطفة مع دول المحور،تميز حكمه بالاستبداد حتى أطيح به من قبل الضباط المصريين الأحرار سنة 1952 ونفي الى ايطاليا حتى كانت وفاته بها سنة 1965. للمزيد عد الى، Le Petit Robert2,Op.cit, p, 627.

5- اللجنة الأولى: تكونت من الحبيب ثامر،عبد المجيد بن جلول،الشادلي المكي،محمد الفاسي. اللجنة الثانية: تكونت من يوسف الرويسي، عبد الكريم بن ثابت، أحمد بلمليح، الرشيد إدريس. اللجنة الثالثة: تكونت من الطيب سليم، عبد الكريم غلاب، محمد بن عبود،الشادلي المكي. اللجنة الرابعة: تكونت من :الرشيد إدريس،أمحمد بن عبود، أحمد المليح،الطاهر صالح. للمزيد عد إلى الرشيد إدريس، المصدرالسابق، ص.ص.69، 70 .

تنظيم المؤتمر وهذه اللجان هي كما يلي :

1- لجنة مكتب المغرب العربي والدعاية في المشرق العربي

2- لجنة تنسيق الحركات الوطنية في بلاد المغرب وارتباطها الحركات في المشرق

3- لجنة السياسة الاستعمارية في بلاد المغرب لعربي 4:لجنة العلاقات مع الجامعة العربية والمنظمات الدولية[1].

لقد بحث المؤتمر المواضيع التالية :

أـ توحيد المكاتب المغربية في الشرق ب ـ تقوية وتوجيه الدعاية المغاربية فـي الشرق . ج ـ ربط وتنشيط الحركات الوطنية في بلاد المغرب بالحركات الوطـنية في الشرق .د ـ كيفية مواجهة السياسة الاستعمارية(الفرنسية والإسبانية) في بلاد المغرب .هـ ـ المغرب والجامعة العربية .وـ كيفية عرض قضايا المغرب العربي على الهيئات الدولية . زـ دراسة كل المستجدات من الأعمال[2].

أولا: فيما يخص : الاستعمار الفرنسي والإسباني : اتخذت القرارات التالية :

1 ـ بطلان معاهدة الحماية المفروضة على تونس ومراكش[3] وعدم الاعتراف بأي حق لفرنسا في الجزائر.

2 ـ مطالبة الحكومة المغربية والهيئات الوطنية بإعلان استقلال البلاد.

3 ـ المطالبة بإخلاء القوات الأجنبية ببلاد المغرب العربي .

4 ـ رفض الانضمام إلى الإتحاد الفرنسي في أي شكل من أشكاله.

5 ـ تعزيز الكفاح في الداخل والخارج لتحقيق الاستقلال والجلاء[4] .

ثانيا: فيما يخص تنسيق الحركات الوطنية في بلاد المغرب : إتخذ المؤتمر فيها

1- الرشيد إدريس، المصدرالسابق، ص.67، 68.

2- نفسه، ص.69.

3- يرى كل من الحزب الدستوري الجديد وحزب الاستقلال أنهما يعتمدان على إطار الشرعية الدستورية فيما يخص موضوع السيادة بحيث يركزان على أن الحماية وعقودها (فاس وباردو والمرسى) لم يلغيا السيادة، وإنما كانت تنص على تفويض لتطبيق إصلاحات. للمزيد أنظر الى، لعلي أومليل، النخبة الوطنية وفكرة المغرب العربي، ندوة وحدة المغرب العربي...،نفس المرجع، ص. 49.

4- علال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، ط1، لجنة الثقافة الوطنية لحزب الإستقلال، مراكش، مطبعة الرسالة، القاهرة(مصر) 1984، ص.377.

القرارات التالية :

1 ـ ضرورة الاتفاق بين الأحزاب داخل كل قطر

2 ـإحكام الروابط بين الحركات الوطنية في الأقطار الثلاثة وأوصى المؤتــمر لتحقيق ذلك بما يلي :

أ) الاتفاق على غاية واحدة هي الاستقلال والجلاء .ب) تكوين لجنة دائمة من رجال الحركات الوطنية مهمتها توحيد الخطـط وتنسيق العمل لكفاح مشترك ـ ج) العمل على توحيد المنظمات العمالية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في الأقطار الثلاثة وتوجيهها توجيها قوميا[1].

ثالثا : فيما يخص المغرب العربي والجامعة العربية : اتخذ المؤتمر في هــذا المجال ما يلي :

1ـ ضرورة تحقيق مطالب دول المغرب تجاه الجامعة العربية.وتتمثل فيما يلي:

أ) إعلان عن بطلان معاهدتي الحماية المفروضة على تونس ومراكش والإعـلان عن عدم شرعية الاحتلال الفرنسي في الجزائر وتقرير استقلال هذه الأقطار مع تعيين ممثلين عنها في مجلس الجامعة . ب)عرض القضية المغربية (للأقطار الثلاثة)على الهيئات الدولية، واستعمال كل ما لدى الجامعة من وسائل لمساعدة أقطار المغرب العربي[2] على تحقيق استقلالها الكامل. ج) إرسال لجنة تحقيق الى أقطار المغرب العربي . د) تعيين ممثلين فـي أقطار المغرب للدول العربية المشتركة في الجامعة .

2 ـ عرض الحـالة الثقافية بالمغرب العربي وحل مشكلة الطلاب المغاربة الــذين يلجئون الى المـشرق بقصد إتمام دراستهم في المعاهد العربية وتذليل العقبات التـي تلاقيهم .3) شكر جامعة الدول العربية على كل ما بذلته في سبيل المغرب من جهود[3].

1- الرشيد إدريس، المصدرالسابق، ص.87.

2- في اجتماع مجلس جامعة الدول العربية في شهر ديسمبر 1945 وبعد الاستماع إلى أمينه العام أصدر المجلس قرارا نص على أن المجلس " قرر بعد الاستماع إلى البيانات التي أدلى بها الأمين العام أن يعهد الى الأمانة العامة باتخاذ التدابير اللازمة للقيام بمساعي سياسية لأجل تخفيف التعسف والاضطهاد والويلات التي تنزل بإخواننا العرب في شمال إفريقيا". للمزيد أنظرالى، هارون هاشم رشيد، جامعة الدول العربية، دار سراس للنشر، ط1، تونس1980، ص.101.

3- **علال الفاسي،** المصدر السابق، ص.371.

وفي هذا الصدد شكلت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية لجنة سميت اللجنة السياسية القانونية لبحث شؤون المغرب العربي،وعقدت هذه اللجنة جلسات متواصلة في سنتي1950 و 1951، عكفت فيها على إعداد الدراسات المطولة عن قضايا المغرب العربي ومشاكله من شتى جوانبها ومختلف اتجاهاتها[1] .

رابعا :فيما يخص : عرض قضية المغرب العربي على الهيئات الدولية : اتخذ المؤتمر القرارات التالية :

1ـ رفع مذكرة إلى إحدى الدول العربية توضح فيها بالمستندات الصحيحة كيفية مخالفة كل من فرنسا واسبانيا في سياستهما الاستعمارية لقرارات هيئة الأمم المتحدة 2ـ أن ترفع الهيئات السياسية المغربية إلى هيئة الأمم المتحدة تشرح فيها اعتداء فرنسا واسبانيا على حقوق الشعب المغربي وحرياته، ومنعه من استعمال حقه في تقرير مصيره وأن تطالب بإرسال اللجنة للتحقيق في أعمال هاتين الدولتين اللتان تناقضان ما قرره ميثاق هيئة الأمم المتحدة من المبادئ.

3ـ إرسال مذكرات من الهيئات السياسية المغربية، إلى مجلس الاقتصاد والاجتماع،وحقوق الإنسان تشرح فيها كيف اعتدت كل من فرنسا واسبانيا على حقوق الإنسان الأساسية في المغرب العربي،وحطمتا كيانه الاقتصادي والاجتماعي، وتطلب رفع هذه المسائل إلى الهيئة وإرسال لجنة إلى المغرب للتحقيق[2].

خامسا: فيما يخص توحيد جهود المكاتب المغربية في مصر :

لقد ناقشت الجلسة الثالثة لمؤتمر المغرب العربي المنعقدة في 16 فبراير1947 مشروع توحيد مكاتب المغرب العربي خاصة أن واقع هذه البلدان يفرض تكتل وأصبح الكفاح المشترك واجبا ولذلك تقرر إنشاء مكتب المغرب العربي[3].

كلف السيد"عبد الكريم غلاب" وهو بصفته الأمين العام للمؤتمر بتلاوة التقرير النهائي

1- هارون هاشم رشيد، المرجع السابق، ص.101.
2- الرشيد ادريس، المصدر السابق، ص. 78، 79.
3- نوال المتزكي، المرجع السابق، ص. 150.

لهذه الجلسات الخاصة بالمؤتمر[1]الذي نال تأييد الهيئات الإسلامية والعربية في الشرق وساندته الصحافة وأبرق إليه الزعماء المغاربة بتأييدهم، وكان المجاهد الأكبر الزعيـم "الحبيب بورقيبة" حينذاك في جنيف في طريق عودته الى القاهرة بعد زيارة الولايـات المتحدة الأمريكية[2]، قد بــعث للمؤتمر ببرقية تأييد ندرك من خلالـها أهمية العـمل المغاربي الموحد في فكر زعيم الحزب الدستوري الجديد وأمله تضامن الدول العربيـة مع كفاح الشعوب المغاربية هذا نصها :

"إن المغرب العربي (تونس الجزائر ومراكش) الذي يعيش تحت وطأة الاستعمار الغشوم يعرب لكم عن عميق امتنانه وله وطيد الأمل في تضامن إخوانه المشارفة في مؤتمر المغرب العربي،راجيا أن يتخذ المؤتمرون القرارات الناجعة وخاصة فيما يخص تعهد الدول العربية بعرض قضية استقلال المغرب على هيئة الأمم المتحدة في دورتها المقبلة حيث الجو مساعد بصورة خاصة"[3] .

الحزب الدستوري الجديد ودوره في إنشاء مكتب المغرب العربي بالقاهرة

من خلال مذكرات الرويسي وهو أحد قادة الحزب الدستوري الجديد ندرك أهمية الدور الذي لعبه هذا القيادي في إنشاء مكتب المغرب العربي بالقاهرة باعتباره مؤسس كلا المكتبين سواء في برلين أو في دمشق، كما أنه هو صاحب فكرة مؤتمر المغرب العربي، الذي انبثق عنه مكتب القاهرة والواقع أن مكتب القاهرة ما هو الى

امتداد لمكتب دمشق...كما أن المكتب باشر نشاطه بعد المؤتمر بمقر مكتب الحزب الدستوري الجديد10 ضريح سعد (القاهرة) وأطلق عليه اسم " مكتب المغرب العربي"[3].

1- للإطلاع أكثر أنظر، الصورة التاريخية الخاصة بتلاوة التقرير النهائي لمؤتمر المغرب العربي، الملحق رقم :06، ص.122.

.1- زار الحبيب بورقيبة الولايات المتحدة الأمريكية في شهر سبتمبر 1946 ولم يعد منها إلا في شهر مارس 1947 حيث كانت مهمته تتلخص في التعريف بقضية المغرب العربي ولقد انشأ في هذا الصدد ولهذه المهمة مكتب للمغرب العربي في نيويورك عين على رأسه العابد بوحافة وهو أحد مناضلي الحزب الدستوري الجديد. للمزيد عد الى، عميرة علية الصغير، المرجع السابق، ص.188 .2- الرشيد ادريس، المصدر السابق، ص.16.

3-**الرويسي يوسف**، نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق، الحلقة الرابعة،دور مكتب المغرب العربي بدمشق في انعقاد مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة، "المجلة التاريخية المغاربية" ،العدد15ـ16،منشورات مؤسسة التميمي، تونس1979، ص. 103.

كما أن زعيم الحزب الدستوري الجديد ــ الحبيب بورقيبة ــ بعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية ورجوعه الى القاهرة ساهم بالفعل في تأسيس"مكتب المغرب العربي " وهو مركز للدعاية ولتوزيع الوثائق،وقد اشترك فيه الحزب الدستوري الجديد وحزب الشعب الجزائري وحزب الاستقلال[1] .

إن بلاد المغرب العربي اليوم تدرج على تطور جديد في كفاحها وقد وحدت صفـوفها وصممت على أن تصل إلى غايتها مهما كلفها الأمر من تضحيات،وقد أصبحت في هذا الطور الجديد تشعر بأن كل قطر منها لا يستطيع أن يصل الى غايته بمعزل عن القطرين الآخرين. ولهذا أصبح التعاون التام بينهما في الكفاح المشترك أمرا ضروريا سواء في الداخل أو في الخارج .ولتحقـيق هذا التعاون في ميدان الدعاية في الخارج قرر مؤتمر المغرب العربي تكوين مكتب بين الأقطار الثلاثة في مصر ليتولى المهمة التي كانت تقوم بها المكاتب المغربية منفردة.[2]

انطلاقا من سنة 1946 سوف يساهم مكتبي المغرب العربي في دمشق والقاهرة بفضل نشاطهما السياسي الى تحسيس الإخوان بالمشرق العربي بأهمية المعركة الفكرية والسياسية والعسكرية التي يخوضها شعب المغرب العربي بفاعلية مدهشة ضد المستعمر. وان هذا النشاط الدؤوب المخلص والمثالي يعد أول محاولة موفقة لربط المغرب العربي بالمشرق العربي في العهدين الحديث والمعاصر.[3]

اشتمل نظام المكتب على ثلاثة أقسام :القسم المراكشي ويتعاون فيه حزب الاستقلال وحزب الإصلاح الوطني،والقسم التونسي ويشرف عليه حزب الدستور الجديد وقسم الجزائر مخصص لحزب

الشعب الجزائري ، وللمكتب مدير عام ينتخبه ممثلو الأحزاب في جمعية عمومية لمدة سنة،وللمكتب لجان فنية متعددة[4] .

1-**شارل أندري جوليان،** المصدر السابق، ص. 204**.**
2-**الرشيد ادريس،** المصدرالسابق، ص. 103.
3- **عبد الجليل التميمي**، مع أصول الثورة الجزائرية وتوظيف مبادئها ،الملتقى الدولي الجزائري (24 ـ 28 نوفمبر 1984) الثورة الجزائرية وصداها في العالم، المركزالوطني للدراسات التاريخية، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص. 28
4-**علال الفاسي**، المصدر السابق، ص.379**.**

قدم مكتب المغرب العربي مجموعة من الأعمال التي كان يسعى من ورائها توسيع نطاق الدعاية للقضية المغاربية بكل الوسائل الممكنة وفي مقدمتها :

1ـ أصدر مكتب المغرب العربي نشرة منتظمة تصدر ثلاث مرات في الأسبوع تتلخص مهامها في تتبع نشاط الحركات التحررية في المغرب العربي و فضح الممارسات الاستعمارية في البلدان المغاربية والتعريف بالأوضاع الداخلية للشعوب المغاربية كالمجاعة التي عرفتها تونس سنتي 1947 و1948 والمذبحة التي ارتكبها الاستعمار الفرنسي في الدار البيضاء سنة 1947 وغيرها من الأحداث المغاربية[1].

2 :أصدر مكتب المغرب العربي عدة مؤلفات منها "مركز الأجانب في مراكش " لأمحمد ابن عبود وكتاب "هذه تونس للدكتور الحبيب ثامر و"هذه مراكش" عبد المجيد بن جلون و" تونس الثائرة "للأستاذ علي البلهوان "والحركات الاستقلالية في المغرب العربي" للأستاذ علال الفاسي كما أن هناك منشورات وكراريس باللغتين الفرنسية والإنجليزية عن قضية الجزائر وقضايا مغاربية أخرى.

3ـ أصدر مكتب المغرب العربي بانتظام سلسلة من الرسائل يعرض فيها قضايا المغرب العربي وأحواله وأهدافه الوطنية وحركات جهاده الى جانب التقارير التي يعدها ويقدمها في المناسبات المختلفة الى الحكومات والهيئات العربية وغيرها .

4ـ نظم مكتب المغرب العربي كذلك سلسلة من المحاضرات عن المغرب ويعقد المؤتمرات بين الحين والحين في عواصم البلاد العربية ويشارك في مؤتمراتها العامة ويرسل الوفود الى الخارج للقيام بالدعاية الواسعة لقضية البلاد.

5ـ قام مكتب المغرب العربي بإحكام الروابط بين الشرق والغرب العربيين وعلى تمتين الصلات بينه وبين مختلف الهيئات العربية ويشارك في كل عمل من شأنه أن يعود بالخير على العرب سواء كانوا في المشرق أو المغرب[2] .

6ـ إن من أهم الأعمال التي قام بها مكتب المغرب العربي ولعب فيها قادة الحزب

1- **نوال المتزكي**، المرجع السابق، ص.151.
2-**الرشيد ادريس**، المصدر السابق، ص.ص. 8، 103

الدستوري دورا أساسيا كذلك هو ترتيب عملية تحرير "محمد بن عبد الكريم الخطابي[1]
ولجوئه الى القاهرة،وذلك بعدما تواجدت سفينته بالسويس مما أدى بالمكتب الى مطالبة الدوائر العليا المصرية،استضافة الزعيم وبالفعل تم تحرير "عبد الكريم الخطابي"الذي نزل بمكتب المغرب العربي في 30 ماي 1947 واتخذه منطلقا لنشاطه السياسي.[2]

7ـ تآزر أعضاء مكتب المغرب العربي وخاصة قياديي الحزب الدستوري الجديد وترحابهم بنزول بطل حرب الريف، بحيث جاء في مذكرات يوسف الرويسي في هذا الشأن قوله مايلي :
"فقد كان نزوله ببور سعيد[3] في ذلك التاريخ من الأحداث التاريخية البارزة لما يتمتع به عبد الكريم الخطابي من شهرة عالمية كرائد من الأوائل في حرب العصابات التحررية ومحارب من الطراز الأول ضد الاستعمار فقد بلغت الدعاية لقضية المغرب العربي في تلك الفترة رقما قياسيا فأصبح مكتب المغرب العربي بالقاهرة قبلة أنظار العالم يتوافد عليه الصحافيون من كل حدب وصوب فقالت عنه إحدى الصحف البريطانية أن رقم 10شارع ضريح سعد في القاهرة يعادل رقم 10 دانينق ستريت في لندن"[4] .
أما الحبيب ثامر ـ وهو أحد قيادي الحزب الدستوري الجديد ـ يكتب عنه فيقول : " وقد ضاعف هذا النشاط خروج البطل العربي سمو الأمير عبد الكريم الخطابي من الأسر الفرنسي ونزوله في القاهرة ضيفا على جلالة الفاروق المعظم وقد خطت الحركة الوطنية في المغرب خطوة أخرى جريئة وذلك بتكوين لجـنة تحـرير

1- محمد بن عبد الكريم الخطابي: من الزعماء الوطنيين للمغرب ولد في أغادير(المغرب الأقصى) سنة 1882 توفي بالقاهرة (مصر) سنة 1963 . انتصر على الإسبان في معركة الأنوال سنة 1921 ،ثم قاد حرب الريف ضد الاستعمار الفرنسي في المغرب مما أدى الى تحالف فرنسا واسبانيا عليه وإلحاق به عدة هزائم، استسلم سنة 1926 نفي الى جزيرة رونيان، هرب ولجأ الى القاهرة سنة 1947 حيث واصل نشاطه التحرري الهادف الى تحرير كامل دول المغرب العربي. للمزيد عد الى، Robert2,OpCit, p,03 Petit
2-نوال المتزكي، المرجع السابق،ص.151.
3- كان نزول الأمير بمصر في تاريخ 31 ماي 1947، وكان في استقباله زعماء المكتب، للمزيد أنظر، الملحق رقم: 05
4-يوسف الرويسي، كتابات ومذكرات الرويسي السياسية، منشورات مؤسسة التميمي، زغوان،تونس، 1995،ص، 171

المغرب العربي من ممثلين عن الأحزاب القومية في تونس والجزائر ومراكش تحت رئاسة سمو الأمير عبد الكريم الخطابي[1] ."

7ـ في تاريخ 18ـ07ـ1947 قام زعيم الحزب الدستوري الجديد، الحبيب بورقيبة،مع زعيم حزب الاستقلال،علال الفاسي بإرسال برقية باسم تونس والمغرب الأقصى إلى الزعيم الوطني مصالي الحاج يعربان له عن تضامن الشعبين الكريمين مع شقيقتهما الجزائر في حدادها الوطني في يوم 05 جويلية 1947 وهذا نص البرقية :" مصالي الحاج نزيل بوزريعة" الجزائر" بمناسبة الذكرى المؤلمة فإن حزبي الدستور والاستقلال اللذين هما ترجمان المغرب الأقصى وتونس يبعثان بالتحية إلى الشعب الجزائري الباسل ويؤكدان له تضامنهما الذي لا ينفصم مع الشعب الجزائري في كفاحه من أجل الحرية والاستقلال[2].

8 :كما أن قادة الحزب الدستوري الجديد في القاهرة لم يكتفوا بالتضامن مع بقية أعضاء المكتب في الدفاع عن قضاياهم العادلة بل وقفوا كذلك الى جانب بقية القضايا العربية ومن أهمها القضية الفلسطينية بحيث قدم رئيس الحزب الدستوري الجديد ـ الحبيب بورقيبة ـ والذي كان آنذاك مقيما في القاهرة إلى اللجنة الأنكلوـ الأمريكية تقريرا عن الأوضاع في فلسطين نيابة عن مكتب المغرب العربي والملفت للنظر في هذا التقرير أنه لا يشير الى الدعم الإمبريالي الأمريكي للصهيونية العالمية ،إن إغفال هذه الحقيقة كان من باب التكتيك الذي يهدف الى تعميق دعم الأمريكيين للحركة الوطنية المغاربية .إلا أن ما يجب ملاحظته هو أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تسعى آنذاك ــ في إطار تناقضها مع فرنسا وانكلترا ـــ الى تقويض سيطرة هاتين الدولتين في المستعمرات وذلك عن طريق الارتباط بحركات التحرر الوطني[3]

9:شارك المكتب في المؤتمرات العربية والدولية، ومن المؤتمرات العربية التـي

1-الحبيب ثامر، هذه تونس، دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت، لبنان 1988،ص. 176.
2- جريدة المغرب العربي، العددالرابع، السنة الأولى، الجمعة30 شعبان سنة 1366ـ الموافق18ـ07ـ 1947.
3- عفيف البوني، تطور الوعي القومي في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 1986

شارك فيها، المؤتمر الثقافي العربي الأول، المنعقـد ببيروت بلبنان في سبتمبر 1947 كان الهدف من المؤتمر الثقافي، هو البحث في أسس

القومية العربية واتخاذ الوسائـل لإيجاد المواطن العربي المثالي وخلق جيل جديد عربي متحمس لشعورموحد التفكير[1].

حاول الرويسي في نفس الشهر(أكتوبر 1947) بذل الجهود في إقناع عبد الرحمان عزام والوفود العربية المشاركة في انعقاد جلسات الجامعة العربية ببيروت،بضرورة إدراج قضية المغرب العربي في جلساتها، وساندته في ذلك بعض الأحزاب القومية من سوريا ولبنان والعراق، فاقترحت على رئيس الدورة ثلاث نقاط بخصوص المغرب العربي وهي كما يلي :

أ- عرض قضية المغرب العربي على الأمم المتحدة.

ب ـ تقديم مساعدة كافية لمكاتب الدعاية المغرب .ج ـ قبول ممثلين عن المغرب العربي في الجامعة العربية، غير أن قضية المغرب العربي لم تدرج في هذه الدورة ولكن تحت تأثير وإلحاح الرويسي على الوفود العربية المشاركة في الدورة اتفقت الوفود على أن يوكل الأمر الى الأمين العام للجامعة العربية ليعطي مساعدة كافية للمغرب العربي[2].

10: كما ساهم هذا القيادي الدستوري ـ يوسف الرويسي ـ في ربط أواصر الأخوة بين الشعوب المغاربية والشعب السوري الشقيق ففي تاريخ 12 ربيـع الثانـي
1367وبمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف ألقى محاضرة بمكتب حزب البعث العربي بدمشق، تناول فيها قضية المغرب العربي وما تعانيه شعوب هذه الأقطار، كما تكلم عن الحركات الاستقلالية وزعمائها وعن السياسة الاستعمارية الاستبدادية، وبعد الاستماع الى محاضرة الزعيم الدستوري قرر الحزب إدراج نص احتجاج يقدم إلـى الجامعة العربية والحكومات العربية التي يجب أن تستخدم كل وسائل الضغط السياسي

1-ابن عبود وجاك كاني، "مؤتمر المغرب العربي 1947 وبداية نشاط مكتب المغرب العربي في القاهرة، عملية ابن عبد الكريم "
"المجلة التاريخية المغاربية"، عدد 25، 26، منشورات مؤسسة التميمي،تونس1982، ص. ص. 126،128.

2-عبد الجليل التميمي، "رسائل جديدة للمرحوم يوسف الرويسي"، المجلة التاريخية المغاربية، عدد28، منشورات مؤسسة التميمي، تونس 1982، ص.ص.311، 312 .

والاقتصادي لترجع فرنسا عن سياستها[1].

- كما نجد كذلك الدكتور الحبيب ثامرــ وهو أحد قيادي الحزب الدستوري الجديد ـ قد شارك في مؤتمر الاقتصاد الإسلامي بالباكستان في شهر ديسمبر من سنة 1949
الى جانب إخوانه أمحمد أحمد بن عبود وعلي ألحمامي وناشدوا الدول والشعوب الإسلامية مناصرة المغرب العربي في كفاحه ومع عودتهم

وافتهم على اثر سقوط الطائرة التي كانت تقلهم بين مدينتي لاهور وكراتشي في تاريخ 13ديسمبرسنة 1949 فرحمهم لله[2].

دور الحزب الدستوري الجديد في إنشاء لجنة تحرير المغرب العربي :

جاءت في قرارات مؤتمر المغرب العربي (الذي يعود الفضل في انعقاده الى أحد قيادي الحزب الدستوري الجديد وهو المناضل يوسف الرويسي) ضرورة ربط و تنسيق الحركات الوطنية المغاربية[3].

ومن أجل ذلك كون لجنة دائمة من رجال الحركات الوطنية،ــ مع العلم أنه يوجد من ضمنها قياديين من الحزب الدستوري الجديد وهو كل من الأستاذ يوسف الرويسي والرشيد إدريس، مهمتها توحيد الخطط وتنسيق العمل للكفاح المشترك.[4]

أعلن مكتب المغرب العربي في 22 فيفري 1947 عزمه على بعث لجنة تحرير المغرب العربي لتخليص الأقطار الثلاثة من الاحتلال الفرنسي وإجلاء القوات الفرنسية وتقرر أن يكون يوم 12 ماي 1881 تاريخ إمضاء معاهدة باردو يوم حزن في تونس في كل سنة[5] .

وهكذا تأسست لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة في 09 ديسمبر 1947 وأعلن عليها رسميا في 05 جانفي 1948 من الأحزاب التالية: الحزب الدستـوري الجـديد

1- جريدة المغرب العربي، مصدر سابق، العدد الثاني والعشرون،الجمعة 17 ربيع الثاني 1367، الموافق 02 فيفري 1948.

2- الرشيد إدريس، المصدر السابق، ص.19.

3- نفسه، ص.70.

4- مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال افريقيا الى جبهة التحرير الوطني 1926 / 1945، دار الطليعة قسنطينة 2003، ص. 184.

5- عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي، تونس 1881 ـ1956، مركز النشر الجامعي، تونس ط1، 2001، ص. 356 .

والحزب الدستوري القديم وحزب الشعب الجزائري وحزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال وحزب الإصلاح الوطني وحزب الوحدة المغربية من المغرب الأقصى[1] .

اقترح أعضاء مكتب المغرب العربي :"محمد عبد الكريم الخطابي" لرئاسة اللجنة التي تشكلت في 09 ديسمبر1947 وتم إقرار القانون الأساسي لها بتكوين مكتبها الذي يتكون من :

الأمير محمد عبد الكريم الخطاب:رئيس دائم. وأخوه أمحمد عبد الكريم الخطابي:وكيل دائم .الأستاذ الحبيب بورقيبة :أمين عام. أمحمد أحمد بن عبود :أمين الصندوق .

فالأمين العام وأمين الصندوق فقد انتخبا لمدة ثلاثة أشهر[2] .

يؤكد أحد الشهود لهذا التأسيس التاريخي للجنة تحرير المغرب العربي وهو عبد السلام الهاشمي الطود أن عبد الكريم الخطابي كان رافضا ترؤسه للجنة بحيث ألزم نفسه أن لا يتكلم في مصر باعتباره لاجئا سياسيا وأنه لا يريد أن تكون هناك مشاكل بين مصر وفرنسا وأهم ما جاء في شهادته ما يلي :

" في إحدى الفترات عينوا الأمير عبد الكريم الخطابي رئيسا، والرجل لم يكن يريد أبدا، قال لهم "أتركوني أنا عندي عكاز أمشي به (كان يعاني من عاهة برجله) وتعبت وعمري الآن خمسة وثمانين سنة، اذهبوا أنتم،أنا لست بحاجة الى رئاسة ." والواضح أنه بعد إلحاح ترأس لجنة التحرير الأولى[3] .

لقد تم الإعلان عن ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي[4] يوم 06 جانفي 1948 من طرف ممثلي الأحزاب والبعثات المغربية في الشرق العربي وما جاء في الديباجة مايلي:

إن ممثلو الأحزاب والبعثات السياسية المغربية في الشرق العربي. تحدوهم الرغـبة

1-عميرة علية الصغير، المرجع السابق، ص. 185.

2-علال الفاسي، المصدر السابق، ص. 408 .

3-عبد السلام الهاشمي الطود، "حذور التنسيق .....شهادة مؤسس"، جيش التحرير المغاربي 1948 ـ 1955، أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف الجزائر 11 ـ 12 ماي 2001، مؤسسة محمد بوضياف 2004، ص.14.

4ـ للإطلاع أكثر حول بنود ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي(1948)، أنظر الملحق رقم : 08، ص. 123.

الصادقة الملحة في جمع شملهم،وتوحيد جهودهم، وتوجيهها إلى ما فيه خير بلادهم قاطبة وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها، وإقرارا بضرورة التضامن في الكفاح والمسئولية المشتركة الواقعة عليها،لإدراك أهدافهم ولا سيما في هذه الظروف الخطيرة التي يتحول فيها مجرى التاريخ[1].

شاركت في تأسيس هذه اللجنة عدة أحزاب مغاربية[2] جاء في مقدمة ميثاق اللجنة مايلي :

" ... ومن الآن ستدخل قضيتنا في طور حاسم من تاريخها وسنواجه المغتصبين ونحن قوة متكتلة تتكون من 25 مليون (نسمة) كلها مجتمعة على كلمة واحدة وتسعى إلى غاية واحدة هي الاستقلال التام لجميع أقطار المغرب العربي ... إننا نأمل أن يعمل الفرنسيون والأسبان على إنصافنا دون أن يلجئوننا إلى إراقة الدماء .. إننا لن نتأخر إذا نحن يئسنا من استرجاع استقلالنا بطريق التفاهم والإقناع عن استرجاعه بطريق التضحية وبذل النفـوس..." [3]

وأهم ما قام به قادة الحزب الدستوري الجديد من نشاط من خلال هذه اللجنة:
1 ـ قيام الحبيب بورقيبة ـ وهو بصفته الأمين العام للجنة تحرير المغرب العربي ـ بتوجيه رسائل إلى ملك الأردن عبد الله بن طلال والى الرئيس السوري وملك العراق والملك السعودي حول برنامج لجنة تحرير المغرب العربي. 2 ـ كما قام رئيس الحزب الدستوري الجديد مع الطيب سليم بجولة دعائية بداية من 20 مارس الى شهر ماي 1948، في مختلف العواصم العربية في المشرق العربي، فزار عمان وبيروت ودمشق وبغداد والرياض وذلك لطلب الدعم والتأييد والدعاية لقضية المغرب العربي من قبل ملوك ورؤساء العالم العربي. (4)

.1- فتحي الذيب ، عبد الناصر والثورة الجزائرية، دار المستقبل العربي القاهرة، 1984، ص. 52 .
2- تتكون هذه الأحزاب من الحزب الدستوري الجديد والقديم، وحزب الشعب الجزائري، وحزب الاستقلال، وحزب الشورى والاستقلال، وحزب الإصلاح الوطني، وحزب الوحدة المغربية. وكان رئيسها محمد بن عبد الكريم الخطابي، للمزيد أنظر، عميرة علية الصغير،المرجع السابق، ص. 210 .
3-الرشيد إدريس، المصدر السابق، ص. 140.
4-عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص.358 .

3ـ في تاريخ 26 نوفمبر1948 شارك الحزب الدستوري الجديد بصفة فعالة الى جانب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وحزب الاستقلال المراكشي وذلك على اثر اجتماع الدورة الثالثة للجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة من أجل لفت نظر الأمم المتحدة إلى خطورة الأوضاع بالمغرب العربي بسبب سياسة الاستعمار الفرنسي والإسباني، وقدم المذكرة التاريخية إلى الأمين العام لهيئة الممم المتحدة يوم 02 نوفمبر1948 كل من حلولي فارس(ممثل الحزب الدستوري الجديد) وأحمد مزغنة(ممثل حركة انتصار الحريات الديمقراطية) والمهدي بن بركة(ممثل حزب الاستقلال المراكشي) (1) .

4ـ في تاريخ 11 فيفري 1949، شارك مندوبون تونسيون من الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد إلى جانب مندوبين حركة انتصار الحريات الديمقراطية،وحزب الاستقلال المراكشي واجتمعوا بالوفود المختلفة لهيئة الأمم المتحدة
وبالمراسلين الصحفيين من أجل توضيح الأوضاع التي يعيشها المغرب العربي في ظل الاستعمار وسياسته. (2)
5 ـ وعلى اثر اكتشاف المنظمة السرية بالجزائر سنة 1950 وإلقاء القبض على الكثير من أعضائها، وجه أعضاء المكتب ولجنة تحرير المغرب العربي احتجاجا أيضا الى الأمم المتحدة على محاكمة

المعتقلين السياسيين بسجن البليدة مطالبين بإطلاق سراح هؤلاء المساجين[3] .

كما ساهم حزب الدستور الجديد في بعث وتأسيس الجبهة المغربية وذلك علـى اثر اجتماع الأحزاب الوطنية المغربية[4] في باريس يوم 02 فيفري 1952بحيث قررت

1-جريدة المغرب العربي، العدد 35 السنة الثانية،يوم 24 محرم 1368 ـ 26 نوفمبر1948، ص. 1 .
2- نفسه، العدد 41 السنة الثانية 12 ربيع الأول1368ـ 11 فيفري 1949 .ص، 1.
3-للمزيد أنظر، جريدة المنار، عدد 11. 09ربيع الأول 1368 ـ 11 فيفري 1949. ص، 1.
4-وهم : حزب الدستور الجديد،حزب الدستور،حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ،حزب الاستقلال، حزب الشورى والاستقلال، وحزب الوحدة والاستقلال. للمزيد أنظر، **جريدة المنار** عدد 16 ، 20 جمادي الأول 1371، الموافق 15 فيفري 1952.

هذه الأحزاب إنشاء" جبهة الإتحاد والعمل المغاربية" لمجابهة الأوضاع الجديدة في المغرب العربي، ضرورة تنسيق أعمالهم هكذا ظهرت الجبهة المغربية في ظروف حرجة تمر بها البلدان المغاربية على اثر السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الشعوب المغاربية وأهم ما جاء في مقدمة ميثاقها[1] :

"بما أن الحالة في إفريقيا الشمالية أصبحت على جانب كبير من الخطورة تتطلب مـن الحركات الوطنية تبصرا ويقضه تفرض عليها تـقـوية وحدتها ومضاعفة عملها وبما أن النظام الاستعماري المفروض على شمـال إفريقيا واحد في أهدافه ووسائله رغـم الفوارق القانونية الشكلية إذ الغاية التي يرمي إليها هي تحطيم كيان هذه الشعوب وتأييد سيطرة الاستعمار واستغلاله."

في تاريخ 1952 أرسل القيادي الدستوري يوسف الرويسي وهو بصفته مدير مكتب المغرب العربي بسوريا برقية الى رئيس الجمعية العمومية للأمم المتحدة[2] وأهم ما جاء فيها :" إن تجاهل الأمم المتحدة لما يجري وراء الستار الحديدي الذي يفصل إفريقيا الشمالية عن بقية العالم ورفضها الاستماع لصوت أقطار المغرب العربي المطالبة بحقها في الحياة والحرية قد أحدث في نفوس ثلاثين مليونا من عرب المغرب خيبة أمل في إخلاص الأمم المتحدة لمبادئ ميثاقها...ـ ويرى المكتب من واجبه أيضا أن يحذر من نتائج تجاهل الأمم المتحدة للأماني القومية لهذه الأقطار العربية التي ستجبرها الحوادث ويدفعها اليأس الى استخدام جميع الوسائل لتحقيق حريتها وحفظ كيانها القومي[3] ....."

1- للإطلاع أكثر عن بنود ميثاق "جبهة الإتحاد والعمل المغاربية" (1952) أنظر، بنود هذا الميثاق في الملحق رقم :09 ص،126
2- تمثلت في شخصية "تريجييف لي" وهو من النرويج ،ترأس الجمعية من سنة 1946 الى غاية 1952، حول المزيد من التفاصيل أنظر: Robert2,Op-Cit, p.1335 Petit
3-للمزيد أنظر، نص البرقية من جريدة المنار، عدد 19،بتاريخ 02 رجب 1371 / 28 مارس 1952. ص. 1.

زعماء الحزب الدستوري بين الاتجاه الوحدوي المغاربي والاتجاه القطري التونسي :

تناغمت قيادة الحزب الدستوري الجديد التونسي مع متغيرات ما بعد الحرب العالمية الثانية المتمثلة في تقهقر الإمبراطوريات الاستعمارية التقليدية (فرنسا، بريطانيا)وبروز قوى عالمية جديدة (الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي)وتأسيس منظمة الأمم المتحدة سنة 1945 التي أعلنت بوضوح حق الشعوب في تقرير مصيرها وقيام جامعة الدول العربية بمصر، بحيث ارتأت هذه القيادة الاستفادة من هذه المتغيرات ومحاولة تدويل القضية التونسية في إطار المغرب العربي اعتمادا على الدعم العربي المحتمل لها[1].

لقد تألفت لجنة التحرير المغرب العربي برئاسة الأمير عبد الكريم اثر التجائه إلى القاهرة وحاول الزعماء المغاربة في القاهرة الالتفاف حول البطل المغربي لكن سرعان ما تباينت وجهات النظر بين بعضهم بعضا وبينه وبينهم.وكان منهم من يرى الثورة المسلحة فورا ومنهم من يعترف بأهمية الدعاية والاتصالات الخارجية ومنهم من يرى التريث والاستعداد ورأى الأمير أن يتحدوا كلهم على رأيه وهو الثورة العامة الشاملة في وقت واحد وكان ذلك أمرا مستحيلا[2].

يرى عبد الكريم الخطابي أن تحقيق طموحات شعوب شمال إفريقيا ـ كما يراها كذلك حزب الشعب الجزائري ـ يجب أن يمر عبر الطريق الثوري، ولا يتم الوصول إليه إلا بالكفاح المسلح وحده، ولم يكن حزب الدستور الجديد على استعداد لسلوك هذا الطريق فقد كان يبحث عن وسائل ضغط لإجبار فرنسا على التفاوض والاعتراف بالمصالح الخاصة والتي كان الحزب يريد أن يكون ممثلا لها.ومن أجل هذا السبب لم يكن حزب الدستور الجديد مقتنعا بميثاق لجنة تحرير المغرب التي تلاشت بسرعة[3].

1-خالد بن فرج عبيد، "دلالات الخلافات البورقيبة - الثامري بمصر وتفاعلاته 1947 ـ 1950، الحبيب بورقيبة وإنشاء الدولة الوطنية"، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 97 ـ 98، منشورات مؤسسة التميمي، تونس 2000، ص، 132.
2-الرشيد ادريس، المصدر السابق، ص.ص. 18، 19.
3-محمد حربي، الوطنيون الجزائريون والمغرب العربي 1928 ـ 1954، وحدة المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ط1 بيروت (لبنان) 1987، ص.86 .

إن اختلاف وجهات النظر بين رئيس لجنة تحرير المغرب العربي،عبد الكريم الخطابي والأمين العام للجنة الحبيب بورقيبة ـ أدى إلى تغيير هذا الأخير لمنهاج كفاحه وأصبح يعمل وفق مناهجه القديمة،لصالح القضية التونسية أي السياسة القطرية وهذا مما أدى برئيس اللجنة ـ عبد الكريم الخطابي ـ إلى إقصائه من الأمانة العامة وتعيين مكانه علال الفاسي وحدث ذلك أثناء غياب الحبيب بورقيبة الذي كان في جولة بالبلدان العربية،ونستطيع القول أن نشاط الحبيب بورقيبة لقضية المغرب العربي وفق الوجهة القومية العربية كانت بين سنوات 1945 إلى غاية1948[1].

كما أن الخلاف كان كذلك بين قادة حزب الدستور الجديد بالقاهرة، فلقد اغتاظ الحبيب بورقيبة كثيرا من موقف الحبيب ثامر[2] تجاهه لأنه أقدم على انتقاده علنا أواخر 1947 وبداية 1948 وألب كل التونسيين الموجودين بمكتب المغرب العربي ضده وشكل هذا القطع الثامري بداية لتبلور جناح آخر ولو باحتشام داخل قيادة الدستور الجديد بمصر سميناه الجناح الثامري ويجسده الحبيب ثامر ويناصره القيادي يوسف الرويسي المستقر في سوريا وذلك في مواجهة ما أسميناه الجناح البورقيبي الذي لن يتبلور بوضوح إلا في سنة 1950 اثر رجوع الحبيب بورقيبة إلى تونس في شهر سبتمبر1949، فالحبيب ثامر وجناحه يرتكز على مبدأ القيادة الجماعية والقرار الجماعي واستبعاد التفرد القراري وفقا لمرجعيات الحزب حتى ولو كان المستهدف هنا زعيم الحزب الذي يعتقد أنه باحتكاره للأسبقية النضالية لا يمكن لهذه القيادات الصاعدة أن تصل الى مرتبته العليا ولذلك لا يوجد مبرر كاف يمكنها من حق الانتقاد وقد تزامن هذا الاعتقاد البورقيبي مع تزايد خيبته تجاه عرب المشرق[3].

.1- علال الفاسي، المصدر السابق، ص. 412.

2- الحبيب ثامر: (1909ـ 1949) درس الطب بباريس وترأس جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين في باريس أصبح من قيادي الحزب الحر الدستوري الجديد منذ 1938 أعتقل مرات قبل أن يغادر تونس في ماي 1943 هروبا من القمع الاستعماري حتى التحق برفاقه بالقاهرة في جوان 1946 وكان محل إجماع المناضلين المغاربيين بمصر. وقد توفي هو ورفيقه علي الحمامي من الجزائر ومحمد بن عبود من المغرب في حادث طائرة في 12 ديسمبر1949 بالباكستان أين كانوا يحضرون المؤتمر الاقتصادي الإسلامي بإسم مكتب المغرب العربي بالقاهرة .للمزيد أنظر، عميرة علية الصغير، المرجع السابق، ص. 208.

3-خالد بن فرج عبيد، المرجع السابق، ص.133.

فالزعيم التونسي ـ الحبيب بورقيبة ـ لم يكن يؤمن بحل دولي لقضية بلاده يفرض من الخارج، ولم يكن يريد اللجوء إلى أي شكل من أشكال النضال يمكنها أن تتسبب في ظهور مواقف مستقلة داخل الجماهير لذلك كان كل سياسته تهدف إلى جر فرنسا للحلول التوفيقية[1].

أواخر صيف 1948 حل الأمين العام للحزب الدستوري الجديد صالح بن يوسف[2] بالقاهرة فـوجد مكتب المغرب العربي متصدعا نتيجة الخلافات بين المغاربة والتونسيين وبين التونسيين أنفسهم الذين انقسموا إلى شقين شق يدعوا إلى التمسك بالعمل الموحد بين التونسيين والمغاربة ولو عد ذلك إجحافا لحق تونس في المكتب ويمثله الحبيب ثامر وشق يدعوا إلى وضع حد للخلافات مع المغاربة وعلى هيمنتهم على المكتب من خلال إنهاء العمل الموحد بين الطرفين واستمرارية النشاط الوطني كل طرف على حدة ويمثله الرشيد إدريس، ونظرا لهذا الانقسام فإن صالح بن يوسف قرر مساندة الحبيب ثامر على ضرورة العمل الموحد بعد أن تفاهم مليا مع الأخ علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال الذي كان في القاهرة يومئذ، وعودته الى تونس وقيامه بعقد مؤتمر استثنائي للحزب وهو مؤتم " دار سليم" وذلك يومي 16 و17 أكتوبر 1948ومساهمته في إدخال كل من يوسف الرويسي والحبيب ثامر(ذوي الميول الوحدوية المغاربية) في الديوان السياسي اعتبرها بورقيبة خيانة من أمينه العام[3].

1- محمد حربي، المرجع السابق، ص. 77.

2-صالح بن يوسف (1907 ـ1961) ولد بتونس وتخرج من معهد الصادقية،واصل تعليمه العالي بالعاصمة الفرنسية باريس وتخصص في المحاماة عاد الى تونس ،أنتخب أمين عام للحزب الدستوري الجديد،يساير الأفكار الثورية لعبد الكريم الخطابي رفض قبول بورقيبة بمبدأ الحكم الذاتي للبلاد الذي تم الإعلان عنه في شهر جوان 1952 ودخل في معارضة مسلحة ضد نظام بورقيبة، تم اغتياله سنة 1961. للمزيد عد الى، عبد اللطيف الحناشي، موقف بورقيبة من قضايا الوحدة العربية والمغاربية 1956 ـ 1974، أعمال المؤتمر العالمي ـالحبيب بورقيبة وإنشاء الدولة الوطنية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات تونس 2001، ص. 47.

3- خالد بن فرج عبيد، المرجع السابق، ص.133.

يقول الحبيب بورقيبة :" هكذا سحب مني كل نفوذ واعتبرت خارج دائرة ذوي الحل والعقد في الحزب"[1].

ويبدو أن الظروف السيئة التي أحاطت بالجامعة العربية سنة 1948 وعلى رأسها انهزام الدول العربية في الحرب ضد إسرائيل فلم تكن مشاكل المغرب العربي تشغل المشرق العربي بنفس الأهمية التي حظيت بها قضية فلسطين فلم تول المسائل المغاربية الاهتمام الذي كان يأمل إليه الحبيب بورقيبة[2].

ارتأى الحبيب بورقيبة الرجوع إلى تونس في سبتمبر 1949[3] اثر تقييم سلبي لإقامته القاهرية حيث اتضح له فشل خياره العروبي

وتوضحت لديه الأبعاد الحقيقية للمؤامرة التي تستهدفه سواء في مصر أو في تونس وأعتزم البدء في خط جديد يعتمد التفاوض مع فرنسا قبل اللجوء إلى طرق أخرى، وكان تبريره يتمثل في هزيمة البلدان العربية أمام إسرائيل وعجز هذه البلدان على تقديم المساعدة إلى المغاربة[4] .

إن هذا الانقسام الحزبي قد زادت السلطات الفرنسية في تغذيته واعتمدت عليه في تحديد مؤشرات التفاوض مع الحركة الوطنية التونسية ووضعت تصنيفا يميز بين خطي المرونة والتصلب داخل هذه الحركة فوجدت الحبيب بورقيبة أقدر على السير بالمفاوضات إلى المستوى الذي تروم فرنسا بلوغه[5].

في هذه الأثناء طرح الحبيب بورقيبة برنامجه التفاوضي المعروف بالنقاط السبع[6] في أفريل 1950 بفرنسا، والذي تخلى فيه عن الثوابت المبدئية للحزب القائمة على المطالبة بالاستقلال التام وبأن لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال .

1.-الحبيب بورقيبة، حياتي،أرائي،جهادي، وزارة الإعلام، ط3 تونس 1984، ص. 203.

2-.صلاح العقاد، المصدر السابق، ص. 342.

3عاد الحبيب بورقيبة الى تونس يوم 8 سبتمبر 1949، للإطلاع أكثر عد الى، الصورة التاريخية في الملحق رقم :07، ص،122

4- الحبيب بورقيبة، المصدرالسابق، ص. 204 .

5-عمار السوفي، عواصف الاستقلال "رؤية في الخلاف اليوسفي ـ البورقيبي" حذوره وتداعياته، دار الكتب الوطنية للتوثيق والإعلام، تونس 2006، ص. 72.

6- وهي : استعادة السلطة التنفيذية، حكومة تونسية متجانسة، إلغاء الكتابة العامة، إلغاء الجند رمة، مجالس بلدية منتخبة،انتخاب مجلس تشريعي، تحديد طبيعة العلاقات بين فرنسا وتونس. للمزيد أنظر،عميرة علية الصغير،المرجع السابق،ص. 184.

هذا الاستقلال يراه الحبيب بورقيبة لن يتحقق إلا بعد عدة مراحل من المفاوضات[1].

إن إصلاحات 1951 أكدت على رفع حالة الحصار المضروب على تونس وعلى نشاط الحزب الدستوري، إلا أن السلطات الاستعمارية الفرنسية لـم تنـفذ ذلك واصلت سياسة القوة بل طلب المقيم العام لويس بيرلي[2] من الباي[3] إقالة صالح بن يوسف من الوزارة لأنه أمضى نداء للإضراب تضامنا مع المغاربة[4] .

وحدث ذلك أثناء الأزمة الفرنسية ـ المغربية في سنة 1951 ومناورات فرنسا لفرض القبول بالسيادة المزدوجة في المغرب وإرغام السلطان مولاي محمد على القبول بذلك وبالرغم من دخول حزب الدستور الجديد في مفاوضات منفردة مع فرنسا إلا أن دوره الريادي في إعلان الثورة كان له الأثر الإيجابي في تعميمها عبر ربوع المغرب العربي، فلقد ندد الديوان السياسي لحزب الدستور الجديد بسياسة الضغط والقوة المسلطة على الشعب المغربي وسلطانه

وشجب الإيقافات التي تنال من الوطنيين المنخرطين في حزب الاستقلال ومما زاد في تعفن الأوضاع بتونس فشل المفاوضات التونسية الفرنسية والتي كرستها مذكرة الخارجية الفرنسية في تاريخ 15 ديسمبر1951 ثم ما تلا ذلك بداية من 18 جانفي 1952 من حملة اعتقالات وقمع الوطنيين مما أدى إلى انفجار المقاومة العنيفة في المدن والأرياف[5].

وهكذا انطلق الدستوريون الجدد في تفـجير الانتفاضة ضد الاستعمـار الفرنسي

1-خالد بن فرج عبيد،المرجع السابق، ص.134

2-لويس بيرلي: ولد بمدينة " نيم "،دخل الأكاديمية العسكرية بسان سير وتخرج منها كضابط ،تحصل على الدكتوراه في الحقوق وانخرط في العمل السياسي ،عين في 01 جوان 1950 مقيما عاما لفرنسا بتونس التي أعلن فيها عن عزمه على تطبيق جملة من الإصلاحات دخل في مفاوضات مع الحزب الدستوري الجديد إلا أنها تعثرت . في 18 ديسمبر 1951 أعلن عن إعفاء المقيم العام .للمزيد عد الى، نور الدين الدقي، المرجع السابق،ص. 208.

3- الباي:هو محمد الأمين باي (1943 ـ 1957) آخر البايات الحسنيين الذين حكموا تونس، تولى العرش بعد خلع محمد المنصف الباي، تعددت مواقفه من الحركة الوطنية بين التأييد والتردد والحذر وافق على انتحاب المجلس القومي التأسيسي سنة 1956 ليعلن هذا المجلس بعد ذلك إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية يوم 25 جويلية 1957 .بقي منعزلا بقصره حتى وفاته سنة 1962 .محمد حمدان، المرجع السابق، ص. 190 .

4-شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص. 231 .

5-عميرة علية الصغير، المرجع السابق، ص. ص. 185 ،189.

سنة 1952 وكأنهم في ذلك قد مهدوا لانتفاضة ثانية عرفها المغرب الأقصى سنة1953

وما تحمله الانتفاضتين من فصائل تؤمن بوحدة الكفاح المشترك في المغرب العربي،أما الجزائر فكانت تتهيأ لمولود ثوري جديد[1].

إن دخول كل من تونس والمغرب الأقصى في حرب تحريرية ضد الاستعمار الفرنسي أدى ذلك الى حدوث أزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية في شهر أفريل 1953 والتي أدت الى ظهور" اللجنة الثورية للوحدة والعمل" والتي انبثقت عنها ميلاد جبهة التحرير الوطني التي أعلنت الثورة، وكان من المفروض أن تبدأ المعركة في البلدان الثلاثة[2].

إن ضعف أداء لجنة التحرير المغاربية المؤسسة منذ 1948 ظل محل انتقاد الحزب الدستوري الجديد الذي طالب بضرورة تعديل ميثاقها وبالفعل نرى هذا الحزب قد ساهم في بعث عقد جديد للجنة تحرير المغرب العربي في شهر أفريل 1954 في مقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بحيث وقع ممثلو الحزب وهم كل من صالح بن يوسف وعلي البلهوان على هذا الميثاق[3] إلى جانب إخوانهم ممثلي المغرب والجزائر وذلك من أجل توحيد الجهود والتوفيق بين وجهات

النظر لمواجهة ضراوة الاستعمار في المغرب العربي كله[4].
هذاالميثاق الجديد يدعم العمل القطري أكثر نظرا أن بنوده لا تنص على وحدة كفاح المغرب العربي[5].
ولذلك فإن معظم مبادئ ميثاق لجنة 1948 قد ألغيت باعتبار أن التجارب قد أكدت فشل عمل تلك اللجنة نظرا لتلك الخصومات والخلافات بين الوفود المغاربية في مكتب المغرب العربي، وهذا ما يفسر غياب الأمير عبد الكريم الخطابي وأخوه عن حضـور

1-عبد الحميد مهري، "أحداث مهدت لفاتح نوفمبر 1954 "، مجلة الأصالة،عدد خاص، 22 رمضان1394، نوفمبر/ ديسمبر 1974، ص،11 .
2-محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 1985 ص.ص.79، 80 3- للإطلاع أكثر على بنود هذا الميثاق الجديد للجنة تحرير المغرب العربي(1954) عد الى، الملحق رقم : 10، ص.127.
4-هارون هاشم، المرجع السابق، ص. 98.
5- بلقاسم محمد، الإتجاه الوحدوي في المغرب العربي(1910 -1954)، رسالة ماجستير، معهد العلوم الإجتماعية، الجزائر1994 ص، 412.

الاجتماع والتوقيع على عقد الميثاق الجديد،وأدى بالأمير كذلك الى إعلان مشروعه الثوري أي الثورة المسلحة والشاملة والمتزامنة في كامل المغرب العربي وفرض الاستقلال الكامل ورفض الحوار مع العدو، ونجد من بين هؤلاء المؤمنين بأفكار الأمير عبد الكريم الخطابي قادة من الحزب الدستوري الجديد من ضمنهم يوسف الرويسي والأمين العام للحزب صالح بن يوسف ومناضلون دستوريون آخرون أبرزهم علي الزليطي وإبراهيم طوبال وعبد العزيز شوشان وحسين التريكي و مجموعة من الضباط التونسيين الذين أشرف على تكوينهم محمد بن عبد الكريم الخطابي شأن الهادي بن عمر ويوسف العبيدي وخاصة عزالدين عزوز هؤلاء الذين دخلوا مغامرة جيش التحرير المغرب العربي منذ أواخر 1955 وساهموا في الثورة الجزائرية[1].
كما لعب القيادي الدستوري يوسف الرويسي والذي كان مسؤول مكتب المغرب العربي في دمشق دورا هاما في تجسيد أفكار عبد الكريم الخطابي الثورية حيث يقول في شهادة سجلها في الملتقى حول عبد الكريم الخطابي وجمهورية الريف" أن علاقات عبد الكريم به شخصيا تحسنت كثيرا حين علم عبد الكريم أن يوسف الرويسي نجح في تسجيل طلبة من الأقطار المغاربية في الكليات العسكرية في سوريا والعراق وأنه اختار عناصر من المتطوعين من الأقطار المغربية في حرب فلسطين ليتدربوا في تشكيلات الكومندو استعدادا للعمل المسلح.ويذكر الرويسي كذلك أن انطلاق الثورة الجزائرية هو الذي ملأ قلب الأمير عبد الكريم بالغبطة والأمل لأنه كان يرى فيها بداية لتحقيق أفكاره في الثورة المغاربية المسلحة"[2].

يقول بشير القاضي[3] ـ أحد المناضلين في حزب الشعب منذ الصغرـ وهو

1-عميرة علية الصغير، المرجع السابق، ص. 211.
2- منور مروش، المناضلون المغاربة في القاهرة والكفاح المسلح في الجزائر، "جيش التحرير المغاربي 1948 ـ1955"، مرجع سابق، ص. 158.
3- بشير القاضي: مناضل من مناضلي حزب الشعب منذ 1944، طالب بالزيتونة، كان مطلوبا من طرف العدالة منذ 1948، فر إلى ليبيا وانضم بعد اتصال بن بلة الى اللجنة الثورية للوحدة والعمل، عين مسؤولا على القاعدة الليبية من طرف مصطفى بن بولعيد، كلف منذ سبتمبر 1954 بمهمة بفزان مع محمد بلحاج لوضع القاعدة الأولى لجيش التحرير المغاربي بليبيا. للمزيد أنظر،
بشير القاضي، المسيرون المغاربة، الاتفاق والاختلاف، جيش التحرير المغاربي 1948 ـ 1955 ، المرجع السابق، ص 177.

يستعرض بعض الأحداث التي عاشها شخصيا في إطار ما يسمى بمحاولات توحـيد
وتنسيق الكفاح المسلح بين الأقطار المغاربية الثلاث."... . إن حركات المقاومة بدأت
بأقطار مغربية كل قطر على حدة،مثلا إخواننا التونسيون بدؤوا بالمقاومة كذلك تبعهم الإخوان المغاربة نتيجة الأحداث المعروفة ومن القمع والظلم آنذاك، وللظروف العالمية وعوامل متعددة جاءت حركات المقاومة لتحل ظاهريا محل المسعى، والمحاولة التي كان يقوم بها هذا الفريق والتي انطلقت فيها لجنة تحرير المغرب العربي من القاهرة، من الناحية السياسية، ومن الناحية الموضوعية يمكن أن نعتبر هذا نوع من تحقيق الهدف المنشود وهو بدء المقاومة ضد الاستعمار في هذه المنطقة..."[1].

ولقد برز في إطار هذه الجهود التنسيقية بين المغاربة من أجل التحرر كذلك المناضل الوطني الدستوري الدكتور حافظ إبراهيم[2] المستقر بمدريد منذ أوت 1944 وقد قدم خدمات جليلة للمقاومة المغربية والجزائرية حيث وصف"بجندي الخفاء ورجل المهام الصعبة"، فلقد لعب دورا أساسيا في الربط بين المناضلين المغربيين (عبد الكريم الفاسي وعبد الرحمان اليوسفي والحكيم الخطيب)
والجزائريين(العربي بن مهيدي ومحمد بوضياف) والقيادة في مصر وتزويد المقاومة في المغرب والجزائر بالسلاح والتبرع بأمواله الخاصة لإشترائه والتنقل عبر أوروبا لذلك يمكن القول أن نشاطه لفائدة حركات التحرر المغاربية كان مكثفا ومتواصلا[3] .

1- بشير القاضي، المرجع السابق، ص. 170.
2- إبراهيم محمد حافظ: ولد في 14 ماي 1916 بأكودة ـ تونس ـ بعد تحصله على الباكالوريا انتقل إلى فرنسا أين تخصص في الطب وتخرج من كلية الطب بباريس سنة 1943 ،نشط في هذه الفترة مع المناضلين الحبيب ثامر ويوسف الرويسي بفرنسا . ترأس مع مطلع سنة 1944 جمعية طلبة شمال

إفريقيا المسلمين وحاول التأثير على المحور من أجل مساندة تحرر المغرب العربي كما عمل على تكثيف الدعاية الوطنية في صفوف المهاجرين المغاربة من أجل المساهمة في النضال ضد الاستعمار الفرنسي .مع انهزام دول المحور في فرنسا اتجه حافظ إبراهيم إلى اسبانيا وواصل نشاطه النضالي الذي ربطه مع العديد من القادة الوطنيين المغاربة كما حاول التأثير على الرأي العام الإسباني ساند مبادرة القاهرة سنة 1956 نحو تأسيس قيادة موحدة لجيوش تحرير المغرب العربي. للمزيد عد الى، رؤوف حمزة ـ نبذة عن إبراهيم محمد حافظ، جيش تحرير المغرب العربي 1948ـ 1955، المرجع السابق، ص. 141.

3- للمزيد عن دور هذا المناضل أنظر، عادل بن يوسف، "مقدمة لدراسة مساهمة الحكيم حافظ إبراهيم في النضال ضد الاستعمار الفرنسي بشمال إفريقيا"، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 102 ـ 103، منشورات مؤسسة التميمي، مارس 2001، ص.93.

إن الارتباط بالإسلام والعروبة،وإقرار وحدة الهدف، الحرص على تنسيق الأعمال ذلك هو مضمون فكرة تحرر المغرب العربي، التي أفرزها الكفاح المشترك ضد الاحتلال الفرنسي، والتي أصبحت توظف منذ ذلك الوقت لإلهاب حماس الجماهير المناضلة من جهة ، وتعتيم رؤية المعمرين والمتعصبين من الساسة الفرنسيين الذين لم يكونوا يتحملون التفكير ولو لحظة واحدة في إنهاء الوجود الفرنسي في الشمال الإفريقي من جهة أخرى[1].

كما أن المساهمة التضامنية لحزب الدستور الجديد مع كفاح إخوانهم في المغرب والجزائر(هذه الأخيرة سنتطرق إليها بشيء من التفصيل في الفصل الثالث) تواصلت بحيث كان هناك تنسيق فعلي على أرض الواقع في أواخر سنة 1955 إلى صائفة 1956 وكان أهم عنصر فيها المناضل التونسي الطاهر لسود[2] الذي قاد "جيش التحرير التونسي"وحضر الاجتماعات التمهيدية التي تمت بالقاهرة وخاصة اجتماعات فيفري 1956 والذي ضم قيادات جيوش التحرير الثلاثة[3]:أحمد بن بلة عن الجزائر وعبد الكريم الخطيب عن المغرب والطاهر لسود عن تونس بحضور الضابط المصري فتحي الذيب وكان شعارهم في ذلك التحرير الشامل للمغرب العربي تحت راية العروبة والإسلام والوحدة[4] .

1- محمد عابد الجابري، فكرة المغرب العربي أثناء الكفاح من أجل الاستقلال، وحدة المغرب العربي،المرجع السابق، ص.21. .

2- الطاهر لسود: ولد بقابس (تونس) سنة 1911،اشتغل فلاحا، انظم للحزب الدستوري منذ شبابه، كان من الأوائل الذين رفعوا السلاح سنة 1952 وأصبح من أبرز قيادي المقاومة، عند اندلاع الخلاف اليوسفي ـ البورقيبي اصطف الى جانب بن يوسف وكان من أهم العناصر التي كونت العصابات المقاومة بل أصبح القائد الفعلي لها، حتى امضاء بروتوكول الاستقلال في 20 مارس 1956 حيث أعلن اختلافه مع بن يوسف ويسلم نفسه للسلطة التونسية في جويلية 1956 . توفي بالحامة (تونس) سنة 1994 . للمزيد أنظر، عميرة علية الصغير، "جيش التحرير الوطني التونسي حقيقته ومصيره" جيش التحريرالمغاربي، المرجع السابق، ص. 100.

3- لقد تم الإعلان عن إنشاء جيش التحرير في المغرب العربي يوم 25 فيفري 1956بالقاهرة، وتم تعيين قادة هذا الجيش للإطلاع أكثر، على قادة هذا الجيش المغاربي عد الى، الملحق رقم:14،ص. 139

4-عميرة علية الصغير، اليوسفيون وتحرر المغرب العربي،المرجع السابق، ص. 164.

الفصل الثالث

حزب الدستور الجديد والقضية الجزائرية 1954 ــ 1956.

1- المساندة السياسية لحزب الدستور الجديد للقضية الجزائرية.

2- المساندة العسكرية لحزب الدستور الجديد للثورة الجزائرية

3- **المساندة الإنسانية لحزب الدستور الجديد للاجئين الجزائريين.**

المساندة السياسية لحزب الدستور الجديد للقضية الجزائرية:

لقيت القضية الجزائرية المساندة السياسية الفعلية من قبل قادة ومناضلي الحزب الدستور الجديد،(بالرغم من اختلاف وجهات نظرهم في كيفية مساندة هذه القضية) وكانت هذه المساندة حتى قبل نشأة وظهور هذا الحزب، ويعود ذلك انطلاقا إلى عامل الهجرة الذي جمع هؤلاء المناضلين منذ الحرب العالمية الأولى إذ مثلت باريس أولا والقاهرة ثانيا قاعدتين ثابتتين للمعارضة والمقاومة الوطنية التونسية ـ الجزائرية تعارفت وتبادلت الخبرات وأثرت وتأثرت وتكون وجدانها النضالي وتحددت آمالها في التحرر في أحضان مختلف الجمعيات والأطر النضالية شأن " الهيئة الجزائريةـ التونسية" (1919 (le comite algéro-tunisien)(التي رفعت شعار تحرير " الشعب التونسي ـ الجزائري" و"نجم شمال إفريقيا"(1926) و" جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا" (1927)،و"لجنة العمل الشمال الإفريقي" (باريس1936)، ومكتب المغرب العربي بالقاهرة(1947)، و"لجنة تحرير شمال إفريقيا"(1948)، و" لجنة الوحدة والعمل الشمال الإفريقي" (باريس 1952) [1].

تولى" منداس فرانس"[2] الحكم في 18 جوان 1954، بعد هزيمة فرنسا في الهند الصينية، فما لبث أن واجهته قضية المغرب العربي، ولذلك أراد أن يخرج بلاده من هذا المأزق، فزار تونس[3] وأعلن في خطاب رسمي استقلال تونس الداخلي، فرحب بورقيبة[4] بهذه الخطوة ودخل الطرفـان في مفاوضات بدأت في شهر سبتمبرـ 1954

1-عميرة علية الصغير، اليوسفيون وتحرر المغرب العربي، المرجع السابق، ص. 158.

2-منداس فرانس: رجل سياسي فرنسي (1907 ـ 1982)، انخرط في الحزب الاشتراكي، شارك في الحرب العالمية الثانية إلى جانب قوات فرنسا الحرة، عين في تاريخ 1954 رئيسا لمجلس الوزراء، أنهى الحرب الفيتنامية باتفاقية جنيف جويلية 1954، دخل في مفاوضات مع حزب الدستور، قدم استقالته مع حكومته في فيفري 1955.للمزيد ، Petit p118

3 - Robert2,Op-Cit,-في تاريخ 31 جويلية 1954 زار "منداس فرانس" تونس والتقى بالباي في قصر قرطاج وصرح باسم الحكومة الفرنسية"منح تونس استقلالها الذاتي". للمزيد أنظر Simone Gros, La politique de Carthage Abandon ou Sauvegarde, ed, Union franco- tunisienne, librairie plou, paris 1958, p.25.

4- في تاريخ 17 جويلية 1954 قام "منداس فرانس" بنقل الحبيب بورقيبة من منفاه في جزيرة "كروا " إلى قصر " أوكسلي" بالقرب من باريس وتحادث معه.للمزيدعد: pierre Rossi, la Tunisie de Bourguiba, Ed, kahia, tunis1967, p 36.

انتهت في 3 جوان 1955 بتوقيع اتفاقية الحكم الذاتي[1] التي رفضها الأمين العام للحزب " صالح بن يوسف" بحيث اعتبرها خطوة للوراء باعتبار أنها تبقي لفرنسا حق التصرف في مصير تونس الخارجي

والدفاعي، مما أدى إلى انقسام الحزب إلى الديوان السياسي بقيادة الحبيب بورقيبة والى الأمانة العامة بقيادة صالح بن يوسف[2].

فما هي مواقف كلا الفريقين؟

1 ـ موقف الأمانة العامة لحزب الدستور الجديد:

إن موقف الأمانة العامة للحزب مثلها موقف الأمين العام للحزب صالح بن يوسف الذي رفض اتفاقيات 3جوان1955 واعتبرها خطوة للوراء وهي في نظره " خيانة لمبادئ الحزب والشهداء" بحيث كان يعتقد أن استقلال تونس ممكن في الخمسينات لأن الاستعمار ضعف حسب رأيه ولأن حركات التحرر والدعم العالمي لها ما فتئ يتعززان ولأن المقاومة في المغرب وفي الجزائر على أشدها وأن مستقبل تونس هو في تضامنها مع الشعبين الجزائري والمغربي(كان بورقيبة يرى أن لا مستقبل لها خارج الغرب)وفي تكريس انتمائها العربي الإسلامي وموقعها في معسكر الدول المحايدة لاضمن الدائرة الفرنسية والغرب[3].

ونظرا لهذه الرؤية التي كان يحملها صالح بن يوسف لتونس، فإن تضامنه كـان فعالا ومثمـرا مـع القضية الجزائرية بصفة عامة والثورة الجزائرية بصفة خاصة في تاريخ4أكتوبر1955 ألقى صالح بن يوسف خطابا حماسيا بجامع الزيتونة تعرض فيه للثـورة الجـزائرية، بحيث حيا المجاهدون الجزائريون ومجد بطولاتهم وترحم على أرواح الشهداء الذين سقطوا في سبيل استقلال الجزائر كما عبر عن تضامن الشعب التونسي مع الثورة الجزائرية،.. كما حذر من نتائج اتفاقية الاستقلال الذاتي التي وقعها الحبيب بورقيبة مع فرنسا وعدم انصياع بقية الأقطار المغاربية وراءها[4] .

1-اتفاقية الحكم الذاتي،جرت في03 جوان1955، نالت تونس استقلالها الداخلي، لمعرفة تفاصيلهاأكثر، أنظر الملحق رقم :11، ص.132.

2-الطاهر عبد الله، مصدر سابق، ص. 135.

3-عميرة علية الصغير، اليوسفيون وتحررالمغرب العربي، المرجع السابق، ص، 20.

4-جريدة الصباح، حضور جماهيري بجامع الزيتونة، عدد 1164، 4 أكتوبر1955، ص. 2.

هذا التشهير السلبي لاتفاقية الحكم الذاتي الموقعة في تاريخ 3 جوان 1955 من قبل صالح بن يوسف أدت بزعيم الحزب الحبيب بورقيبة الى حد اتهامه بخيانة الوطن وزرع بذور الشقاق بين التونسيين[1].

وبالرغم من ذلك فلقد أثار صالح بن يوسف للمرة الثانية نقد الاتفاقية كما واصل دعمه للقضية الجزائرية وذلك في خطابه الحماسي بتاريخ 7أكتوبر 1955 بجامع الزيتونة مؤكدا ضرورة تلاحم الأقطار المغاربية ضد الاستعمار كما وجه نداءا لإخوانه الجزائريين

المجاهدين بعد أن كبر ببطولاتهم ومجد كفاحهم وحذرهم من السياسة الفرنسية القائمة على سياسة فرق تسد، ويجب أن يتفطنوا لكل المكائد التي تحاك ضدهم من أجل التفريق بينهم وضرب بعضهم ببعض وبالتالي القضاء على ثورتهم المجيدة خاصة من قبل أذناب الاستعمار وأصحاب المصالح ولهذا نهيب بأبناء المغرب العربي أن لا يتركوا أي ثغرة في صفوفهم لعدو قضيتهم[2] .

لقد أحدث هذا الخطاب رجة فعلية خاصة أن المفوضية السامية الفرنسية بتونس طالبت في حينه بعد الخطاب اتخاذ إجراءات حاسمة ضد بن يوسف ويبدو أن بورقيبة أمر مباشرة الأمين العام للحزب أن يستقيل فكان رد بن يوسف الرفض القاطع و وأن لامحا سب له إلا مؤتمر وطني.[3]

لم يكتف الأمين العام للحزب الدستوري الجديد صالح بن يوسف عن تأييد ومساندة القضية الجزائرية على المستوى الداخلي بل تعدا ذلك إلى المستوى الخارجي،حيث عن عندما تم تسجيل القضية الجزائرية على مستوى الجمعية العامة للأمم المتحدة أول مرة في شهر أكتوبر 1955 قام صالح بن يوسف بإرسال برقية إلى رئيس الكتلة الإفريقية الآسيوية يؤكد له فيها تضامن الشعب التونسي مع الكفاح الذي يخوضه الشعب الجزائري الشقيق من أجل حريـته واستقلالـه كما عبر له فيها عن سروره الكبـير

1- Mohsen Toumi, La Tunisie. pouvoirs et luttes, Ed, le sycomore, paris1978, p, 51 .

2-جريدة الصباح، الأمين العام صالح بن يوسف يدعوا الجزائريين الى الإتحاد، عدد 1165، 9 أكتوبر 1955، ص، 1،2.

3-نفس المصدر، في النص الفرنسي الذي ضمنه المفوض السامي بتاريخ 13 أكتوبر الإمضاء عن الديوان السياسي، الحبيب بورقيبة عدد 1168، 13 أكتوبر1955.

الذي يشعر به عندما تم تسجيل القضية الجزائرية على جدول أعمال الأمم المتحدة في هذه الدورة كما حث بن يوسف رئيس الكتلة الإفريقيةـ الأسيوية على العمل الدءوب من أجل تحقيق المساندة الدولية للقضية الجزائرية العادلة وإبلاغ صوت الجزائر المجاهدة إلى الشعوب والأمم الحرة كما يلاحظ من خلال هذه البرقية الاتجاه الوحدوي المغاربي الذي يتميز به نضال صالح بن يوسف وإيمانه المطلق بوحدة كفاح الشعوب المغاربية بحيث لم بهمل في هذه البرقية كذلك القضية المغربية ومساندته لها وحث القائمين عليها على بذل المزيد من المجهودات، هذا مما أدى بالوفدين الجزائري والمغربي إلى قيامهما بإرسال برقية شكر وعرفان إلى صالح بن يوسف نظرا لمواقفه الثابتة والداعمة لحركات التحرر المغاربية واهتمامه بقضايا بقية الشعوب المغاربية[1] .

والواقع أن مواقف صالح بن يوسف الوحدوية سواء في الكفاح أو في المصير مع بقية الحركات التحررية المغاربية ظلت ثابتة ولذلك لقي الدعم والمساندة من "لجنة تحرير المغرب العربي" التي أصدرت يوم 14 أكتوبر 1955 بلاغا قررت فيه فصل الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد ورئيسه الحبيب بورقيبة من عضوية اللجنة وتنقل تلك السلطات إلى الأمين العام صالح بن يوسف" لأنه هو الذي بقي محافظا على المبادئ الاستقلالية التي انظم الحزب عل أساسها إلى لجنة تحرير المغرب العربي، وبقي وفيا في كفاحه من أجل استقلال فعلي وناجز ومن أجل وحدة حركات التحرر في المغرب والتضامن العربي[2].

ولقد واصل صالح بن يوسف في نقده اتفاقية الحكم الذاتي وفي نفس الوقت دعوته
للتضامن مع كفاح الجزائر وذلك في حشد جماهيري تضامني أقيم في ملعب جيو أندري (الشاذلي زويتن حاليا) بالعاصمة تونس بتاريخ 18 نوفمبر 1955 فبـعد أن عدد عيوب الاتفاقـية الممضاة مع الطرف الفرنسي باعتـبار أنها كرست معاهــدة

1-جريدة الصباح، المصدر السابق،"برقية إلى صالح بن يوسف من قبل الوفدين الجزائري والمراكشي"، عدد 1169، 14 أكتوبر 1955،ص، 1.

2-عميرة علية الصغير، اليوسفيون... المرجع السابق، ص. 45.

"باردو" التي فرضت فرضا بينما اتفاقية 3 جوان 1955 اعترفت بالوضع الاستعماري الجديد رضاءا، انتقل بعدها صالح بن يوسف إلى القضية الجزائرية فبعد أن ترحم على أرواح شهداء الحرية سواء في تونس أو الجزائر أسهم الأمين العام للحزب في ضرورة التضامن مع الثورة الجزائرية والتصدي لكل المحاولات الرامية إلى زرع الفتنة في صفوفها ودعا القيادة الجزائرية إلى رص الصفوف ومواصلة هذه الثورة المباركة التي هي أمل كل الشعوب المغاربية في سبيل التحرر النهائي والتام من السيطرة الاستعمارية[1].

إن الخلاف بين الأمانة العامة للحزب الدستوري بزعامة صالح بن يوسف والديوان السياسي للحزب بزعامة الحبيب بورقيبة حول مضمون اتفاقيات الحكم الذاتي أدت ما بين الجانبين إلى صراع علني ووصل حتى إلى اصطدام مسلح عندما أعلن الأمين العام في أواخر سنة 1955 إلى حمل السلاح (ديسمبر1955)، وبدعوة الأمانة العامة لحمل السلاح ومواصلة الكفاح بتونس ترى أن نصرة الجزائر هي في دوام الكفاح التونسي بجانب الكفاح الجزائري، إذ أن التاريخ عرفنا أن

احتلال تونس ومراكش كان نتيجة احتلال الجزائر ولذلك فالأمانة العامة تؤمن باستقلال يكون حقيقيا من السيطرة الأجنبية في نطاق مغرب عربي محررة أجزاؤه الثلاثة[2].

والواقع أن الدعوة إلى حمل السلاح من قبل الأمين العام صالح بن يوسف لم تأت إلا بعد حملة العنف التي باشرتها " لجان الرعاية" التي أسسها الديوان السياسي لتتبع معارضي اتفاقية الحكم الذاتي وعلى رأسهم صالح بن يوسف وأنصاره من الأمانة العامة إضافة الى وقوف فرنسا الى جانب الديوان السياسي بحيث دعمته وقدمت لها لكثير من المساعدات، ولذلك عرفت تونس حملة اعتقالات واسعة في صفوف المعارضة وبالرغم من تلك الإجراءات تمكن صالح بن يوسف من الإفلات والفرار نحو ليبيا التي نظم فيها فرق المقاومة وفي تاريخ 1956 اتجه الى مصر، وفي مصر لم يتوانى صالح بن يوسف في الدفـاع عن مشروعـه المغاربي الداعم لحركات التحرر

1- جريدة الصباح، المصدر السابق، "تجمع جماهيري بملعب حبو أندري" العدد 1199، 19 نوفمبر 1955،. ص، 1.

2- الطاهر عبد الله، المصدر السابق، ص، 178 .

المغاربية وعلى رأسها مساندة القضية الجزائرية ففي شهر أفريل من سنة1956 وبمكتب المغرب العربي بالقاهرة عقد صالح بن يوسف ندوة صحفية حضرتها وسائل الإعلام المحلية والدولية، بحيث أكد في هذه الندوة الصحفية على الترابط التاريخي والأخوي بين تونس والجزائر وبأن الكفاح المشترك الذي يخوضه الأشقاء(التونسيون والجزائريون) جنبا الى جنب هو في إطار تحرير كامل الشمال الإفريقي كما أثنى على المقاومة التونسية (المقاومة اليوسفية) التي تقف الى جانب إخوانهم الجزائريين وحيا بطولاتهم وحذرهم من الدسائس التي تحاك ضدهم من أجل إجهاض ثورتهم وتضامنهم مع إخوانهم الجزائريين[1].

في تاريخ 22 أكتوبر1956 اختطف الفرنسيون في حادث قرصنة جوية خمسة من أعضاء جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني[2]، ونظرا لهذا الاعتداء الفرنسي قام صالح بن يوسف بإصدار بيانا استنكر فيه هذا العمل الإجرامي وطالب رئيس الحكومة التونسية (الحبيب بورقيبة)، ورئيس الحكومة المغربية (مبارك البكاي) بضرورة التدخل لدى السلطات الفرنسية من أجل إطلاق سراح الزعماء الخمسة[3].

كما أرسل ببرقية الى رئيس الحكومة التونسية الحبيب بورقيبة يحثه فيها على ضرورة توقيف المفاوضات مع الجانب الفرنسي حتى يتمكن الشعب الجزائري من تحقيق استقلاله وشمل هذا الاستقلال النهائي كذلك الشعب التونسي والشعب المغربي ، وأهم ما جاء في

هذه البرقية مايلي:" إن مصلحة الشعب العليا في هذا الظرف الحاسم تفرض قطع كل تفاوض وكل تعاون مع حكومة فرنسا ما دامت لا تعترف باستقلال الجزائر ولن يعود التفاوض مع فرنسا إلا إذا شمل في وقت واحد تونس والجزائر ومراكش ويهدف الى جلاء الجيوش الفرنسية وتحرير دول المغرب نهائيا[4].

1- جريدة الصباح،" مؤتمر صحفي لصالح بن يوسف في القاهرة"، العدد 1339، 29 أفريل 1956، ، ص، 1.

2- وهم كما يلي: أحمد بن بلة، محمد خيضر، حسين أحمد الحسين، محمد بوضياف، الدكتور مصطفى الأشرف. للمزيد حول هذه الحادثة أنظر، أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، مع ركب الثورة الجزائرية، الجزء الثالث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981، ص، 218.

3- فتحي الذيب، المصدر السابق، ص، 220.

4- الطاهر عبد الله، المصدر السابق، ص، 170.

2- الديوان السياسي لحزب الدستور الجديد:

لقد سيطرت على مواقف الديوان السياسي تجاه القضية الجزائرية أفكار ومواقف زعيم الحزب ورئيس الديوان السياسي الحبيب بورقيبة، كما أصدر الديوان السياسي الكثير من البيانات التي تتعلق بالقضية الجزائرية، فبعد تطور الأحداث في الجزائر وتصاعد الأعمال الإجرامية الاستعمارية في حق الشعب الجزائري اجتمع الديوان السياسي في شهر أوت 1955 لحزب الدستور الجديد وأصدر بيانا وأهم ما جاء في هذا البيان ما يلي: " بعد اطلاع قيادة الحزب الدستوري الجديد على الأوضاع التي آلت إليها الجزائر وتصاعد عمليات إبادة الشعب الجزائري فإننا نترحم على أرواح الشهداء، ونطالب بتوقيف هذه الأعمال الإجرامية الاستعمارية التي تتنافى مع القوانين الدولية ومع المرحلة السلمية التي يعيشها العالم اليوم، وضرورة اللجوء إلى الحوار السلمي مع الممثلين الشرعيين للشعب الجزائري الشقيق"[1].

وفي تاريخ 15و16و17و18 نوفمبر1955 انعقد مؤتمر للحزب الدستوري الجديد بمدينة صفاقس وناقش فيه المكتب السياسي للحزب تطورات الأوضاع التي عرفتها القضية الجزائرية وأصدر لائحة أهم ما جاء فيها:" إن مؤتمرنا المنعقد في شهر نوفمبر 1955 يحيي الشعب الجزائري ويقف الى جانبه في سبيل تحقيق حريته واستقلاله، وينحني لأرواح الشهداء الذين سقطوا من أجل الدفاع عن كرامة الشعب الجزائري وعن حقه في تقرير مصيره وقيام دولته المستقلة بين الأمم الحرة في العالم.كما ندد بالسياسة الاستعمارية الاستبدادية وأكد في هذا الشأن على أن سياسة القوة التي تسلكها فرنسا في شمال إفريقيا لا تؤدي الى نتائج ايجابية وضرورة تغييرها بسياسة تقوم على

الاحترام المتبادل بين الشعوب والاعتراف بحقوق الشعب الجزائري في تقرير مصيره وإقامة دولته على أرضه، وبالتالي ستحقق صداقة المغرب العربي وهي من الأهداف
التي تسعى فرنسا الى تحقيقها[2] .

1-جريدة الصباح،"بيان المكتب السياسي للحزب الحر الدستوري" عدد 1125، 24 أوت 1955،، ص.1.
2-جريدة العمل، "بيان المكتب السياسي للحزب الحر الدستوري"عدد 22، 18 نوفمبر1955، ص.1

هذه الصداقة التي يؤمن بها زعيم المكتب السياسي لحزب الدستور الجديد الحبيب بورقيبة كما كان يؤمن بسياسة المراحل التي شكلت المذهب البورقيبي في التعامل السياسي والتي يقترحها كذلك لحل القضية الجزائرية بحيث يقول" أعتقد أن أحسن وسيلة لتسوية المشكل الجزائري هي تحقيق التوازن بين سيادة الجزائر ونوع من التعاون الجديد يربط دول المغرب العربي الثلاث بفرنسا، وأنا أقترح تشكيل مجموعة فرنسية لشمال إفريقيا تربح فيها فرنسا التعاون مع شعوبنا الثلاثة في نفس الوقت الذي تفقد فيه امتيازاتها الاستعمارية بالجزائر، مجموعة لا يوجد فيها ظل للهيمنة وانعدام الثقة، إن شعوبنا لا تريد إذلال فرنسا أبدا، إن شعوبنا مرتبطة بفرنسا جغرافيا واقتصاديا وثقافيا، وكل ما هناك هو البحث عن الأسس الممكنة لتعاون جديد وتحديد الروابط الجديدة التي ينبغي أن تقوم بيننا"[1] .

وبالرغم من هذه الحلول التي كان يقترحها زعيم الحزب الدستوري الجديد إلا إن التضامن والمساندة كانت دائما من اهتمامات الحزب بحيث عقد بتونس اجتماع للمجلس الملي للحزب في تاريخ 21ـ22 ـ 23 جانفي 1956 وتطرق في هذا الاجتماع الى القضية الجزائرية ودرس مختلف جوانبها وأدان السياسة الفرنسية المنتهجة والتي تقوم على حرب الإبادة المطبقة على الشعب الجزائري وألح هذاالمجلس على ضرورة إيجاد حل سلمي للقضية الجزائرية بحيث كلف هذا المجلس المكتب السياسي للحزب للقيام بمساعي سياسية لدى الحكومة الفرنسية من أجل توقيف العمل العسكري في الجزائر والذي لا يراه أبدا كحل للقضية الجزائرية بل يزيد من تعقيدها ويرى أن لغة الحوار هي أفضل الطرق لحل هذه القضية ولذلك أكد على ضرورة انطلاق المفاوضات بين الممثلين الشرعيين للشعب الجزائري وممثلي الحكومة الفرنسية وإيجاد الحل النهائي
السلمي للقضية الجزائرية[2].

في تاريخ 20 مارس 1956 أحرزت تونس على استقلالها التام وذلك على اثر

1-محمد الميلي، مواقف جزائرية، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1 الجزائر1984، ص. 49.
2-جريدة العمل، "بيان المجلس الملي لحزب الدستوري الحر" العدد78، 24 جانفي 1956،، ص، 1.

إمضاء بروتوكول 20 مارس 1956[1]، والواقع أن هذا القرار السياسي الفرنسي في تحويل الدولة التونسية الناشئة الى دولة " قادرة " كان له أهدافه والتي من أهمها أن هذه الدولة المستقلة ترى فيها فرنسا أنها تخدم الإستراتيجية الفرنسية أولا في المحا فضة على مصالحها في تونس وثانيا بضرب خطر التلاحم الثوري في المغرب العربي المهدد لوجودها خاصة بعد اشتداد الثورة في الجزائر[2].

ومع إحراز تونس لاستقلالها ألقى الحبيب بورقيبة خطابا تطرق فيه الى القضية الجزائرية والى السياسة الخاطئة التي تنتهجها فرنسا لحل المشكلة الجزائرية مقزما دور تلك الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التي أرادت فرنسا تطبيقها مشيرا الى أن المشكل الجزائري أعمق بكثير من ذلك باعتبار أن القضية هي قضية شرف واستعادة الكرامة ولايمكن لسياسة القوة والمال أن تحل القضية الجزائرية وأهم ماقاله الحبيب بورقيبة في هذا الخطاب مايلي " ... إنني أؤكد إن القضية لن تسوى مادام المسئولون الفرنسيون يصرون على علاجها بواسطة إصلاحات اقتصادية واجتماعية فهذا خطأ فادح إذ أن الكفاح الجزائري إنما أدق من ذلك ومرماه أعمق..." [3]

ولم يقتصر الحبيب بورقيبة على الداخل بل قام كذلك بالتطرق الى القضية الجزائرية عبر الجرائد العالمية ففي حديث له الى جريدة "التايمز" اللندنية في مارس
1956 أكد على ضرورة الحوار والتفاوض من أجل إيجاد الحل النهائي للقضية الجزائرية كما أعاب على السياسة الفرنسية التي تقوم على تهميش الشعب الجزائري وإذلاله وهي أخطاء ظلت فرنسا تكررها منذ أن وطأت أقدامها أرض الجزائر ولذلك فلا نستغرب انتفاضة الشعب الجزائري ضد سياسة التهميش والإذلال التي عانى منها كثيرا ولذلك على السلطات الفرنسية مراجعة هذه الأخطاء[4].

والواقع أن معظم تدخلات زعيم الحزب الدستور الجديد، في القضية الجزائـرية

1-بروتوكول 20مارس 1956، نالت على إثره تونس استقلالها التام، للمزيد حول بنود هذا البروتوكول أنظرالملحق رقم: 12.
ص.137.
2-عميرة علية الصغير، اليوسفيون... المرجع السابق، ص، 88.
3- الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء الثاني، يوم أنجز في تونس، 21 مارس 1956، نشر وزارة الإعلام، تونس 1981، ص 15.
4- جريدة الصباح،" المقابلة الصحفية للحبيب بورقيبة لجريدة التايمز"، عدد 1308، 24 مارس 1956، ص 1، 2.

تصب دائما في إعطاء الحلول التي يراها مناسبة لحلها ولكن انطلاقا من أفكاره التـي
الجزائرية، ففي شهر أفريل من سنة 1956، ألقى الحبيب بورقيبة خطابا أمام المجلس التأسيسي التونسي تعرض فيه الى القضية الجزائرية مؤكدا على الترابط التاريخي الذي يجمع الشعوب المغاربية الثلاثة مبرزا أهمية التعاون بين هذه الشعوب في جميع المجالات إلا أن هذا التعاون والترابط لم يكتمل ما دام الشعب الجزائري تطبق عليه حرب فاشية، كما أكد على أن تونس لا تتوانى في بذل كل ما في وسعها من أجل إيجاد الحلول المناسبة لحل القضية الجزائرية وبالتالي سيسود الأمن والسلام في كامل أقطار الشمال الإفريقي وهذه هي غايتنا من كفاحنا[1].

وفي مقابلة صحفية مع جريـدة " الفيغارو" الفرنسية في شهر أفريل 1956، أكد
بورقيبة موقفه التضامني مع الثورة التي يخوضها الشعب الجزائري وتقديم المساعدة لها وعدم الوقوف في وجهها بل أكد أنه لا يعارض حتى المتطوعين التونسيين الى جانبها و أن الطلب الفرنسي من حكومته بالتعاون من أجل إيقاف تهريب الأسلحة عبر تونس الى المجاهدين الجزائريين فهذا أمر يستحيل قبوله بل وصل الأمر بالحبيب بورقيبة الى التصريح بأنه اذا خير بين فرنسا والجزائر فإنه سيختار بدون تردد الانضمام الى صف الجزائر[2].

كما ظل الحبيب بورقيبة يرفض رفضا قطعيا تتبع القوات الفرنسية لفلول المجاهدين الجزائريين على الأراضي التونسية، بحيث يريد أن يبقى القطر التونسي المستقل بعيدا عن أي صراع عسكري، ويؤكد أن الثورة الجزائرية قد أدت الى توقيف المفاوضات أحيانا مع الفرنسيين، وذلك مراعاة لعواطف الأخوة والتضامن التي تربط الشعب التونسي بالشعب الجزائري الشقيق[3].

إن تركيز السلطات الاستعمارية الفرنسية في بداية انطلاق الثورة الجزائرية على حصار المنطقة الأولى أدى إلى تكثيف عملياتها العسكرية على الدود التونسية الجزائرية

1- جريدة الصباح، "خطاب الحبيب بورقيبة أمام المجلس التأسيسي التونسي" عدد 1329، 18 أفريل 1956،، ص، 4.
2- نفسه، "المقابلة الصحفية لجريدة الفيغارو" عدد 1336، 26 أفريل 1956، ، ص، 4.
3- Mohamed sayah, le nouvel etat, aux prises avec le complot youssefiste 1956 – 1958. Op-cit, p, 489.

مما أثر بصفة مباشرة على الأوضاع الأمنية في تونس وجعل اهتمامات قادة ومناضلي الحزب الدستوري بالقضية الجزائرية في كل مؤتمرات أو اجتماعات الحزب بحيث اجتمع المجلس الملي للحزب الدستوري

كذلك في تاريخ 23 و24 جوان 1956 بتونس وكان من بين النقاط المدرجة في هذا الاجتماع القضية الجزائرية بحيث أصدر لائحة بشأنها وأهم ما جاء في هذه اللائحة ما يلي: " إن المجلس الملي للحزب الدستوري الجديد المجتمع بيومي 23 و24 جوان 1956 بتونس يحي الكفاح البطولي الذي يقوم به الشعب الجزائري الشقيق وذلك من أجل تحقيق استقلاله واستعادة سيادته وإقامة دولته على أرضه وهي حقوقه المشروعة ويطالب من الحكومة الفرنسية وقف العمليات العسكرية التي تجريها في الجزائر والاعتراف بحقوق الشعب الجزائري في نيل استقلاله وأن الطريق الذي يجب أن تسلكه فرنسا لحل هذه المشكلة هو طريق المفاوضات المباشرة مع ممثلي الشعب الجزائري الشرعيين وهي أفضل الطرق المناسبة لحل القضية"[1].

كما أن الحزب الدستوري الجديد وعبر جريدة " العمل" وبمناسبة ذكرى احتلال الجزائر المصادفة ل 5 جويلية1956 ندد بالسياسة الاستعمارية الفرنسية المطبقة على الشعب الجزائري واستمراره في هذه السياسة التي تقوم على إبادة هذا الشعب الشقيق
وذلك عبر تلك الاعتداءات المتتالية على الأرواح في المدن والقرى والأرياف وعلى تطبيقه لسياسة الأرض المحروقة التي خربت وأهلكت ودمرت البنية التحتية، كما شردت الآلاف من الأسر الجزائرية إضافة إلى ما خلفته هذه الآلة العسكرية الفرنسية
من أوضاع اجتماعية مأساوية من معطوبين وجرحى ومفقودين وأرامل ويتامى، كما
وقف الحزب وقفة إكبار وإجلال لأرواح الشهداء والضحايا الأبرياء وأعرب عن تضامن الشعب التونسي مع الشعب الجزائري الشقيق[2].

إن المتتبع لزعيم الحزب الدستوري الجديد الحبيب بورقيبة، يلاحظ اهتمامه الواضح
بالقضية الجزائرية ونلاحظ ذلك من خلال تطرقه لها في كل المناسبات ففـي زيـارة

جريدة العمل،"بيان المحلس الملي للحزب الدستوري"، العدد 209، 26 جوان 1956، ص. 1.
نفس المصدر، "بيان الديوان السياسي في ذكرى احتلال الجزائر"، العدد 218، 06 جويلية 1956، ص. 2.

قادته الى فرنسا مع بداية شهر جويلية 1956 قام بمساعي سياسية لدى الحكومة الفرنسية والتقى في تاريخ 6جويلية 1956 بالرئيس الفرنسي "روني كوتي[1]" مبديا رأيه ومقترحا على الرئيس الفرنسي أهم الحلول التي يراها مناسبة وركز على أن استمرار عمل الآلة العسكرية لا يحل المشكلة أبدا بل أن لغة الحوار والمفاوضات ما بين الطرفين هي السبيل الوحيد لحل القضية الجزائرية، كما أعرب عن

مساندته المطلقة والغير المشروطة للقضية الجزائرية باعتبار أن الشعب الجزائري له روابط أخوية متينة مع الشعب التونسي وبالتالي لا يمكن الاستغراب من موقفنا المساند للشعب الجزائري كما زار بورقيبة في هذه المناسبة مسجد باريس والتقى مع الجالية المغاربية بحيث أقام على شرفهم حفلا وأكد لهم أثناء تدخله على الروابط التاريخية و العرقية والدينية التي تجمع الشعوب المغاربية وضرورة الاعتزاز بذلك، كما توجه للجالية الجزائرية وأكد لهم تضامنه التام مع القضية العادلة للشعب الجزائري وقوف تونس شعبا وحكومة الى جانب إخوانه الجزائريين، كما طالب من الجالية الجزائرية اعتبار السفارة التونسية بباريس هي سفارتهم وأن لا يترددوا في زيارتها متى اقتضى الأمر ذلك، كما نوه الحبيب بورقيبة بكل المجهودات التي تبذل في سبيل القضية الجزائرية والتي ستأتي بثمارها عاجلا أم آجلا[2].

كما كان للجزائر في تونس دعم إعلامي ابتداء من شهر جويلية 1956،وذلك بفتح " إذاعة صوت الجزائر الشقيقة العربية" من أجل إيصال صوت الجزائر المجاهدة وعدالة قضيتها الى الكثير من شعوب العالم، وبالرغم من الاحتجاجات الفرنسية على " صوت الجزائر" في الإذاعة التونسية إلا أن الحبيب بورقيبة ذكر المسؤولين الفرنسيين بالروابط الأخوية التي تربط الشعب التونسي بالشعب الجزائري ومن المستحيل فصل هذه الروابط أو إلغاء هذا العمل الإذاعي باعتباره وسيلة اتصال بين الأشقاء سواء في تونس أو في الجزائر[1].

واصل زعيم الحزب الدستوري الجديد ـ الحبيب بورقيبة ـ مساعيه السياسية من أجل إيجاد مخرج للقضية الجزائرية بحيث زار العاصمة الفرنسية باريس في أوائل شهر سبتمبر من سنة 1956 والتقى برئيس الحكومة الفرنسية موللي[2] وكان محور اللقاء يتعلق بالقضية الجزائرية وكانت وجهة نظر الحبيب بورقيبة أن لغة القوة لا تأت بنتيجة وإنما تحصد إلا المآسي والدمار ولذلك انتقد السياسة العسكرية الفرنسية المطبقة في الجزائر كما عرض على رئيس الحكومة الفرنسية وساطته بين جبهة التحرير الوطني الجزائرية والحكومة الفرنسية[3].

1- كوتي روني: coty René : رجل سياسي فرنسي،(1882 ـ 1962)، محامي، ثم نائب جمهوري من اليسار 1923، عضو في مجلس الشيوخ 1935، عين وزيرا للبناء والتعمير 1947، أصبح رئيسا للجمهورية الرابعة 1954، بعد انقلاب 13 ماي 1958 بالجزائر، استنجد بالجنرال دوغول وترك له مقاليد الحكم ومنذ هذا التاريخ دخلت فرنسا مرحلة الجمهورية الخامسة.للمزيد أنظر، Petit Robert2,Op.cit, p, 460.

2- الحبيب بورقيبة، خطب، المصدر السابق، ص، 163.

وللقيام بهذه المهمة سافر الحبيب بورقيبة الى العاصمة السويسرية "جنييف " في تاريخ 7 سبتمبر 1956 والتقى مع وفد جبهة التحرير الوطني يضم كل من فرحات عباس ومحمد يزيد وأحمد فرنسيس وعبد الرحمان كيوان وعرض على الوفد الجزائري وجهة نظره لحل القضية والتي تقوم بالدرجة الأولى على ضرورة انتهاج العمل السياسي ولغة الحوار.[3]

إلا أن الحبيب بورقيبة لم يجد التجاوب من قبل فرحات عباس، ولذلك أوفد الباهي الأدغم(نائب رئيس المجلس التونسي) الى أحمد بن بلة الذي وافق على مقترحات بورقيبة وأكد للباهي الأدغم أن العنف لايمكن أن يحل المشكلة لجبهة التحرير الوطني.[4]

بعد لقائه بالوفد الجزائري حل الحبيب بورقيبة بالعاصمة الفرنسية من جديد والتقى

1- الحبيب بورقيبة، خطب، المصدر السابق، ص، 170.

2- قوي مولي : Mollet Guy: رجل سياسي فرنسي (1905 ـ 1975) ، شارك في الحرب العالمية الثانية وأسر فيها، أصبح نائبا سنة 1946، بعد نجاح الجبهة الشعبية في الانتخابات التشريعية لسنة 1956 أصبح رئيسا للحكومة، عرف بمواقفه المتصلبة تجاه القضية الجزائرية، تم في عهده العدوان الثلاثي على مصرفي أكتوبر 1956، ونظرا للمشاكل الاقتصادية التي عرفتها فرنسا، استقال في شهر ماي 1957 .للمزيد أنظر، Petit Robert2,Op-Cit, p, 1226.

3- جريدة الصباح، المصدر السابق، "محادثات بورقيبة مع رئيس الحكومة الفرنسي"، العدد 1453، 14 سبتمبر 1956، ص، 3.

4- Daho djerbal, alliances et mésalliances tunisiennes ou les relations algéro- tunisienne vues pare le.f.l.n.1954-1958, LARMEE DE LIBERATION DU MAGHREB1948-1955, p, 36.

برئيس الحكومة الفرنسية في تاريخ 19 سبتمبر 1956 وأقنعه بضرورة قيام تونس بهذه الخطوة التاريخية من أجل حل القضية الجزائرية وذلك عبر مائدة مستديرة في تونس والتي عرفت بمؤتمر تونس[1]

ولذلك سعى الحبيب بورقيبة الى إنجاح هذه الندوة والتي واستدعي لها كذلك العاهل المغربي الملك مجمد الخامس بالإضافة الى الطرف الأساسي وهو وفد جبهة التحرير الوطني كما توجه بخطاب الى الشعب التونسي شرح فيه مساعيه السياسية لحل القضية الجزائرية، وأعطى لهذه الندوة الثلاثية أهمية بالغة من أجل فتح باب المفاوضات بين الطرفين والتي تؤدي الى إنهاء الوجود الاستعماري في الجزائر واستعادة الشعب الجزائري لحريته واستقلاله ومما جاء في جاء في تصريحاته حول هذا الموضوع مايلي " ... أعتقد أننا على أبواب مفاهمات واتصالات ربما تأتي بنتيجتها المرجوة وأتمنى أن يكون الاجتماع الذي سيتم في الأسبوع المقبل مرحلة حاسمة في وضع حجر الأساس لوحدة شمال إفريقيا[2]."

ويبدو أن وفد جبهة التحرير في الخارج قد وافق على حضور هذه الندوة المغاربية التي تستضيفها تونس (بالرغم من معارضة كل من محمد خيضر والدكتور لمين دباغين) ولكن رأى أحمد بن بلة أن حضور الندوة كان بأمر من لجنة السته، ولذلك يجب أن ننفذ ماتراه "عساه يخرج لنا شيئا صالحا للشعب الجزائري " كما قال أحمد بن بلة لأحمد توفيق المدني[3].

وانطلاقا من هذا المسعى السياسي للحبيب بورقيبة، قام ملك المغرب محمد الخامس بإرسال دعوة للوفد الجزائري للحضور الى المغرب أولا من أجل التشاور بحيث حثهم على تليين المواقف من أجل إنجاح هذه الندوة كما حضر عن الجانب الفرنسي الوزير المكلف بالشؤون المغربية والتونسية " الآن سفاري"، والواقع أن قمة تونس تهدف الى إنشاء فيدرالية في شمال إفريقيا تحت المظلة الفرنسية، أي تأسيس

1--جريدة الصباح، المصدر السابق، "احتماع الحبب بورقيبة برئيس الحكومة الفرنسي"،عدد 1459، 21سبتمبر1956، ص، 4.

2- الحبيب بورقيبة، خطب، المصدر السابق، "تعريف الشعب بسياسة الحكومة"، ص، 9.

3- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة... المصدر السابق، ص، 211.

مغرب عربي موحد، و لكي تكتمل هذه الوحدة هذه التي يهدف اليها مؤتمر تونس تتطلب بالضرورة استقلال الجزائر، ونظرا لتلك المساعي أصبح بعض أعضاء الوفد يأملون في حل القضية الجزائرية ومنهم آيت أحمد الحسين الذي يرى أن تلك الندوة كانت بمثابة فرصة تاريخية قد ضاعت في بناء مغرب موحد وبالتالي الذهاب الى حل نهائي للمشكلة الجزائرية، أما أحمد بن بلة فكانت كل آماله في استقلال الجزائر معلقة على مؤتمر تونس[1].

ومع انتهاء لقاء المغرب الذي كان في تاريخ 21 أكتوبر 1956، وفي اليوم الموالي أي يوم 22 أكتوبر 1956 امتطى الوفد الجزائري الطائرة " أير أطلس" متوجها الى تونس من أجل الحضور الى هذه القمة المغاربية إلا أن سلاح الجو الفرنسي بالجزائر وبأمر من السلطات الفرنسية في باريس تعرضت للطائرة وأجبروها على النزول في الجزائر وتم اختطاف الوفد الجزائري[2].

وكرد فعل على عملية القرصنة هذه التي قام بها سلاح الجو الفرنسي بالجزائر وكان ذلك بإيعاز من رئيس الحكومة الفرنسي قام رئيس الحكومة التونسي الحبيب بورقيبة بعدة إجراءات كاستدعاء السفير الفرنسي في تونس وتبليغه احتجاجا رسميا كما تم استدعاء السفير التونسي بفرنسا، كما عقد الحبيب بورقيبة ندوة صحفية استنكر فيها هذا العمل الغير قانوني الذي تعرض له الوفد الجزائري

والذي كان يريد أن يساهم في صنع السلام إلا أن الخداع الفرنسي كان له بالمرصاد، كما توجه الحبيب بورقيبـة
الى الشعب التونسي بخطاب أدان فيه عملية الاختطاف التي تعرض لها الوفد الجزائري وشرح فيه موقف الحكومة التونسية المؤيد لكفاح الشعب الجزائري وأن استقلال كل من تونس والمغرب مازال مهددا إذا لم تتحصل الجزائر على استقلالها، واهم ما جاء في هذا الخطاب مايلي: " لقد أعتقل غدرا خمسة من خيرة المناضـلين الجزائريين وهم وافدون الى تونس للتباحث مع المسؤولين التونسيين والمغاربـة قصد

1- Gilbert Meynier, histoire intérieure du F.L.N. 1954 – 1962, ed, CASBAH, Alger 2003, p, 618.

2- Benyoucef Ben khedda, La Fin de la guerre dAlgerie, LES ACCORDS DEVIAN, 2Ed EnaL, Alger 1988.p,17.

التوصل الى حل معقول، وقد تحدثت في الموضوع مع رئيس الجمهورية الفرنـسية
وأصبحت هناك آمال جسيمة مما راعنا إلا وبعض السلطات الفرنسية المتعنتة تهدم هذه الآمال وهذا التصرف نيلا من كرامة التونسيين والمغاربة وحكومتيهما[1]..." .

وبالرغم من عملية الاختطاف التي دبرت للوفد الجزائري إلا أن الندوة المغاربية قد انعقدت بالمرسى في قصر السعادة بحيث حضر ممثلو الدولتين التونسية والمـغربية
وتناولوا القضية الجزائرية والأوضاع التي آلت إليها خاصة بعد عملية الاختطاف لزعماء الثورة الجزائرية، هذه العملية التي أصدروا بشأنها بيانا مشتركا أدانوا فيه عملية الاختطاف ومنددين في نفس الوقت بالسياسة الفرنسية المطبقة على الشعب الجزائري، كما أكد المؤتمر على الروابط التاريخية والأخوية التي تربط الشعوب المغاربية وعلى ضرورة تنسيق المجهودات في جميع الميادين وضرورة الإبقاء على اتصال دائم في كل المواقف التي تجد على الساحـة الجزائريـة، وذلك كله من أجل الوصول بالجزائر الى الحصول على استقلالها الذي تنشده منذ دخول الاستعمار الفرنسي الى أرضها وصرح الحبيب بورقيبة في هذا المجال قائلا:
" أن الأيدي الأثيمة قد أفسدت بعضا من البرنامج الذي أردنا انجازه ولكنها لم تفسد أهم المسائل التي اجتمعنا من أجلها وقررنا التفاوض كل جوانبها وانتهت بتوحيد سياسة الدولتين التونسية والمغربية في الميدان الخارجي والمطالبة بحل سلمي للقضية الجزائرية. [2]"

كما طالب الديوان السياسي للحزب من الشعب التونسي الخروج في مظاهرات تندد بهذا العمل الإجرامي الفرنسي الذي لحق بالقادة الجزائريين وبالفعل جرى ذلك في يوم 23 أكتوبر1956، بحيث شهدت العاصمة التونسية مظاهرات حاشدة نددت بالأعمال الإجرامية الاستعمارية في حق الشعب الجزائري، كما عبرت الجماهير التونسية عن تضامنها مع القادة الجزائريين المختطـفين وطالبت بضـرورة إطـلاق

1-الحبيب بورقيبة، خطب ج2، المصدر السابق، ص، 30.
2-نفسه، ص، 34.

سراحهم ، كما رفعت هذه الجماهير الأعلام الجزائرية الى جانب الأعلام التونسية وتعالت الأصوات بحياة الجزائر حرة مستقلة[1].

ونظرا لهذا العمل الفرنسي المخادع والغير القانوني قدم الوزير الفرنسي المكلف بالشؤون التونسية والمغربية " ألان سافاري" استقالته من الحكومة الفرنسية واتهم رئيس الحكومة الفرنسي بمسؤوليته في إفشال هذا المؤتمر، ومع عدم حضور الجانب الفرنسي للمؤتمر فإن المساعي السياسية لحل القضية بدأت تتلاشى وبدأ النجاح واضحا للعسكريين المتطرفين وللمستوطنين الرافضين لأي حوار مع الجانب الجزائري وأصبحت لغة السلاح هي الكلمة الفاصلة بين الجانبين[2]. .

والواقع لم يكن الحبيب بورقيبة حر في تعاطيه مع القضية الجزائرية، فلقد كان يتحرك تحت إكراهات الواقع وإملاءات الشروط التاريخية التي وجد نفسه فيها كبلد مستقل حديثا (1956) في حاجة للدعم الفرنسي المالي والتقني والعسكري وتحت ضغوط كبيرة من حكومة فرنسا التي كانت تساومه في ذلك بمنطق الإعانة مقابل التخلي عن دعم القضية الجزائرية وتهدد سيادة البلد ووحدة ترابه كلما جدت مصادمات على الحدود بين المجاهدين الجزائريين ووحدات الجيش الفرنسي خاصة أن المغالين من الاستعماريين وجنرالات الجيش الفرنسي في الجزائر كان حلمهم العودة إلى الوراء وبسط السيطرة على تونس وقتل الثورة الجزائرية في قواعدها الخلفية، لذلك كان الحبيب بورقيبة أمام معادلة صعبة زادت تعقيدا بما كان يعانيه بلده في تلك السنة الأولى من الاستقلال من مشاكل كادت أن تعصف بوحدة البلد الترابية كالصراعات والخلافات في الصف الوطني شأن الصراع اليوسفي ـ البورقيبي في تونس سنة 1955والذي استمر إلى غاية 1957[3] .

ولذلك فإن السلطات الفرنسية لم تحمل الحبيب بورقيبة مسؤولية الأحداث التي أصبحت تعاني منها فرنسا في إفريقيا الشمالية خاصة فيما يخـص الثورة الجزائـرية

1-جريدة الصباح، عدد 1488، ص.1.
2- Gilbert Meynier, Op.cit, p, 618
3-عميرة علية الصغير،اليوسفيون وتحرر المغرب العربي، المرجع السابق، ص. 237

والتضامن الشعبي في تونس للشعب الجزائري وهو يقود ثورته ضد الاحتلال الفرنسي[1].

إلا أن الحبيب بورقيبة كان في نظر أغلب قادة الثورة الجزائرية خاصة في السنوات الأولى (1954 ـ 1956) مشبوها بما أنه قبل باتفاقيات الاستقلال الداخلي (03 جوان 1955) وقسم وحدة جبهة المقاومة المغاربية وخان ما التزم به حزبه في لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة (1948) من إلزامية مواصلة الكفاح المسلح حتى تحرير كامل المغرب لذا كانت أغلب القيادة الجزائرية (خاصة بوصوف، دباغين، بن خدة) تراهن على غريم بورقيبة والزعيم الدستوري الآخر صالح بن يوسف رافع وحدة النضال والتحرير الشامل إلا أن اغتياله بفرانكفورت (ألمانيا) بتاريخ 11أوت 1961 وضع حدا لهذا الرهان أي لهذا المشروع[2] .

كما كان الحبيب بورقيبة بدوره على الأقل في السنوات الأولى من الثورة الجزائرية" لا يخفي احتقاره لتلك العقلية العسكرية التي سيطرت على العقل السياسي للثورة الجزائرية"[3].خاصة وأن برنامج جبهة التحرير الذي يضع استقلال الجزائر كمرحلة وحيدة وكهدف والمقاومة المسلحة كوسيلة فضلى للتحرر يناقض سياسة بورقيبة التي تقوم على المرحلية والقبول بالحلول الوسطى والتفاهم مع الخصم "لضمان حلول المستقبل" وفي حالة الجزائر وإن كان بورقيبة يقر بحق الجزائريين في الاستقلال فإنه يرى أن مصلحة وطنهم تملي عليهم القبول بمرحلة انتقالية وليس انفصالا كليا عن فرنسا والأهم اعتراف فرنسا بمطلبكم المتمثل في نيل بلادكم لاستقلالها ولبلوغ هذا الهدف يجب المرور بعدة مراحل[4].

وبالرغم من الموقفين المتناقضين(الأمانة العامة والديوان السياسي) في كيـفية

1- mohamed sayah, le nouvel etat, aux prises avec le complot yousséfiste 1956 – 1958. dar el amal, tome.1 tunis 1982. p, 407.
2- Mohamed harbi, les archives de la révolution algérienne, les éditions jeune Afrique,1981,p270.
3 - الصافي السعيد، بورقيبة سيرة شبه محرمة، دار الريس بيروت (لبنان) 2000، ص. 234
4-للمزيد أنظر، محادثات الحبيب بورقيبة مع فرحات عباس في: Daho djerbal, Op.cit, p.35-

مساندة القضية الجزائرية وحل إشكالها إلا إن هذا لم يمنع وقوف الحزب الدستوري ككل مع القضية الجزائرية والتفاعل مع كل معطياتها ومنح الحضور القوي لجبهة التحرير الوطني على الأراضي التونسية[1] وذلك في وجود الكثير من المقرات والمحلات التي كانت تابعة لجبهة التحرير الوطني ففي مدينة تونس عل سبيل المثال كان هناك أكثر من 59 موقعا نذكر من أهمها مايلي:

ـ نهج باب السويقة: مكتب جبهة التحرير(F. L. N.)

ـ 1نهج التسامح: مقر مكتب علي محساس ممثل جبهة التحرير.

ـ نهج رومة: مقر الحزب الدستوري الجديد كذلك مقر لجنة التنسيق للجبهة.

ـ ساحة باب السويقة: مقر فدرالية الحزب الدستوري الجديد كذلك مقر الهيئة السياسية
الجزائرية.

ـ نهج روسيا: مقر لجنة فرعية للجبهة مكلفة بالدعاية والتجنيد وجمع الأموال.

ـ 26 و26 مكرر نهج الصادقية : مكتب القيادي بالجبهة بن عودة عمار.

ـ نهج القاهرة: مقر جريدة " La Résistance algérienne "

ـ نهج الزاوية البكرية : مصحة الدكتور النقاش.

ـ نهج الباب الجديد: فرع مكتب نهج الحلفاء لاستقبال الجزائريين القادمين من فرنسا.

ـ 31 نهج شارل ديغول: مقر جريدة المجاهد.

ـ نزل ومقاهي يستعملها المقاومون للاجتماعات أو الإقامة : مقهى الحاج الشريف
(باب الجديد)، مقهى الحاج لخضر(باب الجديد)، مقهى عزيز(باب الجديد)، نهج سالم (نهج المر)، نزل العياشي (باب السويقة)، مطعم المنصورة (نهج الجزيرة)، نزل -الكرسي (نهج مرموز)، نزل عبد العزيز(نهج المر). مع الملاحظة أنه بعد استقرار الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بها سوف تزداد كثافة الحضور الجزائري بهذه المدينة وكذلك بضواحيها[2].

1- للإطلاع أكثر على نشاط جبهة التحريرالوطني في القطاع الشمالي لتونس، عد الى، الملحق رقم: 13، ص.138.

2- SHAT, S/S. Tunisie, C. 2H 311, f. 222, 230.

المساندة العسكرية لحزب الدستور الجديد للثورة الجزائرية

1- المعارضة اليوسفية ومساندتها للثورة الجزائرية:

كانت القضية الجزائرية طيلة فترة المقاومة (1954- 1962) حاضرة وفاعلة في حياة التونسيين كمجتمع وكدولة بحكم التاريخ والجغرافيا حيث أن الجزائر وتونس بلدان متجاوران ـ كما هومعلوم ـ ولا تفصلهما أي حواجز طبيعية والعلاقات التاريخية والبشرية والسكانية بينهما أقدم من الاستعمار وهي كذلك معروفة لذاك كانت تونس فعلا قاعدة خلفية للثورة الجزائرية وهذا ما تثبته المصادر الأرشيفية الفرنسية والجزائرية وعديد الكتابات وشهادات المقاومين وحتى الدبلوماسيين فدعم الدستوريين للثورة الجزائرية كان على المستوى الشعبي والرسمي ففي المستوى الأول كان هناك فيض تضامني مع المقاومة الجزائرية ومساهمة فعلية في أحداثها الحربية إذ منذ قبل أن حتى أن يضع " الثوار" الدستوريون أسلحتهم في ديسمبر 1954 هب المئات منهم من تلقاء ذاتهم وبإيحاء من قيادة الحزب الحر الدستوري الجديد لنصرة الثورة في الجزائر[1].

يؤكد بشير القاضي في شهادته أن تعاون التونسيون مع الثورة الجزائرية بدأ منذ صائفة 1954 وذلك عندما قامت شبكة تهريب تونسية بإيصال الشهيد مصطفى بن بولعيد الى طرابلس للقاء أحمد بن بلة والعودة به عبر نفس الطريق وانطلاقا من هذا التاريخ بدأ التعاون الحقيقي بين المقاومتين واهم ماجاء في شهادته ما يلي :

" ... إن البدء الأساسي للتعاون والتنسيق بيننا وبين المقاومة التونسية، يعني قبل أن تتوقف المقاومة في تونس، حدث في صيف 1954 عندما خرج الوطني الكبير الشهيد مصطفى بن بولعيد الى طرابلس بعد اجتماع الواحد والعشرون هنا في العاصمة، جـاء الى طرابلس للقاء بن بلة، طبعا أنا كنت في الموقع والإخوان التونسيون هم الذين نقلوه إلينا في حوالي 15 الى 20 أوت 1954، وعندما عاد الأخ مصطفى بن بولـعيد إلـى الجزائر عاد عبر نفس الطريق مع نفس الشبكة.....ومن هذا التاريخ فاتحـنا إخواننـا

1- عميرة علية الصغير، اليوسفيون وتحرر المغرب العربي، المرجع السابق، ص، 165

المسؤولين التونسيين الذين كانوا بمكتبهم في طرابلس عن قرب اندلاع عمل ثوري في الجزائر، اضطررنا لمفاتحتهم، لأننا كنا في حاجة الى استعمال شبكاتهم لتمرير الأسلحة والأشخاص[1].

لقد تضامنت المعارضة اليوسفية مع ثورتنا التحريرية ويعود ذلك الى أهدافهما المشتركة في تحقيق استقلال حقيقي سواء كان لتونس أو الجزائر، وفي الواقع تعود اليوسفية الى الزعيم السياسي والأمين

العام لحزب الدستور الجديد صالح بن يوسف والكثير من أتباعه خاصة من الأمانة العامة الذين رفضوا مضمون اتفاقيات الحكم الذاتي (03 جوان 1955) واعتبروها خطوة الى الوراء باعتبار أنها تكرس معاهدة باردو(1881) ولا تقر لتونس بالسيادة الخارجية ولا تقر لها بحق الدفاع، وتعترف رضاءا بحقوق أبدية لفرنسا في تونس كالتواجد الاقتصادي والبشري والاعتراف بمختلف الامتيازات، كما يرون أن انتماء تونس الى الأمة العربية الإسلامية وهي جزء من المغرب العربي، عكس بورقيبة نحو الغرب وارتباط وتكافل مع فرنسا, ولذلك رفض صالح بن يوسف هذه الاتفاقية وصرح بذلك في تاريخ 18 أفريل 1955أي قبل حتى إمضائها وكان موجودا آنذاك في المؤتمر الأفرو ـ أسيوي بباندونغ ثم من القاهرة وحتى الى عودته الى تونس (13 سبتمبر 1955) وحمل بورقيبة شخصيا مسؤولية إمضائها وقام بنقد منهجي لمحتواها[2].

إن التشدد الذي جابهت به حكومة الاستقلال الداخلي المعارضة اليوسفية، ومنـع
عقد اجتماع الأمانة العامة المبرمج ل 18 جانفي 1956 بالعاصمة
وتحريك عناصـر النشطين الموالين للديوان السياسي لإفساد
اجتماعات أنصار صالح بن يوسف وحتـى
اغتيال بعض أتباعه وخاصة قرار 28 جانفي القاضي بإلقاء القبض علـى اليوسفييـن
رسخ أكثر لدى العناصر الموالية لبن يوسف قناعتها بضرورة العودة للمقاومة المسلحة

1- - بشير القاضي، المصدر السابق، ص، 172، 173.
2- عميرة علية الصغير، اليوسفيون... ، المرجع السابق، ص، 165.

لتحقيق غاياتها في مراجعة الاتفاقيات الممضاة وفرض استقلال فعلي للبلاد[1].

لقد بدأ التنسيق بين المعارضة اليوسفية والثورة الجزائرية قبل مغادرة صالح بن يوسف تونس(28 جانفي 1956) متوجها الى ليبيا نتيجة القمع الذي سلكته لجان الرعاية في تتبع معارضي اتفاقية الحكم الذاتي الذي تحصلت عليه تونس، بحيث عقد صالح بن يوسف اجتماعا في بيته لقيادات جيش التحرير والذي أصبح يسمى بجيش تحرير المغرب العربي كله، حضر هذا الاجتماع من الجانب التونسي صالح بن يوسف والطاهر الأسود والطيب زلاق، ومن الجزائر الشهيدان عبد

الحي وعباس بلغرور، ومن المغرب محمد البصري ، وتعود فكرة تكوين جيش تحرير مغاربي الى عبد الكريم الخطابي.[2]

وفي هذا الصدد أصدرت القيادة العامة لجيش التحرير التونسي بيانا جاء فيه " تعلن القيادة العامة لجيش التحرير الوطني التونسي بعث جيش التحرير الوطني التونسي وتقرر ضمه الى الجيوش إخواننا الجزائريين والمغاربة.[3] " إمضاء الطاهر الأسود.

ومن خلال النداء الموجه من قبل الطاهر الأسود قائد جيش التحرير الوطني التونسي الى الشعب التونسي ندرك أهمية هذا الجيش المؤسس في دعم الثورة الجزائرية وتوحيد النضال معها ضد الاستعمار الفرنسي،وتحث الشعب التونسي على الوقوف الى جانب هذا الجيش، وأهم ما جاء في هذا النداء ما يلي :

نداء من الطاهر الأسود قائد جيش التحرير للشعب العربي في تونس

" تعلم القيادة العامة لجيش التحرير الوطني التونسي، أنها كونت علـى بركـة الله
جيش التحرير الوطني التونسي، ومهمته تطهير البلاد من الاستعمار و أذنابه، وتوحيد النضال مع جيش التحرير الجزائري والمراكشي، وتحث الشعب على القيام بواجبه في هذا الصراع الفاصل ضد الاستعمار، وتحذر كل من تحدث نفسه بالوقوف ضد هـذه

---

1. - عميرة علية الصغير، حيش التحرير الوطني التونسي... المرجع السابق، ص، 86.
2- الطاهر عبد الله، المصدر السابق، ص، 157.
3- جريدة الصباح، المصدر السابق، "بيان القيادة العامة"، العدد 1273، 12 فيفري 1956، ص، 4.

الحركة النضالية المسلحة، وتنذر من يتبع أولئك الذين تنكروا للمبادئ الوطنية والقيم الكفاحية[1] .

ويبدو أن صالح بن يوسف منذ وجوده في القاهرة (1955) واضعا في برنامجه خيار اللجوء الى المقاومة المسلحة مع جيش التحرير الوطني الجزائري لكن في صورة فشل العمل السياسي، وهذا التقدير يدعمه ضابط المخابرات المصري فتحي الديب في كتابه " عبد الناصر والثورة الجزائرية" إذ يذكر أن بن يوسف كان قد اتفق منذ كان في القاهرة مع أحمد بن بلة على إعادة تنشيط الجبهة التونسية بدعم من مصر.[2]

والواقع أنه منذ شهر جوان 1955 كان هناك تنسيق فعلي بين قيادة جبهة التحرير الوطني والمعارضة اليوسفية، وتمثل في اتصال أحمد بن بلة مع السيد عبد العزيز شوشان ممثل صالح بن يوسف بليبيا وذلك على أساس الكفاح المشترك والذي قاده عسكريا في تونس الطاهر الأسود هذا الأخير الذي حضر اجتماع طرابلس في 24 نوفمبر

1955 مع أحمد بن بلة بحضور الضابط المصري "فتحي الديب" ممثل جمال عبد الناصر هذا الاجتماع الذي توسع في 24 فيفري 1956 بالقاهرة وكان هدف هذا الاجتماع هو مواصلة الكفاح المغاربي المشترك من أجل تحريرووحدة المغرب العربي.[3] .

وهكذا بدأ الالتحام المقاوم بين مجاهدي البلدين في أي في إطار " الثورة الثانية " و "جيش تحرير المغرب العربي " بدفع وإشراف من صالح بن يوسف وقيادة ميدانية من الطاهر لسود حيث تكونت أكثر من 20 "فرق مقاومة "[4] على كامل الحدود الجزائرية التونسية وخاصة في الوسط والجنوب تناوش القوات الفرنسية وتتعرض لمن تعتبرهم خونة وعملاء فرنسا وكان أكبر دعـم لهذه المقاومة التلقائية التي دامت مـن

1-الطاهر عبد الله، المصدر السابق، ص، 153.
2-فتحي الذيب، المصدرالسابق، ص، 89.
3-محمد بلقاسم، "القاعدة الخلفية للثورة بليبيا"، القواعد الخلفية للثورة الجزائرية، الجهة الشرقية 1954 ـ 1962،سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر 2007. ص51، 52.
4- للإطلاع أكثر على فرق المقاومة الجزائرية بتونس (1954 ـ 1957)، أنظر، الملحق رقم : 15، ص.140.

أواخر 1955 حتى صائفة 1957 تقريبا هو بالدرجة الأولى التلاحم مع جيش التحرير
الوطني الجزائري وبالدرجة الثانية تسريب السلاح لثوار الجزائر عبر شبكة تنطلق من طرابلس مرورا بالحدود الجنوبية وحامة قابس وجبال قفصة نحو جبال الأوراس والنمامشة.[1]

ولذلك ظهر إحساس قوي لدى الكثير من التونسيين بضرورة الكفاح الى جانب الثورة الجزائرية ،وكان التيار المطالب بهذه الضرورة النضالية تيارا قويا وهو يمثل طموح المستقبل في الوحدة المغربية كخطوة نحو الوحدة العربية الشاملة[2].

لقد توصلت قيادة الجيش الفرنسي اعتمادا على المعلومات التي جمعتها خاصة من أسرى المعارك التي خاضتها ضد وحدات المقاومين بجهة قفصة في النصف الأول من سنة 1956 الى ان اتفاقا حصل بين الأمانة العامة وجبهة التحرير الجزائرية مفاده:

1ـ عبد الحي (أحد قادة جيش التحرير الوطني الجزائري) له السلطة ومهمة الاتصال مع القيادة العليا والاتصال معها.
2ـ ضرورة التدخل الكثيف للجزائريين بتونس.
3ـ لا يتصل المقاومون الجزائريون إلا بشعب "الأمانة العامة" لتلقي المعونات والإعانة
4ـ الفصائل المشتركة يجب أن تكون تحت قيادة جزائرية.

5ـالمتطوعون الذين يعتمدهم الطاهر الأسود يمكن إدماجهم في الوحدات الجزائرية.
6ـ الإعانة والدعم يضمنه اليوسفيون لتسريب السلاح.
7ـ اليوسفيون يكونون بدورهم فرقهم المسلحة والتنظيم السياسي والعسكري يكون مماثلا لتنظيم الجزائريين.
8ـ المقاومون الجزائريون بتونس يمكن أن توفر السلاح والذخيرة لليوسفيون. 9ـ الجزائريون يلتزمون بتقديم الإعانة المالية للقيام بالعماليات المشتركة.
ويبدو ان هذه الاتفاقات قد سار عليها الطرفان في تنسيق وتعاون[3].ففيما يخص تهريب

1-عميرة علية الصغير، اليوسفيون...، المرجع السابق، ص، 165.
2- الطاهر عبد الله، المصدر السابق، ص، 153.
3-تقرير الجنرال " باتييف" مؤرخ بشهر جانفي 1956 بأرشيف الجيش الفرنسي.Shat, S. 507, Tunisie. 2H 314. n.f.

الأسلحة، كان للثورة قاعدة في طرابلس تتلقى الأسلحة من بعثة الثورة في أوروبا الوسطى ومصر ويقوم ممثلوها بتمريرها الى الجزائر عن طريق القطر التونسي الشقيق، وتؤكد المصادر أن هذه القاعدة كانت تمرر سلاحا حربيا الى الجزائر بمعدل 60 قطعة في الأسبوع مع ذخيرتها وتزايدت عملية التهريب هذه مع استمرار وتوسع نشاط الثورة الجزائرية[1].

لذلك وجد هناك تعاون ميداني بين قيادة اليوسفيون وجبهة التحرير الوطني وذلك في مجال إمداد الثورة الجزائرية بالأسلحة والذخيرة وتمكين المعارضة التونسية من تحرير البلاد بحيث كانت خطط برنامج للإمداد بالسلاح عن طريق ليبيا وذلك بعد موافقة والتزام الوزير الأول الليبي السيد مصطفى بن حليم لتسهيل عملية العبور عن طريق مركزي زنزور وبني غشير ويعتبر كل من الطاهر الأسود وأحمد بن بلة المسؤولين الرئيسيين في تمرير الأسلحة عبر ليبيا بحيث كانت تستخدم قوافل من الجمال تدخل الى تونس ، وكانت هذه الأسلحة تخزن في مراكز ومن أهم المراكز لتخزين الأسلحة موطن الحامة (موطن الطاهر الأسود) وهي تقع غرب قابس ب30 كلم ومنها كانت توزع من طرف مجاهدين تونسيين لتسلم الى فصائل مشتركة تونسيةـ جزائرية التي كانت تنشط في مناطق الحدود بين تونس والجزائر[2]

يؤكد بشير القاضي في شهادته عن دعم اليوسفيين وتعاونهم مع الثورة الجزائرية وأهم ما جاء في شهادته مايلي : " ... حدثت فترة

أخرى والتي يمكن أن أسميها فترة ثالثة، وفترة تكوين معارضة صالح بن يوسف باختصار، جيش التحرير الذي كان على
رأسه الطاهر الأسود والذي كان صالح زعيمه الروحي على الأقل ... الخ حدث بيننا
بيننا وبينه تعاون وثيق وعميق جدا جدا، لدرجة أن الأسلحة التي كانت توجه للمقاومين في الأوراس آنذاك كنا نقسمها تقريبا مناصفة مع جيش التحرير الذي كان على رأسه المرحوم الطاهر الأسود (توفي سنة 1994) ولكن الإخـوان يتولون تامين وتمرير هذه

1-يوسف مناصرية، القواعد الخلفية للثورة... المرجع السابق، ص، 128، 129.
2-محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص، ص، 123، 125.

الأسلحة في الجنوب بأسلحتهم، ووصل الأمر الى نشوب معارك مع بعض الوحدات الفرنسية التي كانت ما تزال في الأراضي التونسية، وتعترض قوافلنا وإخواننا الذين كانوا يرافقون القافلة من المجاهدين[1].

كما ساهمت الجالية الجزائرية في تونس في عملية تهريب الأسلحة للثوار الجزائريين مما أدى بالمندوبية السامية لفرنسا بتونس إصدار بيانا أهم ماجاء فيه :

" لقد بلغ الى علم مصالح الأمن بأن هناك بعض الجزائريين يقومون بعملية تموين عصابات الثوار العاملة على الحدود الجزائرية من ناحية الجنوب الغربي بالأسلحة والذخيرة[2] ."

وبعد وصول صالح بن يوسف الى ليبيا واستقراره بها بدأ جيش التحرير التونسي في التنسيق مع جيش التحرير الجزائري على العمل المشترك وقد وقعت معارك كبيرة بين جيش التحرير التونسي وحليفه جيش التحرير الجزائري مع القوات الفرنسية في " بن خداش " و " تطاوين" و" قفصه" و"نغزاوة " و"القصرين" واهم المعارك التي خاضها الجيشان جنبا الى جنب كانت خاصة في منطقة أم العرايس والرديف والمعكوي ويقظة. وكان الشعب التونسي يمون الجميع[3].

لقد كان الجنوب التونسي مسرحا للمعارك بين جيش التحرير الوطني التونسي وحليفه جيش التحرير الوطني الجزائري من جهة والقوات الفرنسية من جهة أخرى، ونعني بالجنوب هو ذاك المجال الممتد من جبال قفصة الى الصخيرة في الشرق وكامل ذاك المثلث الجنوبي للبلاد حتى الحدود الليبية في الشرق والجزائرية في الغرب، إن الكثير من الخصائص التي يتميز بها الجنوب أهلته لهذه المساندة سواء للمقاومة اليوسفية أو للثورة الجزائرية التي وجدت التضامن الفـعلي من قبـل أهالي الجنـوب

ويعود هذا التضامن لعدة عوامل من أهمها :

1-بشير القاضي، جيش التحرير... المرجع السابق، ص،ً ص. 175، 176
2-الصباح، العدد 1254، 21 جانفي 1956، ص، 2.
3-الطاهر عبد الله، المصدر السابق، ص، 159.

1- اتساع الولاء لأطروحات صالح بن يوسف بين أهالي الجنوب، خاصة أن اتفاقيات 03 جوان 1955 تنص على أن الشريط الحدودي مع الجزائر أو ليبيا تبقى مراقبته من صلاحيات الجيش الفرنسي.
2-عمق الشعور بالانتماء العربي الإسلامي لدى سكان الجنوب والوعي بواجب التضامن مع الإخوة في الدين والعرق (الجزائريين) .
3-تأثير القيادات اليوسفية في منطقة الجنوب وعملها في كسب الولاء الجهوري للاصطفاف وراء راية الاستقلال التام والتحرير الشامل للمغرب العربي شأن زعيم المعارضة ذاته صالح بن يوسف من الجنوب (جربه).
4-دور الجغرافيا فالجنوب التونسي هو مجال واصل بين بؤر المقاومة الجزائرية بوادي سوف والأوراس وبالشريط الحدودي مع تونس وبين مصادر تموينها وتدريبها بطرابلس فهو لذلك لم يكن حيويا فقط للمعارضة اليوسفية لكي لا تقطع عن حليفها بل وهو كذلك أيضا بالنسبة للمجاهدين الجزائريين لكي يضمنوا وصول الأسلحة لوحداتهم[1].

لقد تكونت عدة فصائل عسكرية جزائرية ـ تونسية هذه الأخيرة تابعة للمعارضة اليوسفية، من أهمها فصيلة الطيب الزلاق الذي اختار الإنخراط في الأمانة العامة ودخول المقاومة المسلحة تحت راية العروبة والإسلام والتحرير الشامل للمغرب العربي ووحدة السلاح ودخل بداية من 9 جانفي 1956 السرية ومعه أربعة رجال من وادي مليز وظل طيلة أربعة أشهر حاملا سلاحه ضمن مجموعة من المقاومين التونسيين والجزائريين بقيادة " أحمد الشريف" الذي أسره الجيش الفرنسي في 13 مارس1956 وخلفه القائد "بن ضو" متنقلا مع مقاوميه وحلفائه من عين الدراهم شمالا
الى تالة وتاجروين جنوبا ومن تونس الى الجزائر ومن الجزائر الى تونس وكان عدد
هذه الفرقة المشتركة ناهز 120 مقاوما في 25 جانفي 1956[2].

1-عميرة علية الصغير، اليوسفيون... المرجع السابق، ص، 99.
2- نفسه، ص، 133

ومن الفصائل المشتركة الجزائرية ـ التونسية فصيلة القائد الجيلاني بن عمر والذي كان من ضمن الفلاقة إلا أنه لم يضع سلاحه

كالكثير من أقرانه، بل انضم الى الثورة الجزائرية واشترى مجموعة كبيرة من الأسلحة وكون فرقة الجنود الجزائريين والتونسيين وخاض معارك ضد القوات الفرنسية بمنطقة الرديف ومنطقة تبسة وجنوبها كما كانت له اتصالات بقادة الثورة الجزائرية كمصطفى بن بولعيد واحمد بن بلة. [1] -

ومن الفصائل المشتركة كذلك فصيلة القائد الطاهر بلحاج لخضر الغريبي (من غريب نفطة) وهو مقاوم منذ " الثورة الأولى" وبتكليف من صالح بن يوسف، حامل لواء " "حرب التحرير" في تحالف مع المجاهدين الجزائريين المرابطين بالحدود الجنوبية مع الجزائر وخاصة في جهة الرديف وجبال الجريد حول القائد الجزائري "الطالب العربي"حيث ظلت المناوشات مع اليوسفيون في عدة نقاط وفي تواصل مع الحضور العسكري الجزائري بجهة القصرين والجبال الحدودية الشمالية، من ذلك أنه في جهة قفصة لوحدها وفي ظرف شهر فقط من 26 نوفمبر الى 26 ديسمبر 1956 قام الجيش الفرنسي بخمسة عشرة عملية عسكرية هامة ضد الثوار وذلك في اطار شل وحدات جيش التحرير الجزائري وأنصاره من التونسيين خاصة في جهدهم لتسريب السلاح نحو الجزائر والقادم من ليبيا[2].

وهكذا خاض جيش التحرير الوطني التونسي المؤسس من قبل المعارضة اليوسفية مع حلفائه من الثوار الجزائريين الكثير من المعارك مع الجيش الفرنسي وحلفائه وقدم فيه أكبر عدد من الشهداء طيلة أكثر من سنة ونصف تقريبا بين أكتوبر 1955 حتى الى شهر جوان 1957[3].

1-- Amira Alea Sghaier, "les tunisiens et la révolution algérienne 1954-1958" in Méthodologie de L'histoire des mouvements nationaux aux Maghreb, Zaghouan, FTERSI, p, p, 41, 89.

2-عميرة علية الصغير، اليوسفيون... المرجع السابق، ص، 121

3- -الطاهر عبد الله، المصدر السابق، ص،145.

2- الديوان السياسي لحزب الدستور(الحكومة التونسية) ومساندته للثورة الجزائرية:

لقد رأت فرنسا في المقاومة اليوسفية خطرا رئيسيا على وجودها في الجزائر خاصة وانه كان في إستراتيجية جيش التحرير الوطني التونسي التلاحم مع جيش التحرير الوطني الجزائري وكان الثوار التونسيون من الحدود مع ليبيا الى الحدود مع الجزائر في الجنوب يمثلون همزة وصل حيوية لإمداد الثورة التحريرية في الجزائر بالسلاح

الآتي من الشرق وهذا البعد الإستراتيجي كان ليس خافيا عن الدولة الفرنسية وعن جيشها ولذلك كان القرار السياسي الفرنسي (بمنح تونس استقلالها على اثر بروتوكول 20 مارس 1956) في تحويل الدولة التونسية الناشئة الى دولة قادرة إذ دولة " مستقلة " تخدم الإستراتيجية الفرنسية أولا في المحافظة على مصالحها في تونس وثانيا بضرب خطر التلاحم الثوري في المغرب العربي[1]..

يقول محمد لبجاوي : " إن المغرب وتونس المستقلتين أصبحتا ليس فقط ملجأ آمنا بل كذلك قاعدة لوجستيكية وسياسية لكفاح جبهة التحرير[2].

انه ومنذ تخطي مرحلة الصراع اليوسفي ـ البورقيبي، واستعادة نظام بورقيبة تدريجيا لسلطته وسيطرته على الأوضاع جدت اتصالات بين القادة التونسيين والقادة الجزائريين لتنسيق الدعم للثورة الجزائرية وخاصة تأمين تمرير السلاح للمقاومة في الجزائر وتوفير الشروط والتسهيلات للعناصر المتواجدة في تونس للقيام بمهامها وكانت
شخصيات الربط من الجانب التونسي في الأول خاصة المناضل النقابي والقيادي الدستوري أحمد التليلي ووزير الداخلية الطيب المهيري حيث تم اتفاق أول في 29 ماي 1956 بين أعضاء من الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري الجديد وعبد الله بلهوشات عن جبهة التحرير نص هذا الإتفاق على تحويل السلاح القادم من ليبيا الى
الفصائل الجزائرية في الحدود[3].

1-عميرة علية الصغير، اليوسفيون..، المرجع السابق، ص، 88.

2- Mohamed Lebjaoui, Vérités sur la révolution algérienne, Gallimard, Paris1970, p, 134.

3-عميرة علية الصغير، المرجع السابق، ص، 222

كما جرى اتفاق في 22 جانفي 1957 بطرابلس بين الدكتور لمين دباغين واحمد
توفيـق المدني عن جبهة التحرير الوطني والصادق المقدم والطيب سليم عن الحكومة التونسية وسمي هذا الإتفاق " مسلم " نص الإتفاق على مايلي:

1ـ الحكومة التونسية تتعهد بنقل الأسلحة الجزائرية التي ترد عليها الى الحدود من ممثلي جبهة التحرير الوطني، وتتعهد بتسليمها على الحدود الجزائرية لمن تعينه الجبهة لتسلمها.

2ـ تكون هذه الأسلحة تحت حراسة وضمان هيئة مشتركة، مؤلفة من ممثلين عن جبهة التحرير الوطني الجزائري.
3ـ تتعهد هذه الهيئة المشتركة بأنه لن يتسرب الى البلاد التونسية أي قطع من السلاح أو أي جزء من الذخيرة المخصصة للجزائر.
4ـ لا تتم معاملة النقل هذه إلا بين الجزائريين المفوضين من قبل جبهة التحرير الوطني والمفوضين من قبل الديوان السياسي دون أي مشاركة خارجة عنهما.
5ـ المسائل الفنية المتعلقة بتنفيذ هذا الإتفاق بصفة سريعة وعملية تتولاها لجنة مسؤولة مشتركة، مؤلفة من عضو يعينه الديوان السياسي ، وعضو آخر تعينه جبهة التحرير الوطني.
6ـ تبدأ اللجنة أعمالها حال مصادقة الأخ الرئيس الحبيب بورقيبة على هذا النص النهائي بعد رجوع الوفد التونسي للعاصمة التونسية[1] .
إن الفترة الممتدة من سنة 1954 الى غاية 1957 كان قادة الثورة الجزائرية مهتمين بالصعوبات الداخلية التنظيمية للثورة . أما في تونس ونظرا للتضامن الشعبي الواسع فإن المشاكل التي خلقتها الثورة للدولة التونسية كانت صغيرة وقد حلت من قبل السلطات التونسية في جو من التفاهم الأخوي، وكانت تسهيلات من مختلف الأوجه قد منحت ،كتنقل الأشخاص، جمع التبرعات ، مساندة سياسية، الخ [2].

1-أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، الجزء الثالث، المصدر السابق، ص، ص، 278، 279.
2- Mohamed harbi, les archives , Op-Cit, p, 452

فبعد أن نالت تونس استقلالـها، أصبح لجيش التحـرير وجبهة التحرير الحضور
القوي على الأراضي التونسية، وهذا مما نلاحظه من خـلال شهادة أحمد قادري[1] بحيث يقول : .. إن تواجد جيش التحرير الوطني الجزائري بالشقيقتين المغرب وتونس بدأ تدريجيا سنة 1955بصفة سرية بمجموعة قليلة العدد جدا . في سنة 1956 تكاثر عدد المجاهدين علانية، وأنشئت مراكز لاستقبال الوافدين بداية من الولاية الأولى التي لها حدود طويلة مع تونس والقاعدة الشرقية التي لها أيضا حدود واسعة مع تونس. لما تكاثر الوافدون الى تونس،اقتضى الأمر أن يكون لكل ولاية ممثلها الخاص مستقرا بتونس العاصمة، ليتولى شؤون أفراد ولايته من إيواء وإطعام وعلاج المرضى والجرحى وحتى في التسليح، ومن أجل هذا الغرض اتخذت كل ولاية مركزا أو أكثر بالشريط الحدودي لاستقبال وافديها من الجزائر للراحة حتى يأتي يوم الرجوع عندما تتوفر الأسلحة[2].

.. فالمصالح اللوجستية يلاحظ تركيز المنشآت خاصة بالعاصمة تونس ومدن الشريط الحدودي حيث القواعد العسكرية لجيش التحرير بمدن الكاف وسوق الأربعاء وتالة وتاجروين وغيرها من المواقع على رأسها مقر القيادة بغار الدماء ومركز التكوين والتدريب بملاق[3]

يقول أحمد قادري وهو أحد قادة جيش التحرير الوطني : كان يتواجد بتونس العاصمة مؤسسة تسمى مديرية التموين المركزية ((intendance centrale هي التي تقوم بإيصال التموين الى الحدود وحسب طلب قيادة الحدود لما يكفي لمدة ثلاثة أشهر للعدد المتواجد بالحدود فعلا، أي إيصال التموين الى مقر قيادة الحـدود بولاية الكـاف

1-أحمد قادري: أحد قادة جيش التحرير الوطني الجزائري، التحق بالقاهرة وتخرج في شهر نوفمبر 1956 من مدرسة الصاعقة، ثم سلاح الإشارة، كان أحد المسؤولين عن تموين جيش التحرير بالأسلحة من تونس الى مناطق الحدود الشرقية أي الى جيش التحريرالوطني بالحدود التونسية. للمزيد أنظر، الملتقى الدولي لنشأة وتطور جيش التحرير الوطني، فندق الأوراسي 2، 3، 4، جويلية 2005، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر 2005، ص، 312.

2-نفسه، ص، ص، 311، 312.

3- khaled Nezzar, Récits de combats, geurre de libération nationale, 1958-1962,Ed, chihab Alger 2000, p,p, 135-136 .

التونسية والقسم الثاني بغار الدماء، ثم نقوم نحن بتوزيعها على الوحدات المرابطة بالحدود[1].

أما فيما يخص مخازن الأسلحة فكانت على وجه الخصوص بليبيا بمدينتي طرابلس وبنغازي إضافة الى مدينة الكاف بتونس ومخازن الراديو والاتصالات فكانت بمخازن طرابلس وبجبل الجلود بتونس العاصمة[2].

بحيث توجد في تونس العاصمة مقرات ومحلات ذات صبغة عسكرية من أهمها:

حي باب الجديد : البوليس السري ل A.L.N (جيش التحرير الوطني)

62ـ 64 نهج باب الجديد : شركة نقل Goubi Nadj (نقل المجندين، أسلحة ...)

خلية الحزب الحر الدستوري بباب الجديد : مخزن أسلحة .

الجبل لحمر: مركز رئيس لإيواء المتطوعين.

ثكنة فرجمول (رأس الطابية) : تمر بها أسلحة جيش التحرير.

باب سعدون : مقرخلية الحزب الدستوري الجديد، مخزن أسلحة.

6 نهج القبطان مارك: سكنى الكمدان مراد.

نهج مسكو : سكنى الدكتور النقاش ومحل تكوين الممرضين لفائدة جيش التحرير.

نزل العياشي: مستودع لسيارات جيش التحريرـ

نهج الصادقية مركز صحي واجتماعي لفائدة F.L.N

جامع شمال مقبرة سيدي يحي : مخبأ أسلحة .

رحبة الغنم : مستشفى جيش التحرير.
ثكنة سوسي: حضور عناصر من جيش التحرير.
نهج فالنس : مستشفى التحرير حيث يعالج المقاومون تحت إشراف الدكتور النقاش .
46 نهج الجزيرة : مصحة الدكتور الشاذلي أين يعالج الجزائريون.
المستشفى الصادقي : يقبل فيها مقاومو جيش التحرير.

1-أحمد قادري، المصدرالسابق، ص، 327.
2-للإطلاع أكثر، عد الى الموقع التالي: http//:www.stratisc.org/his-Mil index.Htm

خزندار (قرب طريق تونس ـ غار الدماء) مركز التكوين والتدريب النظري لعناصر جيش التحرير.
37 نهج الحلفاويين: مكتب F. L. N برئاسة بوتليس : استقبال الأسلحة والتبرعات من الجزائريين .
104 شارع باريس : سكنى الدكتور سليمان مكلف بمعالجة جرحى جيش التحرير.
بئر الباي : معسكر تدريب للمتطوعين التونسيين[1].

وكانت مصلحة الصحة والإسعاف تحت إشراف أطباء جزائريين. كما كانت مستشفيات الكاف وسوق الأربعاء وسوسة هذا بالإضافة الى المشافي الموجودة على مستوى غار الدماء وتاجروين وتالة [2]

كانت البلاد التونسية شعبا وسلطا تعيش على وقع أحداث وتطورات الثورة الجزائرية طيلة السبع سنوات من عمرها وتأثرت بوقائعها سلبا وإيجابا ونجحت المقاومة الجزائرية علاوة على الصعوبات والعراقيل وسوء الفهم في جعل من تونس قاعدة خلفية لجيش التحرير الجزائري،فالمقاومة الجزائرية ما كانت لتنشط وتتركز في تونس وترتقي من مرحلة العطاء الجهادي التطوعي لفرق مستقلة الى مرحلة جيش التحرير إلا بارتقاء قيادة الثورة الجزائرية ونضجها في ميدان التنظيم العسكري إضافة لما وفرته الدولة التونسية الناشئة من عوامل كانت دافعا لنجاحها واستمراريتها[3].

3ـ أما فيما يخص المساندة الإنسانية للاجئيين الجزائريين النازحين نحو الحدود، فحتى قبل سقوط البلدين تحت سيادة الاستعمار الفرنسي، لم تكن الحدود الجزائرية التونسية حاجزا منيعا ضد حركات السكان في الاتجاهين بين الجزائريين والتونسيين أربعة عشرة قرنا من التاريخ المشترك الذي نسج كثيرا من الروابط التي لا يمكن لحدود وهمية أن تكون مانعا فعـالا قد يعيق تبادلا قديما، وهكذا فإن كانت هذه الهجرة

.1SHAT, S/S. Tunisie, C. 2H 311, f. 222, 230

Mohamed Guentari, organisation Plitico-Administrative et militaire de la révolution algérienne,de -2
.1954 à 1962, Ed, O.P.U. Alger2000, p, p, 305, 308

3ـ عبد القادر العريبي**،** تونس وعلاقاتها مع بلدان المغرب العربي (1947 ـ 1980) أطروحة دكتوراه(مرقونة)، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، تونس 1999، ص، 215.

قد طرحت بعض المشاكل للجمهورية التونسية الفتية فإنها لم تكن بالهاجس المؤثر ولذلك مثلت رعاية اللاجئين الجزائريين أهم جهد إنساني قدم للشعب الجزائري في حربه التحريرية وذلك هروبا من حملات القمع والقتل التي كانت تقترفها القوات الفرنسية بالجزائر، وكانت أهم مراكز للاجئيين الجزائريين بتونس بالولايات الحدودية شأن سوق الأربعاء والكاف وقفصة وحتى في العاصمة تونس[1] .

إن تحليل الأحداث يسمح لنا بملاحظة الحجم الهائل الذي وصل إليه هذا النزوح خاصة في سنة 1956 وبداية 1957 بحيث تعتبر من أهم الفترات التي أطلقت فيها فرنسا واحدة من أوسع عمليات التمشيط في مشطه، ووادي الحوت، وخنقة عون، عين سماي، النحالة، أم العرايس، أم السكك، مهددون ومتابعون كالحيوانات الوحشية من طرف المضليين التابعين للواء "ماسي" والعقيد "بيجار"،آلا لاف الجزائريين الذين يقطنون المناطق المذكورة لجأوا الى تونس للهروب من التعذيب والإهانة والحرائق والموت الذي يزرعه جيش الاحتلال خاصة في المناطق الحدودية ولقد أشارت السلطات التونسية أنه قبل سنة 1956 كان دخول اللاجئين الجزائريين على دفعات صغيرة واستقر هؤلاء في بادئ الأمر على المناطق الحدودية فلقد سجلت المصالح التونسية هذا التواجد الجزائري على التراب التونسي حتى الى بداية سنة 1957 كما يلي:

تونس وضواحيها (4.078 لاجئ)، بنزرت (80 لاجئ)، باجة (274 لاجئ)، سوق الأربعاء(11.000 لاجئ)، الكاف(35.000 لاجئ)، سبيتلة(8.465 لاجئ)، قفصة(10.529لاجئ)، توزر(2.000 لاجئ)، قابس(12 لاجئ)، القيروان(314 لاجئ)

سوسة(511 لاجئ)، كاب بون(166 لاجئ)، صفاقس(718 لاجئ).وكان مجموع اللاجئتين الجزائريين حتى الى هذا التاريخ (1957) أكثر من 73.147 لاجئ جزائري

مع العلم أن هذا التواجد للاجئيين الجزائريين تتضاعف أرقامه من يوم لآخر[2].

1ـ **عميرة علية الصغير**، اليوسفيون...، المرجع السابق، ص، 247.

2 ـ République tunisienne, Secrétariat d'état à L'information, "Le drame des Algériens en Tunisie", .Tunisie 1958, p, 6

,

إن تواجد هؤلاء اللاجئين على الأراضي التونسية قد وجد المساندة الإنسانية الفعلية سواء من الشعب التونسي أو من قبل الحكومة التونسية التي كانت ملزمة بتغذية وإلباس أكثر من سبعين ألف لاجئ ووضع تحت تصرفهم جهاز صحي يرعاهم، فمعظم الذين ينجحون في تخطي الحدود يصلون في حالة إحباط نفسي وجسدي خطير وهذا مما استلزم العناية بهؤلاء الوافدين الى الأراضي التونسية، كما اتجهت الحكومة التونسية الى طلب الإعانة والمساعدة الإنسانية الدولية لتحسين أكثر وضع اللاجئيين الجزائريين في تونس وتمثلت هذه الاتصالات فيما يلي:

1ـ في شخص الأمين العام للأمم المتحدة.

2ـ الاتصال المباشر بالمفتشية العليا للأمم المتحدة للاجئين وإرسال لجنة الى جنييف.

3ـ تقديم شكوى الى الصليب الأحمر الدولي بواسطة الأمين العام للصحة والهلال الأحمر التونسي.

4ـ بالمشاركة في المؤتمر الدولي 19 المنعقد في نيودلهي خلال شهر أكتوبر 1957. هذه المجهودات الجبارة تكللت ببعض النتائج الهامة كانت لصالح اللاجئيين الجزائريين ومن أهم هذه النتائج ما يلي:

1ـ إرسال الصليب الأحمر الدولي لأول بعثة إعلامية برئاسة الدكتور Krieg.

2ـ إرسال المفوضية العليا للأمم المتحدة للاجئين لبعثة يرأسها السيد Rorholt.

مما زاد في خدمة القضية الجزائرية على المستوى الإنساني كذلك[1].

لقد كان "الحبيب بورقيبة" يطالب أن يبقى القطر التونسي، ملجأ للاجئين الجزائريين الذين يجب عليهم فقط أن يتفادوا أي عمل عسكري ضد القوات الفرنسية[2].

هذا بالرغم أن عدد اللاجئين الجزائريين في تونس قد ارتفع الى حدود 230000 لاجئ وذلك مع بداية سنة 1961 حسب التقديرات الفرنسية[3].

1- République tunisienne, le drame … Opcit, p.7.

2- Camille bégué, Une politique de L'homme," le message de Bourguiba",Ed, Hachette de littérature, Paris 1972 , p.23.

3- Gilbert Meynier, Opcit, p.559.

كما قامت الحكومة التونسية بتسهيل عمل جبهة التحرير الوطني وذلك في تأطير اللاجئين وتقديم الإسعافات والخدمات وقدم الهلال الحمر التونسي الإعانات والإغاثات المتاحة (ملابس ، مئونة ، أدوية) لضحايا الحرب التحريرية في الجزائر مع الملاحظ أن العديد من أطفال اللاجئين قد تم استقبالهم وتبنيهم لدى الكثير من العائلات التونسية
وإدراجهم حتى بالمدارس العمومية[1].

كما تكونت في تونس لجنة متخصصة في متابعة موضوع اللاجئين يرأسها وزير الداخلية "الطيب المهيري" الذي كلف بمتابعة هذا الملف وتقديم كل الإعانات الضرورية للاجئيين الجزائريين وأكد المهيري وقوف تونس شعبا وحكومة الى جانب
اللاجئيين الجزائريين وان الشعب التونسي في المناطق الحدودية يتقاسم مع إخوانه اللاجئيين الجزائريين لقمة العيش كما يتقاسمون قنبلة الطائرات الحربية[2].

كما لم يتوانى رئيس الجمهورية "الحبيب بورقيبة" في إرسال نداءا رسميا الى الضمير العالمي واهم ماجاء في هذا النداء:
" ...أنا متأكد أن كل ضمير إنساني حر، أن كل إنسان لديه تقدير للقيم الأخلاقية
والذي لديه قناعات وإيمان، كان مسيحيا، يهوديا، مسلما، بوذي أو مفكر حر، كل إنسان لديه ضمير وحساسية ترفعانه فوق مرتبة الحيوان، لا يمكنه سوى استنكار هذا العمل والتألم له، انه من واجبه التصدي له بالكلمة، بالقلم، بالأفعال أو بأي وسيلة أخرى يمكنه أن يجعل الشر يتراجع...ـ أقول ذلك ليس فقط كتونسي وكرجل يتقاسم حزن كل الناس ولكن كرئيس لهذه الدولة، لأن هذه الكارثة، هذه الفضيحة، هذا العار بدأت تظهر انعكاساته حتى في تونس[3]."
هذا قليل مما قدمه الدستوريون في تونس للقضية الجزائرية من مختلف أوجه المساندات سواء على المستوى السياسي أو على المستوى العسكري وحتى على المستوى الإنساني.

1ـ عميرة علية الصغير، اليوسفيون...، المرجع السابق، ص، 248.
2 ـ Mohamed harbi, les archives , Opcit, p, 416,
3 ـ . République tunisienne, le drame … Opcit, p, 13.

الخاتمـــــــــة:

لم يقتصر وعي النخب التونسية بالانتماء الى نفس المجموعة البشرية مع الشعوب المغاربية على التعاطف مع قضاياها، بل ارتقى التواصل معها الى التضامن والتنسيق النضالي على أكثر من مستوى

وتبنيت لنا هذه الحقيقة التاريخية من خلال هذا العمل المتواضع الذي قمنا بإعداده، فكما رأينا فإن هذا التضامن لحزب الدستور الجديد مع القضايا المغاربية بصفة عامة والقضية الجزائرية بصفة خاصة قد بدأ منذ أن تأسس الحزب وظهر سنة 1934.

لقد حملت هذه النخب الدستورية هموم قضايا المغرب العربي التحررية ودافعت عليها سواء على المستوى الداخلي المحلي أو على المستوى الخارجي، عندما هاجرت وتحملت أعباء المهجر، والبعد عن الأوطان، وأسست مكاتب مغاربية سواء في برلين أو في باريس، أو في نيويورك، أو في دمشق، أو في القاهرة وهذا كله من أجل التعريف بالقضايا المغاربية وما تعانيه الشعوب المغاربية من استبداد استعماري فرنسي، إضافة الى الدور الهام الذي لعبه هؤلاء الدستوريون في عقد مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة(1947)، والذي حضرته شخصيات عربية من المشرق يتقدمها الأمين العام للجامعة العربية " عبد الرحمان عزام"، وبفضل هذه المجهودات لهؤلاء المناضلين الدستوريين كان هناك تضامن فعال وحقيقي لأبناء الأمة العربية في المشرق ومؤازرتهم لإخوانهم في المغرب العربي ولا ننسى في هذا المجال الدور القيادي للأستاذ "يوسف الرويسي" في ربط كيان المغرب العربي وشعوبه بالمشرق العربي وذلك عبر مكتب المغرب العربي في دمشق، وحثه الدائم للجامعة العربية على إدراج القضايا المغاربية في جدول أعمالها، كما لا ننسى الدور السياسي الهام الذي قاده رئيس الحزب "الحبيب بورقيبة" في إيصال هموم شعوب المغرب العربي ومعاناتهم من الاستعمار الى الكثير من دول العالم الغربي وصولا حتى الى الولايات المتحدة الأمريكية أين أنشأ فيها مكتب المغرب العربي في نيويورك سنة 1946.

كما ساهم هؤلاء المناضلون الدستوريون في دعم ومساندة الاتجاه الثوري الوحدوي لحركات التحرر لبلدان المغرب العربي والتي تزعمها بطل مقاومة الريف عبد الكريم الخطابي وذلك بالرغم من اختلاف وجهات النظر في أسلوب التحرر بين هذا المقاوم المغربي ورئيس حزب الدستور الجديد الحبيب بورقيبة ومع ذلك نرى أسماء قيادية دستورية قد وقفت الى جانب عبد الكريم الخطابي وساهمت فعليا في تحقيق مشروعه الثوري الوحدوي المغاربي ومن بين هذه الأسماء نذكر القيادي الدستوري الحبيب ثامر وحسين التريكي، والرشيد إدريس، ويوسف الرويسي، هذا الأخير الذي يعبر عن إكباره الدائم لبطل الريف وقناعته بعقيدة الأمير النضالية وعظيم دوره في دفع حركة التحرر في المغرب العربي هذه القناعة لم تتغير بالرغم من وفاة عبد الكريم الخطابي ومرور عشر سنوات على هذه الوفاة

(وفاته كانت في 6 فيفري 1963)، حيث أكد ذلك من جديد في المؤتمر المنعقد في باريس سنة 1973 حول "محمد بن عبد الكريم الخطابي" فلقد أشاد الرويسي بسمو أخلاق عبد الكريم الخطابي وصدق ثوريته حيث أسر: "لقد عاشرت الرجل وتحدثت معه المرات العديدة ورغم تقدمه في السن بقي محمد بن عبد الكريم الخطابي كما هو وفيا لمثله الثورية لأن هذا الرجل الصغير القامة والمتواضع الهيأة وذو النظرة الهادئة الملائكية والابتسامة البريئة هو ثوري في الصميم وما يؤمن به في هذا الموضوع هو في رسوخ عقيدته الدينية".

وفي الواقع كان اختلاف الحبيب بورقيبة مع محمد بن عبد الكريم الخطابي هو اختلاف "السياسي" مع " المحارب" وهذا لايخص زعيم حزب الدستور الجديد فحسب بل كذلك بقية الزعماء السياسيين في المغرب والتجافي في الحقيقة كان متبادلا بين الطرفين وعبد الكريم منذ أواخر الأربعينات كان لا يخفي حذره وحتى احتقاره لهؤلاء الزعماء السياسيين الذين يدعون تحرير أوطانهم بالمفاوضات والمظاهرات.

لقد كانت هذه الأطر النضالية (كما رأينا) أطر وطنية تلاقت فيها أجيال من المناضلين المغاربة وتعززت ضمنها مشاعر الانتماء الى وطن واحد ولو تغيرت الرقعة الجغرافية واختلفت السبل أحيانا فأسماء مثل الشاذلي خير الله، وأحمد بن ميلاد والطاهر صفر، والحبيب ثامر، وعلي البلهوان، وسليمان بن سليمان، والمنجي سليم والهادي نويرة، والحبيب بورقيبة، ويوسف الرويسي، والرشيد إدريس، والطيب سليم ...من تونس، ومصالي الحاج، وعبد القادر الحاج علين وفرحات عباس، وبومنجل والشاذلي المكي، وأحمد بن بلة، وأحمد توفيق المدني، والدكتورلمين دباغين.. من الجزائر ومحمد بن حسن الوزاني، وأحمد بلا فريج، ومحمد علال الفاسي، وأحمد بن جليل، وعبد المجيد بن جلون، ومحمد بن عبود، وعبد الخالق الطريس ...من المغرب الأقصى، وغيرهم كثيرين من المناضلين المغاربة والذين قادوا العمل الوطني اشتركوا في فترة ما في أعمال نضالية من المؤتمرات والندوات وإصدار اللوائح والعرائض والنشريات والقيام بالدعاية الضرورية للتعريف بالقضية الوطنية في كلا الأوطان الثلاثة عبر بلدان عديدة من أوروبا الى أسيا وأمريكا، وقد ارتقى التنسيق النضالي بين حركات التحرر الثلاث في الخمسينات الى درجة أرقى حيث خيضت المعارك الحاسمة في التحرر.

أما فيما يخص القضية الجزائرية فإن الكثير من زعماء الحركات الوطنية والمقاومة سواء من الجزائر أو من الحزب الدستوري التونسي قد اشتركوا في فترة ما في أعمال نضالية وتكونت بينهم لحمة رفاقية وإرادة فعلية لتوحيد جهودهم ضد العدو المشترك وبناء

المستقبل الواحد رغم التباينات أحيانا، فمواقف هذا الحزب كانت واضحة ومؤيدة لكفاح الشعب الجزائري وحقه الطبيعي في استرجاع حريته واستقلاله كما أدان زعماء هذا الحزب (بالرغم من انقسامهم) الأعمال الوحشية الاستعمارية الممارسة في حق هذا الشعب وطالبوا الهيئات العربية والإسلامية وحتى الدولية بضرورة التدخل لوقف سياسة الإبادة التي تطبقها فرنسا في الجزائر والتعجيل بمنح الشعب الجزائري حريته واستقلاله، ولم يكتف الدستوريون بهذه التنديدات فحسب بل دعموا الثورة الجزائرية حتى على أرض الواقع عندما أصبحت أرض تونس في الكثير من الأحيان أرض مفتوحة لنشاط مجاهدي جيش التحرير الوطني الجزائري بل واشتركت الكثير من الفصائل التونسية (المعارضة اليوسفية) الى جانب إخوانهم الجزائريين في معارك التحرير ضد القوات الفرنسية وفي تهريب الأسلحة من ليبيا عبر الأراضي التونسية الى جيش الحدود وصولا حتى الى مناطق الثورة، إن مشاركة العشرات ان لم يكن المئات من التونسيين في حرب التحرير الجزائرية، واستشهاد الكثير منهم على أرض الجزائر إضافة لمساعدة جبهة التحرير بمدها بالأخبار والمعلومات على "العدو" والقيام ببعض المهمات الخاصة كإيواء وحدات جيش التحرير، واستقبال الجرحى من المجاهدين، كل ذلك يعتبر أسمى مظاهر التضامن، كما كانت تضحيات سكان الحدود كبيرة تعرضوا خلالها لحملات انتقامية من الجيش الفرنسي من القتل الى التشريد، ولم تقتصر مساندة القضية الجزائرية على الصعيد السياسي والعسكري بل شملت كذلك الجانب الإنساني وساهمت فيه الحكومة التونسية وعامة الشعب التونسي إيمانا بواجب التضامن مع إخوة تجمعهم بهم روابط الدين والتاريخ والعرق.

وفي الختام نحاول أن نجيب عن إشكال كنا أثرناه وأرجأنا الإجابة عنه وهو لماذا ارتد اليوم الوعي الوطني الوحدوي في بلدان المغرب العربي؟ من ذاك السخاء الحاضن لكل بلاد شمال إفريقيا وتصور مستقبل المغرب المحرر وطنا واحدا الى تمثل ضيق للوطن وفي حدوده الصغيرة والموروثة على الاستعمار، ودون الإفاضة نرى أن ذاك مرده أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، ففي الأسباب الذاتية نرى أنه وان حصل فعلا رغبة وطموح صادقان لدى الشعوب وحتى عديد القيادات في خضم الصراع مع المستعمر في توحيد المغرب فإن ذالك كان مرتبطا بقضية الاستعمار والخطاب التوحيدي كان من أدوات محاربته وبانتهاء الاستعمار انتهت أسباب وجوده، ثم إن الخلافات التي جدت منذ أواخر الأربعينات وخاصة بداية الخمسينات بين دعاة التوحيد والعروبة والإسلام والارتباط بالشرق ودعاة المرحلية والطرق

الدبلوماسية والوطنية الضيقة والارتباط بالغرب زادت من حدة هذه الاختلافات واتسعت دائرتها أكثر بعد تشجيع الاستعمار لهذا الاتجاه الأخير لذلك فإن استقلال البلدان الثلاثة حسمت لصالح كل من تونس والمغرب وبدعم من فرنسا باعتبار أن صيغ استقلال المغرب العربي كان الطرف المحدد فيها والمحدد لها هي فرنسا ، ثم إن القيادات السياسية التي تسلمت السلطة في بلدان المغرب العربي لم تزدها المشاكل الحدودية والاختيارات الاقتصادية والثقافية إلا قناعة بضرورة الانكفاء وإدارة الظهر للدولة المجاورة خاصة وأن حكومات الاستقلال كلها لم تتميز لا بديمقراطيتها ولا باستشارة شعوبها.

البيبلـــيوغرافـــيا

المصادر:

الأرشيف:

بالعربية:

الأرشيف الوطني الجزائري، جريدة المغرب العربي، الأعداد: 21، 35، 41.

الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 205، ملف 70، وثيقة رقم 06

بالفرنسية:

- SHAT, S/S. Tunisie, C. 2H311, f. 219.
- SHAT, S/S. Tunisie, C. 2H 311, f. 222, 230.
- SHAT, S. 507, Tunisie 2H 314. n.f
- SHAT, S.2H310(S.503),2H311(S.504)
- SHAT, S.2H312(S.505),2H30 (S.503)

الكتـــب:

1- المصادر

***- باللغة العربية:**

1- **ابن عبود وجاك كاني**، مؤتمر المغرب العربي 1947 وبداية نشاط مكتب المغرب العربي في القاهرة، عملية ابن عبد الكريم "المجلة التاريخية المغاربية"، عدد 25، 26، منشورات مؤسسة التميمي،تونس 1982.

2- **إدريس،الرشيد**، ذكريات عن مكتب المغرب العربي بالقاهرة، الدار العربية للكتاب، تونس، مارس 1981

3- **بلخوجة،الطاهر**، الحبيب بورقيبة سيرة زعيم شهادة على العصر، الدار الثقافية للنشر، القاهرة 1999.
4- **بورقيبة،الحبيب**، حياتي، آرائي، جهادي، منشورات كتابة الدولة للإعلام، تونس 1978.

5- = = = = = =، خطب ، طبع وزارة الإعلام التونسية، تونس 1981.

6- = = = = = =، مقالات صحفية 1929/1934، دار العمل للنشر والتوزيع

والصحافة، تونس 1979.
7- = = = = = =، بين تونس وفرنسا ،المطبعة الرسمية، تونس 1957.

8- **البهلوان، علي**، تونس الثائرة، لجنة تحرير المغرب العربي، دار الكتب الوطنية، تونس 1954.
9- **ثامر، الحبيب** ، هذه تونس، دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت، لبنان 1988
10- **الثعالبي، عبد العزيز**، تونس الشهيدة، ترجمة حمادي الساحلي، مراجعة محمد لعروسي، ط2، دار الغرب الإسلامي، تونس 1987.
11- الجندي، أنور، عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية 1879

/1944، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1984
12- جوليا ن، شا رل أندري، افريقيا الشمالية تسير ، ترجمة المنجي سليم، الدار التونسية للنشر، تونس 1976.
13- حربي، محمد ، الوطنيون الجزائريون والمغرب العربي 1928 ـ 1954، وحدة
المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ط1 بيروت (لبنان) 1987
14-الرويسي، يوسف ، كتابات ومذكرات يوسف الرويسي السياسية، منشورات
منشورات مؤسسة التميمي، زغوان،تونس 1995 .
15- = = = = = = = = مذكرات يوسف الرويسي، "المجلة التاريخية المغاربية"، عدد
15-16، تونس 1979

16- **شيبوب، الحبيب**، مع بورقيبة: أحاديث وذكريات: سلسلة أبعاد، دار البستان للنشر، تونس 2003.
17- الفاسي،علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط1، لجنة الثقافة

الوطنية لحزب الاستقلال، مراكش، مطبعة الرسالة، القاهرة 1948.
18- **فتحي، الديب** ، عبد الناصر والثورة الجزائرية، دار المستقبل العربي
القاهرة،(مصر) 1984.
19- **محجوبي، علي** ، جذور الحركة الوطنية التونسية (1904 – 1934)، تعريب، عبد الحميد الشابي، بيت الحكمة، قرطاج، تونس 1999
20- **المدني، أحمد توفيق،** حياة كفاح (مذكرات) الجزء الثاني في الجزائر1925 ـ 1954، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1977.

21- = = = = = = = =، حياة كفاح، الجزء الثالث، مع ركب الثورة الجزائرية،
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.
22- **الميلي، محمد،** مواقف جزائرية، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1
الجزائر1984

باللغة الفرنسية:

1- Ben khedda, Benyoucef, La Fin de la guerre d'Algerie, LES ACCORDS DEVIAN, 2Ed Enap, Alger 1988.p,17

2- **Bourguiba**, **Habib La Tunisie et la France**, Ed,guillard,Paris 1954
3- Kaddache, Mahfoud, Histoire du Nationalisme Algérien, Question Nationale et Politique Algérienne (1919 – 1951),T: II,SNED, Alger1980;
4- Lebjaoui, **Mohamed**Vérités sur la Révolution algérienne,Gallimard, Paris1970, p, 134.
5- Meynier,**Gilbert** histoire intérieure du F.L.N. 1954 – 1962, ed, CASBAH, Alger 2003, p, 618
6- harbi, Mohamed, les archives de la révolution algérienne, les éditions jeune Afrique,1981
7- **Nezzar, khaled**, Récits de combats, geurre de libération nationale, 1958-1962,Ed, chihab alger 2000, p,p, 135-136
8 .- Ageron,**CharlesRobert.** l'Algérie algérinne de naopoleon III à Degaulle, Ed,Sindabad, Paris 1980, p.173.
9- **République tunisienne**, **Secrétariat d'état à L'Information**, Le Drame des Réfugiés Algériens en Tunisie, Tunis 1958.

الشهادات:

- **الطود، عبد السلام الهاشمي،** "جذور التنسيق .....شهادة مؤسس"، جيش التحرير المغاربي 1948 ـ 1955، أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف الجزائر 11 ـ 12 ماي 2001، مؤسسة محمد بوضياف 2004.

- **القاضي، بشير**، المسيرون المغاربة، الاتفاق والاختلاف، جيش التحرير المغاربي 1948 ـ 1955 ، أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف الجزائر 11 ـ 12 ماي 2001، مؤسسة محمد بوضياف 2004.

- **مروش، منور،** المناضلون المغاربة في القاهرة والكفاح المسلح في الجزائر، "جيش التحرير المغاربي 1948 ـ1955. أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف الجزائر 11 ـ 12 ماي 2001، مؤسسة محمد بوضياف 2004.

- **مهري، عبد الحميد،** أحداث مهدت لفاتح نوفمبر 1954، مجلة الأصالة، عدد خاص، 22 رمضان 1394، الموافق ل نوفمبر/ ديسمبر 1974، الجزائر 1974.

المراجع

باللغة العربية:

1-أومليل، لعلي ، النخبة الوطنية وفكرة المغرب العربي، ندوة وحدة المغرب العربي،
منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت (لبنان) 1987.

2-بلقاسم، محمد ، القاعدة الخلفية للثورة بليبيا، القواعد الخلفية للثورة الجزائرية، الجهة
الشرقية 1954 ـ 1962، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في
الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر 2007.

3-البوني،عفيف ، تطور الوعي القومي في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية
ط 1، بيروت 1986

4- بن يوسف،عادل ، مقدمة لدراسة مساهمة الحكيم حافظ إبراهيم في النضال ضد
الإستعمارالفرنسي بشمال إفريقيا، "المجلة التاريخية المغاربية"،عدد 102 ـ
103 منشورات مؤسسة التميمي، مارس 2001، ص. 93.

5-التميمي، عبد الجليل ، مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة ودوره في بلورة السياسة
المغاربية لحركات التحرر، المجلة التاريخية المغاربية،

منشورات
مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، عدد89، تونس 1998
6-= = = = = = =، مع أصول الثورة الجزائرية وتوظيف مبادئها ،الملتقى الدولي
الجزائري (24 ـ 28 نوفمبر 1984) الثورة الجزائرية وصداها في العالم،
المركز الوطني للدراسات التاريخية، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.

7-= = = = = = = ، رسائل جديدة للمرحوم يوسف الرويسي، المجلة التاريخية
المغاربية، عدد28، منشورات مؤسسة التميمي، تونس 1982.
8- حداد، سالم ، صراع الهوية بين الأنا والآخر، الأطلسية للنشر، تونس 2000.

9-حمدان، محمد ، أعلام الإعلام في تونس *1860 – 1956*، مركز التوثيق القومي، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس 1991
10-حمزة، رؤوف ـ نبذة عن إبراهيم محمد حافظ، جيش تحرير المغرب العربي 1948ـ.
1955 أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف الجزائر 11 ماي، 2001
11-الخرفي، صالح ، في رحاب المغرب العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ
لبنان 1985.
12- الزبيري،محمد العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المؤسسة الوطنية
للفنون المطبعية، الجزائر 1985
13- **الدقي، نورالدين**، تنظيم الحكم بتونس في فترة الحماية الفرنسية 1881-1956، دار الكتب الوطنية للتوثيق والاعلام، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس 1986
14-الذوادي، زهير، تحولات العمل الوطني التونسي في سنوات الثلاثينات *1929 – 1939*، الأطلسية للنشر، تونس 2003.
15- = = = = = = ، الوطنية وهاجس التاريخ في فكر الشيخ عبد الثعالبي، المطابع الموحدة، مجموعة مراس، تونس 1995.
16- السوفي، عمار ، عواصف الاستقلال "رؤية في الخلاف اليوسفي ـ البورقيبي" حذوره وتداعياته، دار الكتب الوطنية للتوثيق والإعلام، تونس 2006.

17- السعيد، الصافي ، بورقيبة سيرة شبه محرمة، دار الريس بيروت (لبنان) 2000
18-عادل، بن يوسف ، النخبة العصرية التونسية، طلبة الجامعات الفرنسية 1856- 1880
دار الميزان للنشر تونس 2006
19-عزيز، عبد الكريم ، نضال شعب أبي. تونس *1881- 1956*، مركز النشر الجامعي، تونس 2001.

20- العقاد، صلاح ، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو- المصرية، ط 6، القاهرة 1993
21-علية الصغير، عميرة ، جيش التحرير الوطني التونسي حقيقته ومصيره، جيش التحرير
المغاربي 1948 ـ 1955، أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر
11ماي، 2001.
22-علية الصغير، عميرة ، اليوسفيون وتحرير المغرب العربي، المغاربية للطبع والإشهار، تونس 2007.
23- ========== ، "النخبة في تونس والقضايا العربية فيما بين(1920) –1925"
. (أعمال الندوة العاشرة حول المغرب العربي في العشرينات)، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية التونسية، تونس 2001
24-العمري، مومن ، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال افريقيا الى جبهة التحرير
الوطني 1926 /1945، دار الطليعة قسنطينة 2003.
25-المتزكي، نوال ، الأحزاب الوطنية المغربية ومكتب المغرب بالقاهرة، جيش التحرير
المغاربي 1948ـ1955، أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف الجزائر 11 ماي، 2001.
26- الجابري، محمد عابد ، فكرة المغرب العربي أثناء الكفاح من أجل الاستقلال، "ندوة
وحدة المغرب العربي" ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1، بيروت، لبنان 1987
27- مناصرية، يوسف ، قوات جيش التحرير الوطني المتمركزة على الحدود الشرقية،
القواعد الخلفية للثورة الجزائرية، الجهة الشرقية 1954 ـ 1962، الملتقى الدولي
لنشأة وتطور جيش التحرير الوطني، الأوراسي 2، 3، 4، جويلية 2005، منشورات

وزارة المجاهدين، الجزائر 2005.
28-هشام، رشيد هارون ، جامعة الدول العربية ، دار سراس للنشر، تونس 1980.

الرسائل الجامعية

1- **العربيي، عبد القادر**، تونس وعلاقاتها مع بلدان المغرب العربي (1947 ـ 1980) أطروحة دكتوراه(مرقونة)، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، تونس ،1999

2-**محمد، بلقاسم**، الإتجاه الوحدوي في المغرب العربي(1910 -1954)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ جامعة الجزائر 1994.

3- **مريم، صغير**، مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية 1954-1962، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ جامعة الجزائر، 1997.

المراجع

*- باللغة الفرنسية:

1- **Aleya Sghaier, Amira**, les tunisiens et la revolution algerienne 1954-1958, in Méthodologie de 1'histoire des mouvements nationaux aux Maghreb, Zaghouan, FTERSI, Tunis, 1998.
2- **Begué**, **Camille**, *Une politique de l'homme*, "Le message de Bourguiba", Ed, Hachette litterature, Paris 1972
3- Belkhoudja Tahar, *Les trois decennis de Bourguiba*. Ed, Arcanteres/publisud-condé sur noireau 1998.
4- **Camu(M). Seraieb(N)**, Elites, pouvoir et légitimité au Maghreb. Ed, Centre national de la recherche scientifique, Paris 1973.
5- djerbal, Daho, alliances et mésalliances tunisiennes ou les relations algéro- tunisienne vues pare -4 le.f.l.n.1954-1958, LARMEE DE LIBERATION DU MAGHREB1948-1955,
6- Gros, Simone, La politique de Carthage Abadon ou Sauvegarde, ed, Union franco- tunisienne, librairie plou, paris 1958, p.253
7-,Guentari, Mohamed, organisation Plitico-Administrative et militaire de la révolution algérienne,de 1954 à 1962, Ed, O.P.U. Alger2000, p, p, 305, 308.
8- **Rossi, Pierre**, *La tunisie de Bourguiba*, Ed, Kahia, Tunis 1967.

9- Sayah, Mohamed, le nouvel etat, aux prises avec le complot yossefiste 1956 – 1958. Op-c, p, 489.
10- Toumi, Mohsen, La Tunisie. pouvoirs et luttes, Ed, le sycomore, paris1978
11- **Zmerli, Sadok**, *Les Figures Tunisiennes successeurs*, Ed, maison Tunisien de l'édition, Tunis 1967.

القواميس:

1- باللغة العربية:

- **المنجد في اللغة والأعلام**، ط 24، دار المشرق بيروت، لبنان 1986.

2- باللغة الفرنسية:

- **Le Petit Robert2**, ed,S.N.L Le Robert, Paris 1984

الجرائد والمجلات:

- **جريدة المنار**، عدد، 11، عدد 11. 09ربيع الأول 1368 / 11 فيفري 1949.
=====، عدد، 19، 02 رجب 1371 / 28 مارس 1952.
جريدة الصباح، عدد 1125، 24 أوت 1955.
==========،عدد 1164، 4 أكتوبر1955.
==========،عدد 1165، 09 أكتوبر 1955.
==========،عدد 1168، 13 أكتوبر 1955.
==========،عدد 1169، 14 أكتوبر 1955.
==========،عدد 1199، 19 نوفمبر 1955.
==========،عدد 1254، 21 جانفي 1956.
==========،عدد 1273، 12 فيفري 1956
==========،عدد 1308، 24 مارس 1956.
==========،عدد 1329، 18 أفريل 1956.
==========،عدد 1336، 26 أفريل 1956.
==========،عدد 1339، 29 أفريل 1956.
==========،عدد 1453، 14 سبتمبر 1956
==========،عدد 1459، 21 سبتمبر 1956.
==========،عدد 1488، 25 أكتوبر 1956.
- **جريدة المغرب العربي**،عدد 22، 17 ربيع الثاني 1367، الموافق 02 فيفري1948.
- =========، عدد 35، 24محرم 1368، الموافق 26 نوفمبر1948.

- ==========، عدد 41، 12 ربيع الأول 1368، الموافق 11 فيفري 1949 .
- **جريدة العمل**، عدد 22، 18 نوفمبر1955.
- ========، عدد78، 24 جانفي 1956.
- ========، عدد 209، 26 جوان 1956.
- ========، العدد 218، 06 جويلية 1956.
-**جريدة الرائد التونسي** 02 شعبان 1298، 29 يونيو الإفرنجي سنة 1881.
- **المجلة التاريخية المغاربية**، عدد 15 ـ 16، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس1979
- ==========، **عدد 25 ـ 26**، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس1982
- ==========،عدد 28 ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس1982
- ==========، عدد 97ـ 98 منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، **تونس** 2000
- ==========، عدد 102، 103 منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، **تونس** 2001..
- ==========، عدد 109 . منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، **تونس** 2003.

*- <u>المؤتمرات والملتقيات والندوات:</u>

1 - **أعمال الملتقى الدولي الجزائري**، (24 - 28 نوفمبر 1984)، <u>الثورة الجزائرية وصداها في العالم</u>، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر 1985.
2 - **أعمال الندوة الدولية** حول " <u>وحدة المغرب العربي</u> " مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان) 1987.

3- **أعمال المؤتمر العالمي 1999.** "<u>الحبيب بورقيبة وانشاء الدولة الوطنية</u>"، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس 2000
4- **أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضيا ف الجزائر 11 - 12 ماي 2001**، <u>جيش التحرير المغاربي 1948 - 1955</u>، مؤسسة بوضياف، الجزائر2004

5- **أعمال الندوة الدولية العاشرة** حول: "المغرب العربي في العشرينات" منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 2001.
6- **أعمال الملتقى الدولي،** لنشأة وتطور جيش التحرير الوطني، الأوراسي 2، 3، 4
4، جويلية 2005، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر 2005.

الأنترنيت:
- http//:www.stratisc.org/his-mil_index.htm

الفهـــــرس

المقدمة 01
الفصل الأول: **الأوضاع العامة للحركة الوطنية التونسية من حزب تونس الفتاة الى الحزب الدستوري الجديد.....7**
1-حزب تونس الفتاة وقضية الزلاج 10
2- نشأة الحزب الدستوري الحر وبرنامجه 13
3- انقسامات الحزب الدستوري الحر ومولد الحزب الدستوري الجديد.....18
الفصل الثاني : **حزب الدستور الجديد في القاهرة(1947)ودوره في القضايا التحررية المغاربية**
1-مؤتمر1937 ووصول الحبيب بورقيبة الى رئاسة حزب الدستور الجديد.....39
2- هجرة الحبيب بورقيبة وقادة الحزب الدستوري الجدد الى القاهرة وتبني سياسة
" العمل المغاربي
الموحد" 43
3- حزب الدستور الجديد ودوره في انعقاد مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة.....48
4- حزب الدستور الجديد ودوره في إنشاء مكتب المغرب العربي بالقاهرة.....55
5- حزب الدستور الجديد ودوره في بعث لجنة تحرير المغرب العربي.....61

6- زعماء الحزب الدستوري الجديد بين الاتجاه "الوحدوي المغاربي" والاتجاه
"القطري التونسي".....66
الفصل الثالث : **حزب الدستور الجديد والقضية الجزائرية (1954 ـ 1956)**
1-المساندة السياسية لحزب الدستور الجديد للقضية الجزائرية.
أـ موقف الأمانة العامة لحزب الدستور الجديد.....ـ77
ب ـ موقف الديوان السياسي لحزب الدستور الجديد.....82
2- المساندة العسكرية لحزب الدستور الجديد للثورة الجزائرية.
أـ الأمانة العامة(المعارضة اليوسفية) ومساندتها العسكرية للثورة الجزائرية..95
ب ـ الديوان السياسي(الحكومة التونسية) ومساندتـها العسـكرية للثـورة.
الجزائرية.....104
3- المساندة الإنسانية لحزب الدستور الجديد للاجئين الجزائريين.....108
الخاتمة.....ـ112
الملاحق.....117
البيبيوغرافيا.....ـ147

الملحق رقم : 04

المقيمون العـــــــامون:

Paul Cambon 1882-1886
Justin Massicault 1886-1892
Charles Rouvier 1892 1894
René Millet 1894-1900
Stephen Pichon 1900-1906 .
Gabriel Alapetite 1906-1918.
Etienne Flandin 1918-1920.
Lucien Saint 1921-1929.
François Manceron1929-1933.
Marcel Peryouton 1933-1936
Armand Guillon 1936-1938.
Erik Labonne 1938-1940.
Amiral jean- Pierre Estéva1940-1943.
General Charles Mast 1943-1947
Jean Mons 1947-1950
Louis Périllier 1950-1951
Jeans de hautecloque 1952-1953
Pierre Voizard 1953-1954
Pierre boyer de Latour 1954-1955

__المصدر: **نور الدين الدقي،** سلسلة وثائق ونصوص من تاريخ تونس المعاصر تنظيم الحكم بتونس في فترة الحماية رنسية "1881 - 1956"
دار الكتب الوطنية للتوثيق والإعلام، تونس1986.
ص، 191 الى 211.

الملحق رقم : 04

المقيمون العـــــــامون:

Paul Cambon 1882-1886
Justin Massicault 1886-1892
Charles Rouvier 1892 1894
René Millet 1894-1900
Stephen Pichon 1900-1906 .
Gabriel Alapetite 1906-1918.
Etienne Flandin 1918-1920.
Lucien Saint 1921-1929.
François Manceron1929-1933.
Marcel Peryouton 1933-1936
Armand Guillon 1936-1938.
Erik Labonne 1938-1940.
Amiral jean- Pierre Estéva1940-1943.
General Charles Mast 1943-1947
Jean Mons 1947-1950
Louis Périllier 1950-1951
Jeans de hautecloque 1952-1953
Pierre Voizard 1953-1954
Pierre boyer de Latour 1954-1955

__المصدر: **نور الدين الدقي،** سلسلة وثائق ونصوص من تاريخ تونس المعاصر تنظيم الحكم بتونس في فترة الحماية رنسية "1881 - 1956"
دار الكتب الوطنية للتوثيق والإعلام، تونس1986.
ص، 191 الى 211.

حاولت الظفر بحل وسط يتفق وكرامة فرنسة ، **اى حل مبنى على التوازن** ، تعتبر فيه مطامح الشعب التونسى الشرعية حق اعتبارها لانها طبيعية ، وتصان به فى آن واحد مصالح البلاد الفرنسية الحيوية الثابتة ٠

فان هذا التجانس فى تكويننا الفكرى وفى « وسائل الكفاح » هو الذى دفعنى الى مكاتبتك لعرض مرثاى وملاحظاتى فى شان موقفك من القضية الجزائرية ، وذلك فى كنف **السر الكامل** ٠

نعم قد جاهدت طيلة عشرين سنة فى سبيل نظام مقام على المشاركة بين فرنسة وتونس فى نطاق الواقع القانونى الذى فرضته هى علينا وهو الحماية ٠ لانى كنت اعتقد ان تلك المشاركة اذا اريد العمل بها عملا صادقا نزيها ، سوف لا يكون منها الا السير بنا الى **الاستقلال** وان الاستقلال المحقق على تلك الصورة لا يكون منه الا توثيق روابطنا بفرنسا ، لما فيه من العدول عن القوة الغاشمة وادراك مصالحنا المتضامنة ومما يؤسف له ان فرنسة ، على يقينها فى الجملة بصدقى امتنعت او احجمت عن مسايرتى فى هذه السياسة ، ذلك ان هناك مصالح هامة وكبرياء عنصرية طاغية لم تنفك عن مصادرة كل محاولة لتوجيه السياسة الفرنسية فى البلاد التونسية توجيها اقرب الى الحرية واعلق بالواقع ٠ وان الفرنسيين يعتقدون فى قرارة انفسهم ان الصيغ القانونية ، كالحماية والوصاية الخ٠٠٠ انما هى ذريعة كفتهم مؤونة اكتساح البلاد عنوة ، وان الغاية من وجودهم فيها ليست هى اصلاح الدولة التونسية او اعانة الامة التونسية على بلوغ رشدها ، بل هى تصيير تونس ذيلا لفرنسة ومقاطعة فرنسية جديدة ٠

وبعد سلوك هذه السياسة طيلة ستين سنة ، ظنوا انهم قد بلغوا تلك **الغاية** او على وشك بلوغها ٠ لذلك تراهم يصرون على متابعة سياسة التصرف المباشر بدون تبديل ولا تغيير ، قصد ابتلاع الافراد واستلحاق التراب ٠ وهم لا تطمئن نفوسهم ، ان لو جربوا سياسة

غيرها ، الى ضياع غنم ستين سنة بذلوا فيها جهودا كبارا ، وسلوك مسلك يؤول بهم حتما الى ترك مراكز اساسية كم صرفوا من الجهد والمجهودات لافتكاكها من اصحابها الشرعيين . بل ان مجرد قسط السيادة يظهر ، فى نظر من يجمع بيده كامل السلط ، من الخذلان الذى لا قبل له على تحمله ، ولا يقدم فرنسى مسؤول على الرضى به طوعا . لكن فى مابين ذلك ـ وهذا ما لا يريد الفرنسيون ان يفتحوا له اعينهم ـ اخذ الشعب يزداد شعورا بنفسه يوما فيوما ، وينظم صفوفه للمقاومة ويطالب بشدة متزايدة بحقه الشرعى فى تسيير شؤونه بنفسه وفى العيش كغيره من بقية الامم عيشة الحرية والكرامة .

من ذلك اتت الاصطدامات التى تزداد عنفا على مرور الايام والتى تميز بها تاريخ تونس ، بل تاريخ الشمال الافريقى ، اثناء الخمس عشرة سنة الاخير . فانه ، بين الغاصب الذى استحوذ على الكل وابى ان يتنازل عن اى شىء والشعوب التى عقدت عزما لا تزيده الايام الا ثباتا على الدفاع عن حقها فى الحياة لا مهرب من الاصطدام . ولا شك فى ان المعركة ستكون طويلة قاسية . زد على ذلك ان فرنسة تعتقد كلما يطرأ اضطراب ، انه الاخير وانه بزيادة تنظيم الزجر وتشديده تظفر بالسلام ، اى ان سير الابتلاع يستانف بصورة ايسر من ذى قبل . فهى لا تريد ان تنظر الى الحقائق البشرية ، ولا تريد ان تحسب لتطور الاحداث الحتمى حسابه، ولا تريد ان تعمد الى ما تقتضيه الضرورة من التنازل، فتنسجم مع الواقع فى تقلباته وتدرأ عن نفسها اخطار المباغتات وما دامت لها القوة الكافية لكبت المطالبات والحركات القومية فهى تستعملها وتفرط فى استعمالها . وهى تؤثر ان تعيش هكذا فى حالة حرب عوان مع شعوب شمالى افريقية الثلاثة

على ان تعيد النظر فى جملة القضية على ضوء الحوادث وتوجه سياستها توجيها جديدا جديا ·

وهى فى ذلك بعيدة ـ ويـا للاسف ـ عما امتاز به الانقليـز من ادراك الحقائق العملية ·

واذ كان كذلك فلم يبق لشعوب شمالى افريقية الا احدى اثنتين ، اما الخضوع والاندماج فى الامة الفرنسية ، او رفع السلاح ، اى السعى الى الهزيمة الكاملة المؤدية حتما الى الاندماج كرهـا طـال الزمـان ام قصـر ·

لذلك كان لزاما على الحركات الوطنية التى يقصد بهـا النهـوض بالشعـوب ان تعمل على الحلـول الـوسطى · غيـر ان فرنسة ـ يـا للمصيبة ـ عازمة على محق كل عمل من شانه تعطيل سير الادماج او الابطاء به · فهى تحتاط من الحركات المعتدلـة ، وتسلط عليهـا من الزجر ما لا تسلطه على الحركات المتطرفة ، اذ تراها اشد خطرا بقدر ما هى اقرب نتيجة · وهكذا نرجع ، هنا ايضا ، الى عين الحالة الاولى والى نفس الخيار الذى بيناه ·

وقد صارت علائقنا مع فرنسة ترجع الى نسبة القـوات المتواجهة ، والقوة كانت على ما يظهر من جانب فرنسة دواما واستمرارا · لذلك كانت حركتكم فى نظرى ترمى الى اقصى ما يمكن للجزائر فى العهد الماضى ان تطالب به فرنسة · ولكن منذ ذلك العهد قد طرأت على كثير من الاحوال تغييرات عديدة · ولا يستطاع الجزم ، اليوم وقد اتسع وعى الراى الاممى يوما فيوما ، بان القوة باقية من جانـب فـرنسة الى الابـد ·

فان تزاحم الدول الاجنبية حول هذه القاعدة الرائعة المتكون منها الشمال الافريقى قد اخذ يبـدو فى شـدة نادرة · اذ زيـادة على ما امتازت به تلك الاقطار من الموارد التى تكـون لا حد لهـا لو احكـم

استغلالها ، وزيادة على سوقها الهامة التى تشمل عشرين مليون مستهلك يحققون ازدهارها اذا ما ارتفع قليلا مستوى معاشهم ، قد توفر فى موقعها نفسه من الخاصيات ما يجعل لها قيمة استراتيجية عديمة المثيل ، سواء فى الدفاع عن الشق الغربى او فى السيطرة على البحر المتوسط · وقد تجلت فعلا تلك القيمة اثناء الحرب العالمية الثانية بما لا يدع للشك مجالا ·

وهو ما تنبهت اليه فرنسة وايقنت به كل اليقين ، اذ تراها فى كل المناسبات تشهر بسعايات ودسائس انقلتيرا فى « بعض جهات امبراطوريتها » ، وتحاول فى الحين نفسه الترويج على الحركات الوطنية بلائحتها المشهورة الرامية الى تكوين « الاتحاد الفرنسى » ذلك الاتحاد الذى يرفضه الوطنيون واحزاب الاستعمار معا ، والذى لا نجنى من ورائه على صورته الآن الا الانهيار كرها فى صلب فرنسة **والارتباط النهائى بمصيرها ، المحفوف بالاخطار المتزايدة يوما فيوما بعد الوهن الذى الحقه بها قصور مسيريها وعجزهم عن مسايرة الايام ·**

وهناك ايضا حادث آخر جد عند انتهاء هذه الحرب وسيكون له اثر لا محالة فى توجيه المغرب العربى ، وهو ما تبذله الدول العربية من الجهود فى سبيل الوحدة السياسية فى نطاق نظام فيديرالى مبنى على التفهم الواسع · وكأنى بهذه الحركة ستغير وجه العالم العربى وآثارها على عرب شمالى افريقيا فى الميدان النفسانى بادية للعيان ·

ومنذ الآن قد كان من مفعول تلك الحركة فى هذا الميدان ان اوهنت تيار الادماج وهنا خطيرا وخرمت سيره بل قلبته ظهرا على عقب · وبالرغم من السدود الحديدية التى اقامتها فرنسة حول المغرب فقد اصبح تاثير الدول العربية يزداد يوما فيوما بصورة واضحة بفضل الاذاعات اللاسلكية والتسريبات السرية · وقد كان من النشاط الذى دأبت على بذله هنا بدون كلل ان عجل بتطور الافكار فى البلاد التونسية خصوصا وفى المغرب عموما · واخيرا قد تمكنا بما كونته من الاتصال الاكيد بينى وبين قادة الدستور وخصوصا بما نضمناه من التاليف

السديد بين نشاطى بالقاهرة ونشاط رفاقى بتونس ، من خلق تيار روحانى فى الشعب التونسى وكذلك بين شعوب شمالى افريقية الثلاثة فلن يتاح لفرنسة اذا ان تعلل نفسها بامل اقحام عرب المغرب فى صلب « ام الوطن » مهما طال الزمن .

وما قصرت عنه يدها عندما كانت حرة فى تصرفاتها ، وعند ما كان العالم العربى خليطا من شعوب مشتتة عديمة الادراك لا تربط بينها رابطة ، فهى لن تتمكن منه اليوم وقد شعر العالم العربى بوحدته ، وقد وقفت بابوابها دول عربية بلغت الاستقلال الكامل او بعض الاستقلال مطالبة اياها بالحساب فى لهجة تزداد شدة يوما فيوما عما ارتكبته من ضروب القساوة والعنف . وما لا قبل لها بانجازه اليوم ، فمن باب اولى واحرى الا تنجزه غدا . لان الايام معنا . وقد تنزل بفرنسة خطير المباغتات اذا لم تاخذ بالحيطة . وها قد لاح منذ الآن شبح « البيون الخادعة » من وراء الشرق العربى .

نعم لم تبلغ بى سذاجة الفكر الى اعتقاد ان الدول العربية مهما كان حسن استعدادها ستعمد الى مقاومة فرنسة لاعانتنا . ولكن الواقع هو ان العالم العربى اليوم كل لا يتجزا ، وان بعض الدول خصوصا انقلترا فى حاجة اليه .

ومن المتوقع ان جامعة الدول العربية سوف يبلغ بها الامر فى النهاية الى خلق ذريعة لانقلترا او لغيرها من الدول للقيام بدسائسها فى كامل شمالى افريقية . وسيكون مستقبل ليبيا من العناصر الاساسية فى هذا المضمار . فانقلترا يظهر انها عاملة فى جد على توطيد مركزها فيها ، بينما فرنسا لم تقلع عن خزعبلاتها وتحيلاتها وتلدداتها الاعتيادية .

ومن المتوقع ، فيما اذا لم ترجع الحكومة الفرنسية الى الجادة قبل الفوات ، وتسبق الحوادث وتبحث معنا عن الحلول الوسطى المبنية على اخلاص الضمائر والاعتبار الصحيح ، وهى التى تقتضيها الظروف ويحتمها تبادل المصالح ، فان افريقية الشمالية سيدفعها ما حل

ثم استمر والشرطة تطارده ، يجوب الارض متنكرا فى ازياء مختلفة راجلا تارة وراكبا جملا تارة اخرى ، وعبر كامل ولاية طرابلس وصحراء السيرته السيرينايك وصحراء المرمارية وفى ٢٦ افريل ، القى عصا الترحال بالقاهرة فى حراسة ضابط مصرى كان اوقفه بمركز دابة على بعد ١٦٠ كم. من الاسكندرية.

***

القاهرة ٢٩ جويلية ١٩٤٦

رسالة إلى فرحات عباس

« ... ان اتحادا وثيقا بين شعوب شمال افريقيا الثلاثة لحمته دماء ضحايانا ودموع ثكالانا ، ليقربنا من النظر بمثلنا الاعلى قربا كبيرا ... »

141

رفيقى العزيز ،

لم اتشرف بمعرفتك شخصيا ، ولكننى تتبعت باعتناء - وعن بعد - عملك ، فالفيت فى افكارك وتصوراتك واساليبك شيئا من التجانس مع حركة الدستور الجديد . فانا ايضا اردت مثلك ان انظر الى الحقيقة وجها لوجه ، وان احسب لها حسابها ، وان اؤلف بين عملى وبينها . وانا مثلك اردت ان اجرد مطالباتنا عما قد يشوبها من عدم الملاءمة للوقت الحاضر ، والتعلق بالاوهام ، واستحالة التطبيق . وانا مثلك

---

(١) عباس هو زعيم الاتحاد الديمقراطى للبلاد الجزائرية .